العميد

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالأبحاث والدراسات الإنسانية

تصدر عن

العتبة العباسية المقدسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

مجازة من

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة التاسعة المجلد التاسع العدد الثالث والثلاثون

رجب ١٤٤١هـ اذار ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي

ردمد: Print ISSN: 2227–0345

ردمد الألكتروني: Online ISSN: 2311 - 9152

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٦٧٣ لسنة ٢٠١٢م

كربلاء المقدسة ـ جمهورية العراق

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة:٥٦٠٠١

صندوق البريد (ص.ب) :٢٣٢

Tel: +964 760 235 5555 **Mobile:** +964 7602323337

http: //alameed.alkafeel.net

Email: alameed@alkafeel.net

بسم الله الرحمن الرحيم
يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
صدق الله العلي العظيم

العتبة العباسية المقدسة. مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.
العميد : مجلة فصلية محكمة تعنى بالأبحاث والدراسات الانسانية / تصدر عن العتبة العباسية المقدسة مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.ـ كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، 1433 هـ. = 2012-
مجلد : ايضاحيات ؛ 24 سم
فصلية.-السنة التاسعة، المجلد التاسع، العدد الثالث والثلاثون (آذار 2020)-
ردمد : 2227-0345
تتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية العربية ؛ ومستخلصات باللغة العربية و الإنجليزية.
1. الانسانيات--دوريات. الف. العنوان.

LCC : AS589.A1 A8365 2020 VOL. 9 NO. 33

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

المُشرف العام

السّيد أحمَد الصّافي

نائب المشرف العام

السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير

أ. د. سَرحان جَفات سَلمانْ . كليَّة التربيَة . جامعَة القادسِيَّة

الهَيْأة الإسْتِشارِيَّة

أ.د. طارق عبد عون الجنابي .الجامعة للعلوم الاسلامية عليه السلام كلية الامام الكاظم

أ.د. رياض طارق العميدي . كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة بابل

أ.د. كريم حسين ناصح . الجامعة للعلوم الاسلامية عليه السلام كلية الامام الكاظم

أ. د. تقي بن عبد الرضا العبد واني . كلية الخليج . سلطنة عمان

أ. د. غلام نبيل خاكي . جامعة كشمير . مركز دراسات آسيا الوسطى

أ.د. عباس رشيد الدده . كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة بابل

أ.د. مشتاق عباس معن . كلية التربية . ابن رشد . جامعة بغداد

أ.د. علاء جبر الموسوي . جامعَة العميد

مدير التحرير

أ. د. شوقي مصطفى الموسوي

(كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل)

سكرتير التحرير

رضوان عبدالهادي السلامي

(م.شعبة الفكر و الإبداع)

السكرتير الفني

حسين فاضل الحلو

هيأة التحرير

أ. د. **عادل نذير بيري** (كلية التربية للعلوم الإنسانية .جامعة كربلاء)

أ. د. **علي كاظم المصلاوي** (كلية التربية للعلوم الإنسانية .جامعة كربلاء)

أ. **حيدر غازي الموسوي** (كلية التربية للعلوم الإنسانية .جامعة بابل)

أ. د. **أحمد صبيح محسن الكعبي** (كلية التربية للعلوم الإنسانية.جامعة كربلاء)

أ.م.د. **علي حسن عبد الحسين الدلفي** (كلية التربية. جامعة واسط)

أ.م.د. **خميس الصباري** (كلية الآداب والعلوم. جامعة نزوى) سلطنة عمان

تدقيق اللغة الانكليزية

أ.د.**رياض طارق العميدي**(كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

أ. **حيدر غازي الموسوي** (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

تدقيق اللغة العربية

أ. د. **شعلان عبد علي سلطان**(كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل)

أ.م. د. **علي كاظم علي المدني**(كلية التربية/ جامعة القادسية)

الإدارة والمالية

عقيل عبدالحسين الياسري

ضياء محمد حسن عودة

الادارة الفنية

م.م.ياسين خضير عبيس

ثائر فائق هادي رضا

زين العابدين عادل الوكيل

الموقع الإلكتروني

ســـــــامر فلاح الصافي

محمد جاسم عبد ابراهيم

النشر و التوزيع

محمد خليل الاعرجي

علي مهدي الصائغ

الإخراج الطباعي

حسين عقيل ابو غريب

علي عبدالحليم المظفر

قواعد النشر في المجلة

مثلما يرحّب العميد أبو الفضل العباسعليه السلام بزائريه من أطياف الإنسانية، تُرحّبُ مجلة (العميد) بنشر الأبحاث العلمية الأصيلة، وفقا للشروط الآتية:

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة في مجالات العلوم الإنسانية المتنوّعة التي تلتزم بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميا، ومكتوبة بإحدى اللغتين العربية أو الإنكليزية، التي لم يسبق نشرها.

٢. يقدَّم الأصل مطبوعا على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥,٠٠٠–١٠,٠٠٠) كلمة، بخط Simpelied Arabic على أن ترقّم الصفحات ترقيما متسلسلا.

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخّص بحدود (٣٥٠) كلمة، على ان يحوي البحث على الكلمات المفتاحية.

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث وعنوانه، جهة العمل (باللغتين العربية والإنكليزية) ورقم الهاتف، والبريد الألكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث في صلب البحث، أو أية إشارة إلى ذلك.

٥. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمّن: اسم الكتاب، ورقم الصفحة .

٦. يزوَّد البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو الأبحاث في المجلات، أو أسماء المؤلفين.

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يُشير فيما إذا كان البحث قد قدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يُشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

٩. أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً، وليس مقدما إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى الباحث تقديم تعهّد مستقلّ بذلك.

١٠. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١١. تخضع الأبحاث المستلمة لبرنامج الإستلال العلميTurnitin .

١٢. تخضع الابحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتّها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ) يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب) يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ج) الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.

د) الأبحاث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ) يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

١٣. يراعى في أسبقية النشر:

أ) الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب) تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.
ج) تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.
د) تنويع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

١٤. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.

١٥. يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة الى اللغات لأخرى، من غير الرجوع الى الباحث.

١٦. ترسل البحوث على الموقع الالكتروني لمجلة العميد المحكمة alameed.alkafeel.net من خلال ملء إستمارة إرسال البحوث، أو تُسلم مباشرةً الى مقر المجلة على العنوان التالي: العراق، كربلاء المقدسة، حي الاصلاح، مجمع الكفيل الثقافي.

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education &
Scientific Research
Research and Development

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :
Date:

العدد : ب ت ع/ ٢١٢٤
التاريخ : ١٢/ ٣/ ٢٠١٢

العتبة العباسية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الواردة
العدد/ ٢١٢٦
التاريخ/ ٢٠١٢/٤/١١

م/ مجلة العميد

تحيــــــــة طيبـــــــــة...

اشارة الى رسالتكم الالكترونية الواردة بتاريخ ٢٠١٢/٣/١١ و بكتابنا المرقم ب ت ١٢٢٣١/٤ في ٢٠١٢/١٢/٢٠ ، ونظرا لحصول مجلتكم (مجلة العميد) على الترقيم الدولي (ISSN) الخاص بها ، تقــرر إعتماد المجلة اعلاه لاغراض الترقية العلمية .

...مع التقديـــــــــــر

أ.م.د محمد عبد عطية السراج
المــدير العــام لـدائرة البحث والتطوير
٢٠١٢/٣/١٢

نسخة منه الى :

- البحث والتطوير/ قسم الشؤون العلمية
- الصادرة

www.rddiraq.com (الموقع الالكتروني للدائرة)

Email scientificdep@rddiraq.com

Tel : 7194065

الهاتف / ٦٥٠ ...

بسم الله الرحمن الرحيم

..كلمة العدد ..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد واله الطيبين والطاهرين وصحبه المنتجبين لقد بدأت مجلة العميد بخط مسارها العلمي الذي تطمح اليه منذ الاعداد الأولى التي أصدرتها فاستطاعت أن تحدد وجهتها ومسارها منذ الاصدار الأول لها ، حيث باتت الأبحاث التي تنشر بها تنماز بالتميز والابداع ، وأخذت تثير ردود الأفعال الإيجابية من قبل المؤسسات والافراد لأنها حققت ما كان يسعى اليه الباحثون والاكاديميون المتمثلة بوجود مجلة تتمتع بمواصفات عالمية رصينة لنشر ابحاثهم فيها . وقد سعت مجلة العميد ومنذ الاعداد الأولى لها ان تركز على ثيمة معينة تمثلت بالملف الذي يصدر مع كل عدد من اعدادها والتي يتناول محورا محددا تدار حوله موضوعة الملف ، رغبة منها في اثارة ثقافة وتوجهات القارئ صوب محددات ثقافية مهمة ، راغبة في احياء الإرث الثقافي المهم الذي تعمدت بعض الثقافات اخفاءه وابعاده عن القارئ ، فكان هذا الملف هاجسا مهما تطل منه المجلة صوب احياء التراث وروافد الثقافة الحقيقية المتعددة والمتنوعة . وفي هذا العدد دارت محاور الملف الذي توسم بعنوان (خُطْبَةُ فدكٍ : الإستدلالُ و التأثيرُ و التَّناصُّ) حول الخطبة الكبرى للزهراء عليها السلام والتي عرفت بالفدكية ، حيث دارت الأبحاث الثلاثة الخاصة بهذا الملف حول الاستدلال الاقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية ، ومعالم القوة والتأثير في الخطبة الفدكية ، وتوظيف الخطاب القرآني في الخطاب الفدكي . وبما ان هدف المجلة هو التنوع في مساراتها البحثية والعلمية حيث لا تقف المادة

المنشورة فيها عند اتجاه واحد فقد تنوعت المادة البحثية المنشورة فجاءت ابحاثها متنوعة من حيث المادة العلمية فمنها ما دارت مادته حول مواد اجتماعية أو دينية أو لغوية أو تاريخية أو تعلمية وغيرها ، بالإضافة الى المادة العلمية المنشورة باللغة الإنجليزية . وسبب هذا التنوع في مضمون الأبحاث هو الرغبة في النظر الى العلم من زواياه المتعددة ، لإنتاج دلالة حقيقية لمساره الامر الذي يقودنا الى النهوض العلمي الذي نطمح دائما ان يكون افضل .

والمجلة على وفق هذه الرؤيا التي طرحناها لا تريد ان تكون رقما يضاف الى ارقام المجلات المحكمة بل أن كادرها يجد نفسه ملزما ومسؤولا عن اصدار يحمل مناخا خاصا مطورا للوضع الثقافي بما يتيح المناخ العلمي المواكب للتطور السريع في الدراسات الثقافية على مستوى العالم وهي مسؤلية جوهرية نتمنى ان نكون قد تمكنا من تحقيقها خدمة للمثقف والقارئ المستنير.

٢١	الاسْتِدْلَالُ الإِقْنَاعِيُّ بالشَّاهِد في الخُطْبَةِ الفَدَكِيَّة	أ.د.عهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الإنسانية–ابن رشد / قسم اللغة العربية.
٥١	معالمُ القوةِ والتأثيرِ في الخطبة الفدكيّة دراسةٌ في المؤازرات اللانصّية.	أ.م.د. زهراء نور الدين قاسم جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية
٧٧	توظيف الخطاب القرآني في الخطاب الفدكي .	م.د. آمال خلف علي آل حيدر كلية الإمام الكاظم ﷺ للعلوم الإسلامية الجامعة / قسم علوم القرآن والحديث
٩٩	الانحلال الحكمي في العلم الإجمالي (دراسة تحليلية تطبيقية)	أ.م.د. حسين كاظم عزيز جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية / قسم الدراسات القرآنية
١٢٧	قراءة نقدية اسلوبية في ديوان (شمعة في العدم) للشاعر اليمني محمد المَهَدِّي.	أ.م.د. حسام حمد جلاب جامعة القادسية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

١٦٥	دور الخرائط الذهنية في التعليم والتعلم : تعليم الخطبة الغراء من نهج البلاغة وتعلمها أنموذجاً.	أ.م.د. آفرين زارع جامعة شيراز / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية وآدابها الباحثة: راضية كريمي ماجستير لغة عربية وآدابها / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة شيراز
٢١٧	الصلة بين الأخلاق و الدين: مقاربة فلسفية في ضوء عقائد الإمامية	م.د. حسام علي حسن العبيدي جامعة الكفيل/ قسم الشريعة
٢٤١	تقويم منهاج المواد الاجتماعية للمرحلة الابتدائية في ضوء التنمية المستدامة	م.د. حسن محمد كاظم الجذيلي / المديرية العامة للتربية / كربلاء المقدسة م.د. علاء صالح عبيد/ جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية / قسم الدراسات القرآنية
17	**A Semantic Application of the Default Semantic Theory to an Interview with Tony**	Lec. Angham Abdulkadhim Alrikabi University of Al-Qadisiya / College of Education / Department of English

خُطبَةُ فدكٍ:
الإستدلالُ والتأثيرُ والتناصُّ

الاستدلال الإقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية

Convincing –Deduction with the Evidence in the Fadak Sermon

أ.د. عهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي

Prof. Dr. `Ahud `Abidalwahid `Abidalsahib Al-`Akeili

الاسْتِدْلَالُ الإقْنَاعِيُّ بالشَّاهِد في الخُطْبَةِ الفَدَكِيَّةِ

Convincing – Deduction with the Evidence in the Fadak Sermon

أ.د. عهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي
جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الإنسانية–ابن رشد / قسم اللغة العربية

Prof. Dr. `Ahud `Abidalwahid `Abidalsahib Al-`Akeili
University of Baghdad / College of Education for Humanist Sciences - Ibn Rushd / Department of Arabic

uhoudalaqyly@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ١٤/ ١/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ٦/ ٣/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث :

كان الإقناع أظهر ميزة لخطاب أهل البيت ﷺ ، وقد ظهر جليًا في موروثهم الذي تميز بعلو بلاغته وتكامل آلته ؛ ليوقنَ الناس بأفضليتهم دينا وخلقا وسيرةً ومنطقا؛ وليصبحوا أسوةً حسنةً ومنهجاً لتطبيق دين رُقِيِّ الحياة وليس دين التلفُّظ بالكلمات ،ولاسيما السيدة الزهراء ﷺ، فكان الإقناع ملازما لها ولم يكن اعتباطا بروزه في موروثها اللفظي كالخطبة الفدكية وتأثيرها في سامعيها عند إلقائها ، أو فيمن سَمِعَهَا أو قَرَأَهَا في مختلف العصور حتى الوقت الحالي ، وكانت تلك الميزة في لسانها انعكاسا لميزة الإقناع في كل ما نقل عنها من موروث حياتي ، عبادي أو اجتماعي .

وقد وجدت في هذه الخطبة ضالتي لأسلط الضوء على رافد إقناعي لا يمكن الاستهانة به وهو الاستدلال بالشاهد سواء أكان قرآنيا ـ وهو كثير جدا ـ أم حديثياً ـ وهو قليل جداً ولكن لا يجوز إغفاله ـ أم أمثالا عربية وهي متوسطة بين الكثرة والقِلَّة ، وقد دَخَلَتْ في الخطبة كلها ولاسيما الاستدلال القرآني فلا نجد سطرا يخلو من روح القرآن الكريم وألفاظه والتناص المتطابق معه أو الآخذ من فيوضاته القدسية بعض نصِّه والكثير من معانيه ؛ للإفادة منه تركيبا وصوتا وتصويرا ؛ لتكون فحوى هذه الآيات وما احتوته من أدلَّة دامغة حاضرةً في الخطبة وملازمةً لقوة استدلال السيدة ؛ ورغبت في تناول ذلك من خلال هذا البحث الموسوم بـ ((الاستدلال الإقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية)) ؛ لأكشفَ جانبا من طاقات الإقناع فيها ، وقد وقع في مبحثين :

المبحث الأول الاستدلال الذي بني عليه التركيب وقد ظهر فيه تأثير القرآن الكريم.

المبحث الثاني الاستدلال الذي بني عليه التصوير وقد ظهر فيه تأثير القرآن الكريم والمثل العربي في رسم صورة المسلمين الذين غمطوا حقها .

وقد ختمت البحث بخاتمة أبرزت أهم نتائجه ، وأعقبتها بقائمة للهوامش والمصادر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Abstract

Ahlal-Bayt (peace be upon them) distinguishes themselves as adapters of persuasion in dealings and speeches, characterized by high eloquence to attract attention. Their morals, logic and behavior act as evidence of their affiliation to the Prophet Muhammad and as an example. Here comes Fatima Al-Zahraa, peace be upon her, to be characterized by persuasion in her sermons, in her morals, her biography and her good convictions. Such a technique emerges in the sermon of Fadk, facilitating the necessities of communication about her ideas and employing Quranic evidences, her father's speech, the Messenger of Allah and Arab proverbs. As such the current paper comes as (evidence of persuasion rhetorical sermon Fadak Fatima Zahra (peace be upon her), Convincing –Deduction with the Evidence in the Fadak Sermon. To detect the power of persuasion, the research is bifurcated into two chapters:

Chapter I: The evidence based on the structure shows the influence of the Glorious Quran. Chapter II: The evidence based on photography does the influence of the Koran and Arab proverbs in portraying the image of Muslims who denied the right of Fatima Zahra peace on them .The research concludes with the most important results and a list of margins and sources.

المقَدِّمَة

حين أفكِّر في وُجُودِ السيدة الزهراء ﷺوما رَافقهُ مِنْ مُجْمَل أمور خصَّها الله بها ، ولا يعلم أسرارَها إلا هو سبحانه ومَنْ عندهُ عِلْمُ الكتاب من الراسخين في علم الله ، أُدركُ أنَّ الله تعالى أرادها أن تكون حجَّة على العالمين بما احتوته من صفاتٍ وما حملته من آياتٍ وما اشتملت عليه من خصائص وعلوم بيِّناتٍ فاستحقَّت بذلك أن تكون سيدة نساء العالمين بجدارة ليس لانتسابها للرسول الأكرم وحسب ، إنَّما لصفاء روحها وفطرتها ، وَلِحَمْلِها خصالَه العظيمة وأخلاقه المستقيمة ، وللمستوى العرفاني الكبير من معرفة الله تعالى وتوحيده وإدراكها ماهية الخلق وفلسفة الوجود وَرُقِيّه الحضاري وشجاعتها المنقطعة النظير ، وظهر ذلك في تصرُّفها ومنطقها فاستحقَّت أن يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها ويذهب عنها وعن أهل بيتها الرجس ويطهِّرهم تطهيرا ، وما ذاك إلاَّ رحمة بنا ؛ لأنَّها قطب من أقطاب عِدْل القرآن ، وهم رسول الله وآله الأطهار صلى الله عليه وعليهم أجمعين الترجمان العملي لما ورد في كتاب الله من أحكام وما حثَّ عليه من فضائل ؛ لذا كان الإقناع أظهر خصيصة فيهم جميعا ولاسيما في السيدة الزهراء ﷺ ؛ ليوقنَ الناس بأفضليتهم دينا وخلقا وسيرةً ومنطقا؛ وليصبحوا أسوةً حسنةً ومنهجاً لتطبيق دينَ رُقِيِّ الحياة وليس دين التلفُّظ بالكلمات ، فكان الإقناع ملازما لها ولم يكن اعتباطا بروزه في موروثها اللفظي كالخطبة الفدكية وتأثيرها في سامعيها عند إلقائها ، أو فيمن سَمِعَهَا أو قَرَأَهَا في مختلف العصور حتى الوقت الحالي ، وكانت تلك الميزة في لسانها انعكاسا لميزة الإقناع في كل ما نقل عنها من موروث حياتي ، عبادي أو اجتماعي .

ولمَّا كانت هذه الخطبة شاغلة فكري بعظيم مقاصدها وبديع معانيها والتأنّق في مبناها وبعيد مرماها ، والوصول من خلال إلقائها في ذلك الجمع الذي احتشد لسماعها إلى الأهداف التي خرجت السيدة من أجل إيصالها ؛ لذا وجدت الفرصة سانحة لإبراز ألوان الإقناع فيها وسلوك سبيل آخرغير السبيل الذي سلكه الباحثون قبلي إذ تناولوا هذه الخطبة في مناحٍ أخرى على وفق المناهج الحجاجية او اللغوية التي تناولتها من منظور لسانيات الخطاب أو البعد التداولي في ضوء نظرية أفعال الكلام[1] في ضوء تحليل آثارها الأسلوبية ودلالاتها التركيبة ، وإن لم استطع التطرُّق إلى روافده كلها ؛ لأن ذلك يحتاج مجالا أوسع وصفحات أكثر قد تغطِّي كتاباً ؛ لذا سأقتصر على طريق إقناعي لا يمكن الاستهانة به وهو الاستدلال بالشاهد سواء أكان قرآنيا ـ وهو كثير جدا ـ أم حديثياً ـ وهو قليل جداً ولكن لا يجوز إغفاله ـ أم أمثالا عربية وهي متوسطة بين الكثرة والقِلَّة ، وقد دَخَلَتْ في الخطبة كلها ولاسيما الاستدلال القرآني فلا نجد سطرا يخلو من روح القرآن الكريم وألفاظه والتناص المتطابق معه أو الآخذ من فيوضاته القدسية بعض نصِّه والكثير من معانيه ؛ للإفادة منه تركيبا وصوتا وتصويرا ؛ لتكون فحاوى هذه الآيات وما احتوته من أدلَّة دامغة حاضرةً في الخطبة وملازمةً لقوة استدلال السيدة ؛ ورغبت في تناول ذلك من خلال هذا البحث الموسوم بـ ((الاستدلال الإقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية)) ؛ لأكشفَ جانبا من طاقات الإقناع فيها ، وقد أفدتُ ممَّا توافر منها في البلاغة العربية التي أفاض فيها علماؤها ممَّن نظروا إلى البلاغة بوصفها إقناعا وإمتاعا في الوقت نفسه كالجاحظ ت٢٥٥هـ وعبد القاهرالجرجاني ت ٤٧١هـ والسكاكيت٦٢٦هـ في قسم مما استقرَّ على يديه ،وقد تناوله وفصَّله الخطيب القزويني ت ٧٣٩هـ ، وأوليت الاستدلال بالشاهد القرآني والمثل العربي

اهتماما كبيراً ، مُنْطَلِقَةً من مقولة تجعل قوة البلاغة في ارتباطها بالإقناع ، وأنَّ فهمها في معناها النَّسَقِي العام يفتح آفاقا جديدةً وخِصْبَةً أمام البحث العلمي، ولاسيما عندما يركِّزعلى منطقة التفاعل الذي يحصل بين أطراف ثنائيات عديدة: المتكلم/ المخاطب، النص/ المقام، الحجة/ الصورة، الشكل/ المضمون... الخ ، وأن عودَةَ تأثيرِهَا السابق يعني إعادةَ الاعتبار للبعد الحجاجي، والاهتمامَ بتقنيات الإقناعِ المؤثرِ، وعدم حصر البلاغة في الأسلوبي والشعري ، كما نادى بذلك د. حسن المودن في مشروعه البلاغي[٢] وقد وجدت أنَّ السيدة وظَّفت طاقات اللغة ، وأكدت العقل فهو الذي يصوغ الحجج المقنعة للتأثير في السامع ، وهو الجانب الأهم في الخطبة ، والوجدانُ يستميلُ الأنفُسَ من خلال براعة الصياغة المؤثرة[٣].

وقد حَشَدَتْهَا في هذه الخطبة بما يستقطب انتباه المتلقي ويجعله مؤمناً بما قدَّمَتْه مِنْ حُجَجٍ مُقْنِعَةٍ تَدُلُّ على أحقِّيَّتها بما تُطَالبُ به وقد قويَتْ تلك الحجج من خلال الاستدلال بما يؤمن به المتلقي وبرعت السيدة في إدخاله في التركيب والتصوير والصوت ؛ لتجلب ما تكوَّن فيه من جمال وإقناع لخطبتها .

وقد لمستُ في استدلالها إثراءها لفاعلية الحوار الذي أجرتْهُ مع المخاطب ودَخَلَتْ بشكلٍ واضحٍ منطقةَ قناعاتِهِ التي كانت مُلِمَّة بروافدها ومستوياتها بما أظهر قابليتها على التواصل والتأثير في المتلقين فكان المخاطبُ مَحَطَّ عنايتها سواءٌ أكان الخليفة الأول عند حواره المباشر و الأنصار عند وَصْفِهِمْ بالقوة والمناصرة في وقت الدعوة والتخلِّي عن ذلك بعد التحاقِ أبيها رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، أم جمهور المستمعين الذين أشاروا على الخليفة بحرمانها من الإرث ـ على حدِّ إخباره لها بذلك ـ أم سامعي الخطبة على امتداد العصور الذين اهتمُّوا بفهم الغاية من ظهور الزهراء وإلقاء خطبتها وسط غليان الأحداث وقتئذٍ .

لذا سيكون ميدان بحثي دائرا حول مبحثين :

المبحث الأول الاستدلال الذي بني عليه التركيب وقد ظهر فيه تأثير القرآن الكريم.

المبحث الثاني الاستدلال الذي بني عليه التصوير وقد ظهر فيه تأثير القرآن الكريم والمثل العربي في رسم صورة المسلمين الذين غمطوا حقها .

وسأختم البحث بخاتمة تبرز أهم نتائجه ، وأعقبها بقائمة للهوامش والمصادر

إنَّ الغوصَ في بحر بلاغة السيدة الزهراء ﷺقد يغرقُ الغوَّاصَ ؛ لبُعْدِ غَوْرِهِ وَشِدَّةِ أمواجِهِ ، وقد يُعِيْنُهُ على استخراج لآلئه إنْ تَمَكَّنَ مِنْ أدواته وكتبَ اللهُ له السَّدادَ ؛ لصدق نيَّتِهِ وجِدَّةِ مُحَاولتِهِ ، وهذا البحث كلَّفني سهرا كثيراً وتأمُّلا طويلاً ووقتا في المراجعة والقراءة في المصادر المتنوعة يستحقُّه مأثور الزهراء الفريد .. عسى الله أن يوفِّقني لأكون من المفلحين في محاولتي وعليه قصد سبيلي ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

التمهيد :القرآن الكريم في حياة الزهراء عليها السلام

جعل الله تعالى أهل البيت عليهم السلام عدلا للقرآن الكريم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((يا أيُّها الناس إني قد تركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا مـا إن تمسَّكتم بهما كتاب الله وأهل بيتي ، فإنَّ اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض كهاتين ـ وجمع بين سبَّابتيه ـ لا كهاتين ـ وجمع بين سبَّابته والوسطى ـ لأنَّ إحديهما قُدَّام الأخرى فتمسَّكوا بهما لا تضلُّوا ولا تولَّوا ولا تَقَدَّموهم فتهلكوا ولا تعلِّموهم فإنهم أعلم منكم))[٤] .

فهم أعلم الناس بالقرآن الكريم الذي له تأثير كبير في إقناع السامعين ؛ لأنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولأنَّ المسلمين جميعا مجمعون على كونه حجةً لا نقاش في صحتها ، ومتفقون على قبول ما جاء فيه من غير جدال . ولما كانت السيدة الزهراء عليها السلام قد حفظته حفظ درايةٍ وتدبُّر وإتقان وتبصُّر ؛ لذا اتضح ما يأتي :

ـ ظهوره في خطابها كان كبيراً، أقنع السامعين بقوَّة حُجَّتها وأحقِيَّة مطالبتها وتذكيرهم بأن من تخاطبهم هي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله يجري فيها دم رسول الله وتنطق وتفرغ على لسانه الكريم .

ـ معرفتها الكبيرة أهمية هذا الكتاب المقدس وقوة مضامينه الحجاجية ؛وقد وصفته في هذه الخطبة مشيرةً إلى أنه معهم ويحمل أسرار وجودهم بقولها ((كِتابُ الله النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ الله المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ

المَكْتُوبَة))[٥]، وقالت أيضاً ((ومعنا كتاب الله بيِّنَةُ بصائِرُهُ وآي فينا منكشفة سرائره وبرهان منجلية ظواهره مديم البرية أسماعه قائداً إلى الرضوان أتباعه مؤد إلى النجاة استماعُهُ فيه بيان حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذِّرة وبَيِّنَاته الجالية وجُمَله الكافية وفَضَائله المندوبة ورُخَصِه الموهوبة وشرائعه المكتوبة))[٦]

فقد أكَّدت احتواءه الحُجَج التي تبيِّن أهميتهم وتثبت حقوقهم .

ـ ظهر القرآن الكريم في خطاب السيدة لتذكِّرَ المتلقِّين بما حواه كتاب الله من الصلاة على أبيها رسول الله وآله الأطهار صلى الله عليه وعليهم في قوله تعالى : (إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب : ٥٦) ، وما صرَّح به من صدقهم وتنزيههم عن الرجس والنص على تطهيرهم المؤكد بالمصدر في قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(الأحزاب : ٣٣) ومن ثم فهي تلقي عليهم حججا من نص إلهي أكَّد صدقهم فكيف يكذبهم البشر؟!.

ـ اتحاد غرض الخطبة وهو إصلاحُ أمر خاطئ قام به المسلمون ـ وهو مخالفة أوامر الرسول على قرب دعوته لذلك ـ مع الغرض الأكبر للقرآن ، يقول الطاهر بن عاشور : ((إِنَّ الْغَرَضَ الْأَكْبَرَ لِلْقُرْآنِ هُوَ إِصْلَاحُ الْأُمَّةِ بِأَسْرِهَا، فَإِصْلَاحُ كُفَّارِهَا بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَنَبْذِ الْعِبَادَةِ الضَّالَّةِ ،... وَإِصْلَاحُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوِيمِ أَخْلَاقِهِمْ وَتَثْبِيتِهِمْ عَلَى هُدَاهُمْ وإرشادهم إِلَى طرق النَّجَاحِ وَتَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَغْرَاضُهُ مُرْتَبِطَةً بِأَحْوَالِ الْمُجْتَمَعِ فِي مُدَّةِ الدَّعْوَةِ))[٧] ولبروز خاصية الإقناع في القرآن الكريم ؛ التي تجلَّتْ في طاقات التركيب الواردة فيه المحتوية على العدول ، ((فالعدول في الكلام القرآني ليس الغاية أن يكون الكلام جميلا وإنما الغاية أن يكون كلاما حجاجيا مقنعا بوجه من الوجوه ، إنَّ الكلام في القرآن عدول حجاجي أو من أجل الحجاج))[٨]

المبحث الأول الاستدلال بالشاهد القرآني والحديثي الذي بُنِيَ عليه التركيب

لابُدَّ أنْ يكونَ المتكلم مقنعاً في هيأتِهِ وشخصِهِ ، كما لابدَّ أن تجتمع فيه آلةُ البلاغة وكان هذا واضحا عند السيدة الزهراء ﷺ التي امتلكت ناصية البلاغة قال الجاحظ : ((أول البلاغة[٩] اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة))[١٠] ، فالخطيبُ المتمكِّنُ هو الواثق من نفسه الذي تبدو عليه السَّكِيْنَةُ ويكون ثاقب النظرات ، عارفا بمستوى السامعين فيكلمهم بما يفهمون ويحاججُهُم بما يقتنعونَ بِهِ وهذا ما تَحَلَّت به السيدةُ الزهراءُ ﷺفقد عرفتْ أنَّ من تخاطبهم وهم الخليفة الأول أبو بكر الصديق ومَنْ حوله من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار ، وبقِيَّة المسلمين ومنهم الذين أشاروا على الخليفة بِحِرمانها ، وقدَّرَتْ مستوياتِهم فخاطبَتْهُم بما يفهمون وانطلقت من منابع ثقافاتهم فمزجت بعضاً من مكوِّناتها بحديثها وحججها واستعانت بها في رسم صور للحالات التي احتاجت تصويرها، بحيث يفهمون مقاصدها ومرامي حوارها وسأوضح ذلك من خلال تحليل نصوصها التي وظفت بها الاستدلال الإقناعي بالشواهد تركيبا وسياقا وتصويراً ، الملاحظ على هذه الخطبة العناية الكبيرة بأساليب التركيب وانتقاء ألوان منه تجذب انتباه المتلقين ؛ لأنها أكثر وسائل البلاغة الإقناعية أثرا في لفت الانتباه وزيادة درجة الإقناع ، وقد بدا لي استعمال مختلف الأنواع ؛ وقد تداخلت بعضها مع بعض بحيث يصعب فصلها ، واستثمرت طاقاتها الإيحائية والإقناعية ؛ ليتعدد تأثيرها ، ولقد وصلت عليها السلام ذروة البلاغة في انتقاء التراكيب لما يناسب الموضوع الذي تلجُ بابه حتى حيَّرت من يبحث في أسرار بناء تراكيبها وأذهلته ببلوغها المرتبة الرفيعة في توظيف الصيغ البلاغية بمستوياتها كافة وأبهرته بجميل التمكُّنِ في ذلك وقد تنوَّع الاستدلال بالشاهد القرآني في خطابها وتعددت طرق

الإفادة منه وكان إيرادها للآيات الكريمة حسن بديع يقوي كلامها، ويُحْكِمُ نظامها، ولاسيما أنها استعملته فيما وضع من أجله في المواعظ، وتوصيف أحكام الدين وأقوال الحكمة، ومقالات الدعوة إلى الله تعالى والإرشاد إلى الطريق المستقيم [١١] .

ـ استعمال أساليب الطلب كالأمر في نسق الخبر الابتدائي الخالي من التوكيد

ـ عندما أمَرَتْهُم بطاعة الله من خلال الاقتباس بالمعنى في قولها : ((وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه))[١٢] مستفيدة من آيات كريمة أمرت بطاعة الله مثل قوله تعالى : (وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الأنفال :١) وقوله أيضا :(وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (المائدة : ٩٢) ، وأرى أن إفادتها هنا من المعنى دون النص لضرورة ؛ لأنَّ الآيات كلها التي أوردت طاعة الله قرنتها بطاعة الرسول ، وهم قد عصوا الرسول ؛ لذا لم توردها لتؤكد هذا المعنى ، لذا اضطرت إلى المجيء والمطالبة بحقها ، معلِّلة لزوم الطاعة بخشية العلماء من الله فإنه (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) «سورة فاطر : ٢٨» ، وهم على غير هذه الحال .

ـ الاستدلال بالشاهد القرآني في أساليب التوكيد

يدخل الشاهد القرآني في بنى أساليب التوكيد المختلفة ؛ لإزالة الشك والإنكار من أذهان مخاطبيها وإثبات صواب رأيها :

ـ استعمال«كلا» مع الاستدراك بـ «بل» في قولها : ((كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم))[١٣] موظفة معاني الآية (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين ١٤) ، وما بعدها من الآيات التي يستحضرها من حفظ السورة : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ، ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) (المطففين ١٥-١٧) : وتجعلها حاضرة في

أذهان المخاطبين ، وقد أحسنت السيدة باستعمال "ما أسأتم " بدلاً عن" مَا كَانُوا يكسبون" ؛ لأن ما قاموا به لا كَسْبَ فيه بل إساءة واضحة .

ـ الاستدلال الإقناعي بالشاهد القرآني في بنية الإطناب التركيبية :

برز الإطناب في الخطبة الفدكية في موارد شتى : في شرح ثوابت الدين وبيان ماهيته وعلل شرائعه ، لتوضِّح للمتلقين أنهم لم يفهموا معاني العبادات ولم يذوقوا طعم الطاعات فعلَّلت لهم ذلك بمثل قولها : ((وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون))[١٤] ،والحقيقة أنني أتنسَّم عبق القرآن الكريم في مواضع من هذا القول :

ـ في أسلوب الأمر بلزوم تقوى الله في قولها : ((فاتقوا الله حق تقاته))

في أسلوب النهي عن الموت على الكفر ((ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)) ،وكلا الأسلوبين أساسهما بناء قرآني واقتباس نصي من قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(آل عمران ١٠٢) غير أنها أتت بالفاء السببية التي احتاجها النص لتكون الآية مبينة للعلة من إيضاح أهمية التوحيد الإلهي .

وأوردت السيدة الشاهد القرآني في إطناب ثالث عند تعريفها بنفسها والإشارة إلى كونها بنت رسول الله ﷺ مذكِّرة بأثر الرسول في الأمة وكيفية تعامله مع الناس بشهادة الله تعالى : ((قالت أيها الناس اعلموا: أنِّي فاطمة وأبي محمد ﷺأقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة : ١٢٨))[١٥] فقد جاء الشاهد القرآني ؛ ليفصِّل ما كان مجملا في« أبي محمد» ، إذ عرَّف النص أباها الرسول بما لا يدع مجالا للشك في أهميتها وصدق ما جاءت به .

المبحث الثاني : الاستدلال بالشاهد الإقناعي الذي بُنِيَ عليه التصوير

ولهذا الاستدلال أهمية كبيرة في رسم الحالات المراد التعبير عنها وتوصيفها وتقديمها بصورة محسوسة ترتاح لها النفوس يقول عبد القاهر الجرجاني:

" إنَّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، تأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي به أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها من العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأنَّ العلم المستفاد عن طريق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام[١٦]، وقد وضحَّت السيدة من خلاله صورة المتخاذلين عن نصرتها وحاولت أن تجعل الصورة أكثر حركة من خلال تعاون مجموعة من الشواهد في ذلك الرسم ؛ ليكون أكثر تعبيرا ووضوحا . ومن أبرز ما ظهر الآتي :

ـ الاستدلال الإقناعي بالشاهد القرآني في الوسائل التصويرية داخل بنية الإطناب

أولاً: ـ دخولها في التصوير الاستعاري

قد تأتي الحجة القرآنية بعد وصف دخلت فيه الاستعارات التي اتَّسمتْ بِالتجسيدِ تارة وبالتشخيص تارة أخرى ،من ذلك قولها : ((أتقولون مات محمد ﷺ؟ فخطب جليل استوسع وهيه ، واستتهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبته ، وكُسِفَتِ النجوم لمصيبتهِ، وأكْدَتِ الآمال وخشعتِ الجبالُ ، وأضيعَ الحريمُ ، وأزيلتِ الحُرمةُ عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله ـ جلَّ ثناؤه ـ في أفنيتكم في مُمساكُمْ ومُصبحكُمْ هتافاً وصُراخاً وتلاوة وإلحاناً ، ولقبله ما حلَّ بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل ، وقضاءٌ حَتْمٌ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ)(آل عمران : ١٤٤) [١٧] فقد فصَّلت السيدة بجمل اسمية تضمَّنت الإطناب بالشرح والتوضيح وجعلت تلك الجمل جوابا عن استفهام حوى نصهم عن موت أبيها فهو خطب جليل حلَّ بالأمة ورسمت صورة له بجمل نعتية حوت ألفاظا تدل على الأمر الشديد هي «استوسع وهيه »، و«استتهر فتقه» ، و«انفتق رتقه» ثم بيَّنت أن الحزن عليه يشمل الكون كله وليس البشر وحدهم « وأظلمت الأرض لغيبته ، وكُسِفَتِ النجوم لمصيبتهِ، وأكْدَتِ الآمال وخشعتِ الجبالُ » بعدها عادت لوصف آثار ذلك« وأضيعَ الحريمُ ، وأزيلتِ الحُرمةُ عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله ـ جلَّ ثناؤه ـ في أفنيتكم في مُمساكُمْ ومُصبحكُمْ هتافاً وصُراخاً وتلاوة وإلحاناً » وختمت ذلك بالشاهد القرآني الذي يستنكر على الأمة عودتها إلى الضلال بمجرد سماعها خبر موته وقد أوردت الآية استعارة تمثيلية وهي «ينقلب على عقبيه» حيث شبه الله حال من يرتد عن الإسلام بحال من ينقلب على عقبيه، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به ففي هذا القول : ((زِيَادَةُ تَأْكِيدٍ فِي الرُّجُوعِ إِلَى مَا كَانَ وَرَاءَهُ لِأَنَّ الْعَقِبَيْنِ هُمَا خَلْفُ السَّاقَيْنِ أَيِ انْقَلَبَ على طَرِيق عَقِيبه وَهُوَ هُنَا اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ لِلارْتِدَادِ عَنِ الْإِسْلَامِ رُجُوعًا إِلَى الْكُفْرِ السَّابِقِ))[١٨] فكانت هذه الاستعارة أساسا في بناء تصوير السيدة لحال الحاضرين في المجلس .

ثانيا : ـ الاستدلال بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية :

تستعمل السيدة الاستدلال بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية مع كنايات أخرى تصف بها عملا عظيما كما في وصفها جهاد أبيها رسول الله ﷺ: ((فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يجف الاصنام وينكث الهام حتى

انهزم الجمع وولوا الدبر))[١٩] .

فقد كنَّت السيدة عن صفة التبليغ التي أنذرت القوم بعذاب أليم إن لم يؤمنوا بقولها «صادعا بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين » مستوحية من ألفاظ آية من القرآن الكريم ومعانيها وهي قوله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (سورة الحجر: ٩٤) ، وأتبعت ذلك بكنايات أخرى تبيِّن شدته في جنب الله تعالى وإعلاء دين الله بقولها :« يجف الاصنام وينكث الهام» للدلالة على تكسيره الأصنام وقتله الكافرين بشدة ، مستعينة بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية في قولها« حتى انهزم الجمع وولوا الدبر »فقد استحضرت قوله تعالى : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)(سورة القمر :٤٥) الذي وردت فيه الكنية عن الإدبار في « يولون الدبر »[٢٠] وغيَّرت السيدة زمن الفعلين الواردين في الآية من الحاضر إلى الماضي ؛ لأنها كانت تتحدَّث عن أول زمن التبليغ وقد ذهبَ ، فمن حسن مراعاة المقام حصول هذا التغيير ليكون أكثر ملاءمة .

ثالثا : ـ الاستدلال بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية وإدخاله مع وسائل تصويرية أخرى .

ورد في الخطبة كنايات متتابعة صورت ظهور الحق وزوال الكفر والنفاق على يدي أهل البيت ﷺ ((حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإْخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الخِماصِ))[٢١] وتوضيحها أنّ :" تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ" وَ"أَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ " كنايتان عن صفة جلاء الأمور ووضوحها وسيطرة الحق .

«وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ»، وَ«خَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ» ، «وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ» ، وَ«انْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ»،أربع كنايات عن ظهور الدين وسيطرته وذهاب الكفر

والنفاق .

"وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ" كناية عن الإسلام اللفظي للمخاطبين الذي أكدته بقولها و"فُهْتُمْ"وفي قولها « فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الخِماصِ» كناية عن أهل البيت الذين تم بجهودهم إسلام هؤلاء الحاضرين .

ـ ثم قالت : (((وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ)، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، (تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ)))[٢٢]

لقد عززت السيدة الكنايات السابقة بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية أيضا في : ((وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ)(آل عمران : ١٣٠)؛ ورفدتها بالاستدلال بالأمثال ؛ لما لها من أهمية إذ تدخل في التمثيل والاستعارة التمثيلية فقد استعملتها السيدة أو ما يصب في إطارهما أداةً للربط بين ما حصل معها ، و حالات ضربت من أجلها الأمثال وقد وظَّفت ذلك في خطبتها لتوضيح حالات أرادت كشفها تجلَّت في أوصاف جاحدي حقها ، وما ذاك إلا لأهمية التمثيل ،يقول عبد القاهر الجرجاني : ((إن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهَةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، ...))[٢٣]

وبَيَّن أهمية التمثيل في الحجاج قائلاً : ((وإن كان حِجاباً، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر))[٢٤] وقد جعلت السيدة الضمير الدال على جماعة الحاضرين في « كنتم» مشبهاً وما ستورده من أمثال عربية تصفهم من خلالها مشبهات بها ، وهي « مُذْقَةَ الشّارِبِ» ، «وَنُهْزَةَ الطّامِعِ» ، «وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ»، وَ«مَوْطِئَ الأَقْدامِ»، وهذه الأمثال تدل على صغر المكانة والهوان وضعف الحال وشظف العيش ،فـ « مذقة الشارب » أي الشربة القليلة للشارب المتعجل الذي يرضى بالقليل وهو مثل

(يضرب للقنوع بالقليل)[٢٥].

"وَنُهْزَةَ الطّامِعِ" أَي هُم((صَيْدٌ لكلّ أحد)) مثل يضرب لسهولة السيطرة عليهم وكثرة الطامعين بهم[٢٦] والملاحظ على بنائها أنها ذات إسناد اسمي ؛ لتدل على الثبات والدوام ، وقد تبعت ذلك بخبرين لـ «كان» هما جملتان فعليتان في "تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ"، و"تَقتاتُونَ الْوَرَقَ"، بعدها أفادت من الاستدلال بالشاهد القرآني بشكلين :

أحدهما : الإفادة من لفظه ومعناه : في «أَذِلَّةً خاسِئِينَ» اذ استحضرت الآية الكريمة (وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)(سورة النمل : ٣٧) .

والآخر : الاستدلال النصي الكامل في ((تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ)) فقد أوردت الآية الكريمة (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ)(سورة الأنفال : ٢٦).

فعزَّز الاستدلال بالشاهد القرآني المحتوي على الكناية رسم صورتهم قبل جهود أبيها ؛ زيادةً في توضيح أثر دعوة رسول الله ﷺ، وأثر دينه في نقلهم إلى الارتقاء العقلي والحياة الحضرية .

ـ الاستدلال بالشاهد القرآني المعزِّز لدلالات التركيب والسياق والتصوير

من دلالات التمكن في الاستدلال الإقناعي بالشاهد القرآني لدى السيدة هو دخوله معزِّزا للدلالات المتعددة المجتمعة معا ، حين تريد الزهراء عليها السلام لحجتها أن تصل إلى ذروتها تهيئ الآليات المتعانقة المتداخلة مع بعضها لتكون أكثر إقناعا ومنها إدخال الاستدلال القرآني المبني على الاستفهام مع ما تعارف عليه البلاغيون بالمذهب الكلامي ، وهو : ((إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المنطق))[٢٧] ، فالمتكلم يحتج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه وسُمِّيَ بالكلامي ؛ لأنه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية [٢٨]

وقد وجدت السيدة في محاججة المخاطب وهم الخليفة والأنصار قد أكثرت منه في قولها : ((أيها المسلمون: أغلب على ارثي ؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا ارث أبي ؟ لقد جئت شيئا فريًّا))[٢٩] مبتدئة بالنداء« أيها المسلمون "الذي تبعته مباشرة بالاستفهام: « أغلب على ارثي ؟» وتكررت الصورة في : «يا ابن أبي قحافة» «أفي كتاب الله ترث أباك ولا ارث أبي ؟» فقد جاءت بمجموعة من الجمل الإنشائية المؤدَّاة بالاستفهامات الإنكارية في سياق القياس في قولها ((أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي)) وأعقبتها بوصف تصرُّف الخليفة ((لقد جئت شيئا فريًّا))بالإفادة من النص القرآني : (قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) (سورة مريم : ٢٧) مع تحوير جهة الخطاب من المخاطب المؤنث إلى المذكَّر؛ ليلائم السياق ، والملاحظ أنَّ استفهامها حوى الإشارة إلى القرآن في قولها ((أفي كتاب الله)) ليدل على اعتمادها المرجعية القرآنية في الاحتجاج المفضي إلى الاقتناع ، وفي النص نفسه أوردت مباشرة استفهامات متتالية احتوت الشاهد القرآني في تركيب استفهام والتصريح بمخالفة كتاب الله وتصويره من خلال الاستدلال بالشاهد القرآني عند مخاطبة جمهور المتلقين الحاضرين في قولها :

((أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟))[٣٠] وقد وظفت قول الله تعالى (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)(هود ٩٢)وقوله : (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ)(سورة الأنعام : ٩٤) ، إذ أخذت من ألفاظ النصين ما رسمت به صورة لمعنى الترك المتعمد وقد نصَّت على لفظ«عمد» ؛ لتؤكد أن الترك كان متعمدا ومن غير مبالاة بما في القرآن من أحكام ، أو خوف من تبعات ذلك .

((ونكتة توحيد جمل المقطع بأداة استفهام واحدة لأنهن متصلات بموضوعة

خطاب مقام الحجاج الحالي بشخص واحد ...))[٣١] وهو الخليفة ، وربما كان ذلك لأن مدار الحل والربط مرتبط بسلطته .

وقد تتالت الاستفهامات المحتوية على ألفاظ (كتاب الله) و(آية) و(ملَّة ، وملَّتين) الدالة على القرآن أو بعضه أو ما ينتج عنه لتعزيز الاحتجاج به وبمن حمله وهو رسول الله ﷺ الذي كررت ذكره مرتين بلفظ «أبي» ؛لدحض ما جاءوا به ؛ لأن القرآن نزل على أبيها ومنطق العقل يرفض ما تساءلت عنه ـ وهو معلوم الجواب لدى الجميع ـ فلا آية نزلت على غير الرسول ، ولا أحد أكثر علما منه ومن زوجها أمير المؤمنين لقول أبيها ﷺ: ((أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِهِ مِنْ بَابِهِ))[٣٢] لكنها أرادت إثبات خطأ ما قام المخاطبون به بالحجة العقلية: ((أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟))((أم هل تقولون : إن أهل ملتين لا يتوارثان ؟))((أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟))

((أم انتم أعلم بخصوص القرآن من أبي وابن عمي ؟ ...))[٣٣] وهذا النص يحيلنا إلى نصوص أخرى تؤكد علم أهل البيت ﷺ كقول أمير المؤمنين ﷺ مبيِّنا طريقة تلقُّفه القرآن من رسول الله ﷺ حيث يقول : ((وكنت أدخل على رسول الله ﷺ في كل يوم دَخْلَةً وفي كل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، وربما كان ذلك في منزلي يأتيني رسول الله ﷺ.... فإذا كان في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة ولا احد من ابنيَّ))[٣٤]مما يدل على مقدار علم أهل البيت ﷺ بالقرآن الكريم ، ومما يدل عليه أيضا ما نقله الإمام جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه عن رسول الله ﷺ :((إنَّ أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا ألا وإنا من أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا وان تتبعوا آثارنا

تهتدوا ببصائرنا وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعنا لحق ومن تأخر عنا غرق ألا وإن بنا ترد دبرة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم وبنا فتح وبنا ختم لا بكم))[٣٤]

وهذه النصوص إن دلَّت على شيء فإنما تدل على علم أهل البيت الذين استحقوا بجدارة أن يكونوا عدلا للقرآن .

ـ الاستدلال بالمثل والحديث الشريف المسبوق بوصف.

وظفت السيدة الاستدلال بالشاهد الحديثي في إطار التركيب القائم على الاستفهام لإثرائها بنية الإقناع في معرض لومها المتخاذلين تقويةً لحجَّتها كما في مخاطبتها الأنصار عندما تخلَّوا عن نصرتها ، ممهدة لذلك بالوصف : ((يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ!))[٣٥] الذي قصدت منه اختلاف التصرف عما عرفوا به وجريمة ترك طاعة الله ورسوله ، بعدها أوردت ثلاثة استفهامات كان آخرها الشاهد الحديثي أساس بنية الاستفهام : ((ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟)) أما كانَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ: «اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»؟))[٣٦] وقد قصدت السيدة إقرار المخاطبين بحججها وتسليمهم بصحة ما جاءت به من أدلة جاعلةً التركيب استعاريا في (وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟) ؛ لتصوير التغافل عن بيان ظلامة السيدة في (وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟) ؛ ورفد مهمتها الإقناعية من خلال حسن التوظيف للوسائل .

ـ بيَّنت سرعة تنصُّلهم عن نصرتها من خلال النص على السرعة واتضحت إفادتها من توظيف المثل في قولها : ((سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إِهالَةً)) : فـ ((عَجْلانَ ذا إِهالَةً))[٣٧] وأصل المثل ((أنَّ أعرابية كان لها ابن أحمق فذهب فوجد نعجة عجفاء فاشتراها فقال لأمه: إني اشتريت نعجة سمينة. فلما أخرجها إلى أمه ورغامها يسيل من أنفها قال لها: انظري إلى إهالة ما علفتها! فقالت أمه: سرعان ذا إهالة.))[٣٨]

فلم تكتفِ السيدة بوصف الحالة إنما جعلت المثل والحديث الشريف سبيلا إلى توضيحها وإثبات معناها .

ومن خلال ما تقدَّم تتبين معالم ثقافة السيدة واطلاعها الواسع على الحياة العربية وإفادة السيدة من مؤهلاتها وتوظيفها في تعزيز مستوى الإقناع في كلامها وانعكاسها في حسن الأداء وإتقانه ،بما أقنع الآخرين بحقها ، ويتبيَّن ما لتوظيف النص القرآني من أثر كبير في إبراز علم أهل البيت والتفنن في الإفادة منه ولاسيما عند السيدة الزهراء عليها السلام لتكون حججها دامغة مقنعة لاسبيل لردها مما أعطى أهمية كبرى لموقفها الذي عكسته الخطبة الفدكية بشكل كبير.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الجولة الروحية مع خطبة السيدة الزهراء عليها السلام وبيان أهمية الاستدلال الإقناعي بالشاهد في تعزيز دلالات هذه الخطبة توصَّلت إلى مجموعة من النتائج أهما :

١-إنَّ موقف السيدة الرافض للظلم قد خطَّ منهجا للثوار رجالا ونساء ليسيروا فيه ويعبِّروا عنه بشكل حضاري وبحجج إقناعية تعكس الطبيعة الحضارية للدين الإسلامي .

٢-إنَّ الدين الإسلامي أعطى للمرأة مجالا كبيرا للتعبير عن رأيها والإفصاح عنه وإن كان مخالفا للسلطة الحاكمة ، واستمعت المجالس لآرائهن بمنتهى الاحترام ، والرد الهادئ لما ورد في أثناء تلك الخطب بما يعكس مدى تأثيرها فيهم .

٣-إنَّ التعبير عن الرأي يستلزم الجمع بين الحياء وقوة الشخصية فلابد من الالتزام بالحجاب الكامل والالتزام بأوامر الله ورسوله في الاحتشام والحياء في أثناء إبداء الآراء .

٤-كشفت الخطبة الفدكية عن عمق علاقة السيدة بالقرآن الكريم وتدبر آياته واستحضارها والتفنن في استعمالها للتعبير عن الرأي وتدعيم الحجج ؛ لإكسابها القوة والإقناع ؛ لأنَّ كتاب الله حجة قوية بإجماع الأمة ولأن العرب على مقربة من عهد الرسول وعلى اطلاع كبير بأحكامه ودلالات آياته .

٥-تورد السيدة الشاهد القرآني بحسب حاجة المقام فأحيانا تورد الآية بالنص إذا كان التغيير فيها ينقص من دلالة الإقناع ، بينما تورده مع شيء من التغيير عندما تستدعي ذلك حاجة السياقات من غير أن يؤثر ذلك في جمال إقناع ذلك الاستدلال .

٦-أظهرت السيدة في هذه الخطبة الأداء الخطابي المتقن ومعرفتها بفنون التعبير في

اللغة العربية وكشفت عن معجم لغوي غني أحسنت استعماله فانتقت الألفاظ المناسبة لكل مقام ،الموحية بالمعنى المراد إظهاره فكانت الألفاظ ذات الجرس القوي للمعاني القوية وللمواقف الصعبة والألفاظ الدالة على الدعة والهدوء للمعاني التي تدل على الراحة والاطمئنان .

٧-لم تستعمل السيدة الأساليب منفردة بل تستعملها عادة مجتمعة ، سواء أكانت تركيبية أم سياقية أم تصويرية ؛ لتجعل روافد الإقناع مجتمعة لإثراء الدلالات التي ساقتها من أجلها .

٨-تجعل السيدة الأساليب المؤثرة متتابعة كما حصل في التركيز على الاستفهامات الإنكارية والكنايات والتشبيهات البليغة ؛لإبراز إنكارها للمواقف المتخذة ضدها مع وضوح حقها بشكل كبير وتغاضي المخاطبين عن إعطائها لها .

٩-تراعي السيدة المقام مراعاة كبيرة ولاسيما عندما تلقي الأخبار فتستعمل كل نوع في موضعه فالخبر الذي لا اعتراض عليه لدى السامعين أو لاعلم لهم به تورده ابتدائيا أي من غير توكيد كما في توضيحها لصفات الخالق أو بيان علل الشرائع ،بينما تورد الأخبار طلبية أو إنكارية بحسب اعتقادها بنسبة الشك عند المتلقين فتزداد المؤكدات تبعا لدرجة الشك والإنكار في أذهانهم .

١٠-أبرزت هذه الخطبة مقدار ثقافة السيدة المجتمعية من خلال توظيف الأمثال العربية وإدخالها في سياقات أثرت دلالاتها وبيَّنت جمال التصوير في رسم صورة المخالفين وسرعة ارتدادهم عن مواقفهم التي كانوا معروفين بها .

١١-حاول البحث إبراز جانب من المستوى العالي لبلاغة السيدة الزهراء عليها السلام الذي يُظْهِرُ قدرات المرأة الإقناعية من خلال الأداء المتقن والخطاب البليغ والإفادة من كل ما يحيط بها من أجل إيصال فكرها بأفضل الصور التي تكشف قوَّة شخصيتها

وثِقَل وجوْدِهَا

١٢- إنَّ ما تَحَلَّتْ به نساءُ أهل البيت ﷺ من القدرة الخطابية والتمكُّن البلاغي وقوة الإقناع لا يقلُّ عمَّا اشتهر به رجالهم ، نتيجة فسح المجال لهؤلاء النسوة أنْ يوظفْنَ ثقافتهُنَّ في خدمة قضاياهنَّ ، ولابد أن يكون هذا حافزاً للمرأة الحالية أنْ تَصْقُلَ قريحتَها وتعزِّز قابلياتِها من خلال اقتفاءِ أثرِ الأسوةِ الحَسَنَةِ.

الهوامش:

١-ينظر بحث : بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء د. فاطمة كريم رسن ، ود. خالد حوير (خطبتا الزهراء دراسة في البعد التداولي في ضوء نظرية أفعال الكلام) وكلاهما منشور في مجلة العميد السنة الثالثة ، العدد الأول جمادى الأولى ١٤٣٥ ، آذار ٢٠١٤.

٢-ينظر : بلاغة الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية د. حسن المودن ، موقع ديوان العرب ٢٠٠٦/٧/٢

٣- ينظر : آليات الإقناع في خطبة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم : ٢٠ .

٤- كتاب سُليم بن قيس الهلالي : ٢ / ٨٩٤ .

٥- الاحتجاج : ١ / ١٢٨.

٦-م . ن : الصفحة نفسها .

٧- التحرير والتنوير: ١ / ٨١ .

٨- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية : ٦٠٤

٩- البلاغة : هي ((إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع ...)) البيان والتبيين:١/ ٩٥ ،: أما في الاصطلاح فقد كثر فيها الكلام ومن أوضحه ما أورده ابن رشيق القيرواني : ((إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع ...)) وتعني أيضا((أن تفهم المخاطب بقدر فهمه، من غير تعب عليك.)) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ١/ ٢٤٤

١٠- البيان والتبيين : ١ / ٩٥

١١ - ينظر البلاغة العربية ،عبد الرحمن الميداني : ٢/ ٥٣٦

١٢- الاحتجاج : ١/ ١٢٨ .

١٣- م . ن : ١ / ١٣٦

١٤- م . ن : ١ / ١٢٨ .

١٥-م. ن : ١/ ١٢٨ ـ ١٢٩ .

١٦-أسرار البلاغة : ١٢١ .

١٧-الاحتجاج : ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣ .

١٨-التحرير والتنوير : ٢/ ٢٤.

١٩- الاحتجاج : ١/ ١٢٩ وقد ورد في التذكرة الحمدونية : ٦/ ٢٥٦ .

٢٠- ينظر التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية : ٥٠٢ .

٢١ – الاحتجاج : ١/ ١٢٩

٢٢ – م . ن : الصفحة نفسها .

٢٣– أسرار البلاغة : ١١٥

٢٤– م . ن : الصفحة نفسها .

٢٥ – ينظر مجمع الأمثال : ٢/ ٢٨٧ .

٢٦–تهذيب اللغة: أبواب الهاء والزاي ٦/ ٩٣ . وينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٥/ ١٣٥.

٢٧ –البديع في البديع : ٣١ .

٢٨ –ينظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ١١٩ .

٢٩– التذكرة الحمدونية : ٦/ ٢٥٦

٣٠– الاحتجاج : ١ / ١٣١ .

٣١– م . ن : الصفحة نفسها .

٣٢ – أسرارخطاب السيدة الزهراء وجمالياته دراسة نفدية تحليلية : ١٥٩

٣٣ –المعجم الكبير : ١١/ ٦٥ ، والمستدرك على الصحيحين : ٣/ ١٧٣ .

٣٤ – الاحتجاج : ١ / ١٣٢ .

٣٥–البيان والتبيين ١ / ٢٣٨

٣٦– الاحتجاج : ١ / ١٣٢ .

٣٧–م . ن : الصفحة نفسها .

٣٨ – وهو مَثَلٌ أوردته كتب الأمثال بصيغ منها سرعان ووشكان وعجلان وكلها تعني السرعة قال الميداني : ((١٧٩٨– سَرْعَانُ ذَا إِهَالَةً سَرْعان: بمعنى سرع ... فيضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته)) مجمع الأمثال : ١/ ٣٦٦ ، وورد في المستقصى في أمثال العرب : ٢ / ٣٠١ ، و زهر الأكَمِ في الأمثالِ والحِكَمِ:٣/ ١٦٦ .

٣٩

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الاحتجاج أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، منشورات الشريف الرضي قم المقدسة ، ط١ ، ١٣٨٠ هـ .
- أسرار البلاغة ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة د. ت .
- أسرارخطاب السيدة الزهراء وجمالياته دراسة نفدية تحليلية، د.حيدر محمد شاكر الجديع ، إصدارات العتبة الحسينية المقدسة دار الكفيل كربلاء المقدسة ، ٢٠١٧
- آليات الإقناع في خطبة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم ، رسالة ماجستير ، خديجة دكمة كلية الآداب واللغات ، جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ، الجزائر ،
- البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت : ١٤٢٥هـ) ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ،ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- البديع في البديع ، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت: ٢٩٦هـ) ، دار الجيل ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
- البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب ،أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) : دار ومكتبة الهلال، بيروت ،١٤٢٣ هـ .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ) ، تح: الدكتور حفني محمد شرف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي ، الجمهورية العربية المتحدة ، د.ت .
- التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس ،١٩٨٤ هـ .
- التذكرة الحمدونية ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢هـ) ،دار صادر، بيروت ،ط١، ١٤١٧ هـ .
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د. أحمد سعد محمد ،مكتبة الآداب القاهرة د.ت
- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه

الأسلوبية د. عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ .
- زهر الأكَمِ في الأمثالِ والحِكَمِ ،الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) تح: د محمد حجي، د محمد الأخضر ، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ، ط١ ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) ،تح محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ، ط٥ ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ .
- كتاب سُليم بن قيس الهلالي ،للتابعي الكبير سُليم بن قيس الهلالي (و٢ قبل الهجرة – ت ٧٦ هجرية) تح محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني ، مؤسسة نشر الهادي ، قم المقدسة ، ط٥ ، ١٤٢٨هـ
- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ) ،تح محمد محيى الدين عبد الحميد دار المعرفة – بيروت، لبنان، د.ت.
- المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي (ت: ٤٠٥هـ) تح مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ، ١٤١١ – ١٩٩٠.
- المستقصى في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ط٢ ، ١٩٨٧ م .
- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي ، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) تح حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط٢ ، د.ت .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تح طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- المجلات والمواقع الإلكترونية
- مجلة العميد السنة الثالثة ، العدد الأول جمادى الأولى ١٤٣٥ ، آذار ٢٠١٤ .
- بلاغة الخطاب الإقناعي في البلاغة العربية د. حسن المودن ، موقع ديوان العرب ٢/ ٧/ ٢٠٠٦
- البلاغة العربية ،عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) ،دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية، بيروت ،ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

معالمُ القوةِ والتأثيرِ في الخطبة الفدكيّة

دراسةٌ في المؤازرات اللانصّية

Fount of Effect and Impact in the Fadic Sermon
(A Study on Noncontextual Nexuses)

أ.م.د. زهراء نور الدين قاسم

Asst. Prof. Dr. Zahra Nooraldin Qassim

معالمُ القوةِ والتأثيرِ في الخطبة الفدكيّة
دراسةٌ في المؤازرات اللانصّية

Fount of Effect and Impact in the Fadic Sermon
(A Study on Noncontextual Nexuses)

أ.م.د. زهراء نور الدين قاسم
جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Zahra Nooraldin Qassim
University of Kufa / College of Education for Women / Department of Arabic

zahraalja@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ١٤/ ١/ ٢٠١٩
تاريخ القبول:٥/ ٥/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص:

لم تقصر خطبة الزهراء عليها السلام الفدكيّة على قوّة النسيج اللغويّ لها بل استثمرت جميعَ المؤازرات والعوامل غير اللغويّة في تقوّية تأثيرها في المتلقّي، نحو: استثمار نفسيّة المتلقّي ثمّ كسر أفق التوقّع لديه، والتمهيد المبكّر للنصّ، وطبيعة القناة الإيصاليّة، ومواءمة مثلّث الحدث والزمان والمكان، والتوطئات المسرحيّة، وشخصيّة المتكلّم، ومناسبة المقام، وتلوين الأداء الصوتيّ، والزخم الحدثيّ اللّاحق؛ فكانت بذلك مثالا يحتذى للثائر الحذق الواعي الذي نجح في سلب الشرعيّة عن المستبدّين، وتمكنت من تأسيس خطّ الممانعة الأوّل المتصدّي للحاكم الظالم في تاريخ المسلمين، وأطلقت الشرارة الأولى لجميع الثورات الإصلاحيّة التالية لها.

الكلمات المفتاحيّة: قوّة الخطاب، تأثير الخطاب، مؤازرات النصّ، خارج تركيب النصّ.

Abstract

Al-Zahra (Peace be upon her) never confines her Fadakian sermon to the power of its linguistic texture. Indeed, it employs all the non - linguistic effects and factors in strengthening and intensifying its influence on the recipient such as the recipient's mood to broaden his horizon, manifest ground in the text to maintain communicative processes and to harmonize the triangle of action, time, and place, theatrical touches to convey the speaker's personality and situation, diversity in performance and convenient speech acts. She grows as an example of the conscious and sheer revolutionary who succeeds in devastating the legitimacy of the tyrants and establishes the first line of resistance against the oppressive ruler in the history of Muslims and the first spark of all subsequent reform revolutions.

المقدّمة

ما دام علماء المسلمين من المتقدّمين والمتأخّرين يسلّطون الضوء في كتاباتهم على المرحلة التي أعقبت وفاة الرسول محمّد ﷺ ؛لأنّ هذه المرحلة مثّلت شرارة انطلاق الانقسام بين المسلمين وبداية الانحراف عن الصراط المستقيم، متمثّلا بالظلم الكبير الذي وقع على آل النبيّ وبقيّته في الأرض.

وقد تنوّعت هذه الدراسات وأنماطُ مشاربِها ومناهجُ معالجاتها بين أخذ وردٍّ، وقبول ورفض، ورؤى حديثة وأخرى قديمة، ومقولات سابقة وقراءات معاصرة، وكأن فضول الكتّاب وظمأ قلمهم لم يرتويا بعد؛ لجلل الواقعة وشناعة تفاصيلها، وقد وقفت في مطالعاتي على دراسات كثيرة تناولت المستوى اللغويّ لخطبة الزهراء عليها السلام بناءً وأسلوبا وبلاغة وضمّت تلك الأبحاث مستويات اللغة كلّها صوتا وصرفا ونحوا ودلالة، وطُبِّقَ على نصّها اللغويّ كثير من المناهج اللغوية القديمة واللسانيّة الحديثة؛ فلم تبقَ شاردة ولا واردة في النصّ إلا وكان للكتّاب رأيٌّ فيها، وما زال في المنهل متّسع لوارد!.

إنّ مستوى أيّ نصّ لغويّ وقيمته التأثيريّة في المتلقّي وما يخلقه من وسط تفاعليٍّ وما يكنّه من قِوى مختلفة الأنماط ،لا يقف على ألفاظه اللغوية المنسوجة في سياق ما فقط، مهما بلغ مستوى النصّ علوّا ومهما تحشّدت فيه من معالم التأثير اللغويّة، ومهما كان لفظه وبلاغته وسياقه وحبكته رفيعا.

هناك مَعَالِم ومُصاحِبات أخرى تحيط بالنصّ وترافقه؛ فتعضّد قوّته وتزيد في أثره وتؤكّد مراميه، أو ربّما تُضعفه وتفتك به وتُميتُه؛ فيصبح نسيجا لفظيّا لا ينماز إلّا بحلاوة لفظه وطلاوة لغته؛لذا جاءت هذه الدراسة لتفصّل القول في هذا كلّه ولتستشرف قوّة النصّ وتأثيره من طريق مؤازراته اللانّصيّة، لاسيّما وأنّ الدراسات

لا تفرد بحثا خاصا أو دراسة منفصلة عن تلك العوامل، بل يوجد فيها إشارات ضعيفة من دون الاصطلاح عليها.

تمهيدٌ في مصطلحاتِ عنوانِ البحث

لا يستوي مصطلح (قوّة الخطاب) ومصطلح(تأثير الخطاب)؛ فقوّة الخطاب يقوم على ملاكه اللغويّ وخاصيّة إبلاغيّته، وأمّا تأثير الخطاب فهو النتيجة القائمة على القول، والتي يرغبها المتكلّم عادة، وينبغي ألّا يُخلط بينهما بحسب ما يرى أوستن[1]، وهو الصواب.

فقوّة الخطاب تقوم على ما هيّة المعاني التي يقصدها الخطاب ومكنة لغته ومقدرتها في بيان تلك المعاني والترويج لها، وهذا أمرٌ يتوقّف على كفاءة المرسل متكلّما كان أو كاتبا، على حين يتعلّق (تأثير الخطاب) بالمتلقّي ويقف عليه أيضا؛ فقد لا ينصاع المخاطب لمضامين الخطاب أو يتوانى فيها، إذ لا علاقة تلازميّة بين قوّة الخطاب وبين تلقّي المخاطَب له وإنجاز مطالبه، وهذا ما كان من خطبة الزهراء ﷺ التي لم يلتزم المخاطبون مراميها؛ فلم يُصحّح الانحراف ولم يقوّم الاعوجاج، وبقي الحقُّ مغصوبا والباطل متسيّدا. ولا يمكن الإعمام بعدم التحقّق على جميع مرامي الخطبة، فنسلبُها أثرَها في المخاطب كاملا؛ فقد حققّت الخطبة قسما من أهدافها ولاسيّما تعرية المتشبّثين بالحكم عن الشرعيّة، وكشف ضلالهم وخطير جنايتهم في الأمّة.

أمّا (المؤازرات)، فلغة هو جمع لاسم الفاعل المؤنّث (مؤازرة) من الفعل الرباعي (آزرَ) و«الهمزة والزاء والراء أصل واحد، وهو القوّة والشدّة»[2] وأمّا اصطلاحا؛ فأعني به: جميع العوامل التي تؤازر الكلام وتُقوّي مضامينه وتشدُّ تأثيره في المتلقّي، نحو: التوطئات المسرحيّة، وكسر أفق التوقّع غير اللغويّ، والزخم

الحدثيّ اللّاحق، والتمهيد المبكّر للنصّ، وطبيعة القناة الإيصاليّة، ومواءمة الحدث، والزمان، والمكان، والمقام، وشخصيّة المتكلّم، ونفسيّة المتلقّي.

وأمّا (اللانصّية) فأعني بها المؤازرات الخارجة عن تركيب النصِّ نفسه.

وللمؤازرات اللانصّيّة مساحة اشتراك مع (السياق غير اللغويّ)؛ فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص؛ فبعض من المؤازرات تدخل حيِّز السياق غير اللغويّ، نحو: الزمان والمكان وشخصيّة المتكلّم، وقسم آخر من المؤازرات يقع خارج نطاقه فتكون خاصّة بالمؤازرات، نحو: الزخم الحدثيّ اللاحق الموافق لأغراض النصِّ ومقاصده؛ فهو من أهمّ القضايا التي تؤازر النصّ في وظيفتها التأثيريّة في المتلقّي وتزيد من قوّته لديه، على حين لا علاقة له بفهم دلالة النصّ بوصفه عاملا إضافيّا من عوامل السياق الخارجيّ، وعلى هذا النحو أيضا كسر أفقِ التوقعِ غيرِ اللغويّ، وطبيعة القناة الإيصاليّة وغيرهنّ.

وللمؤازرات اللانصّيّة تقارب مفهوميّ مع مصطلح (ظروف النجاح) في قضيّة أفعال الكلام، تلك الأفعال التي ينبغي أن يكون لها ظروف مؤاتية لتحقّق إنجازيتها في الواقع الخارجيّ، بيد أنّ ظروف النجاح مدرُاها الشروطُ الواجبُ توافرها في المتكلّم والمخاطب والموضوع، والعلاقة بين كل واحد منهما فحسب، على حين تتّسع المؤازرات بحسب مصاديقها المبيّنة في التعريف المذكور آنفا فتشمل عوامل أخرى.

لقد تحلّقت حول خطبة الزهراء ﷺ مجموعة من المؤازرات المساندة لنصّها اللغويّ، أسهمت بتكامل الحدث الخطابيّ، وهيّأت الخطبةَ لتأخذ منزلتها التي تستحق بوصفها وثيقةً لغويةً تؤرّخ لأخطر انعطافة في تأريخ المسلمين، ونصّا ثوريّا منتفضا على ذلك.

وللأسف فإنّ الدراسات التي تسلط الضوء على دراسة النصّ اللغويّ للخطبة ومواطن بلاغته وفصاحته تغفل هذه المؤازرات ولا تُعيرها أهميّة، على الرغم من أنّ النظريّات اللغويّة الحديثة تؤكّد أنّ عمليّة التواصل اللغويّ في الأصل لا تقف على حيّز الكلمات فقط، بل تتعداها إلى أحياز أخرى أضحت واضحة معروفة لدى جميع الباحثين.

والمقام يتّسع تفصيلا طويلا وتفريعات كثيرة، ولكن تجنّبا للإطالة وتعويلا على توضيح الدراسة التطبيقية أقول: إنّ أهمّ المؤازرات اللانصّية لنصِّ خطبة الزهراء عليها السلام والتي كانت من معالم القوة والتأثير فيها، هي:

خصوصيةُ المُرسِل ومكانته:

فالخطبة الفدكيّة لو كانت صادرة عن امرأة من عوام نساء المسلمين غير فاطمة عليها السلام لم يكن لنصّها التأثيرُ نفسه، بل لن يكون له هذا الذكر مهما بلغ نسيجها اللغويّ بُسُوقًا، ففاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وهو نبيّ القوم ورسول الله إليهم بل رسوله للعالمين، وخلوصُ إيمانِها وشدةُ تقواها وعظيمُ حرصِها على الدين الحنيف قطعيّاتٌ لا شكّ فيها لدى المسلمين؛ فإن خالفوها فهم يعلمون أنّهم يجافون الحقّ، ويتّبعون شهواتهم التي لم يقاوموها في لهثهم وراء السلطة والملك، يعلمون أنّهم يُجانبون الصراط القويم، ويمتطون مهاوي الفتن، ويلِجون ظُلمات بحور الآثام... إنّ منزلة الزهراء عليها السلام المعروفة عند القوم كانت أوّل ما ساند النصَّ (الخطبة) في وظيفته التي وُجِدَ لها.

التمهيدُ المبكّرُ للنصِّ:

جرت العادة لدى بعض الكتّاب المعاصرين أن يُقدِّم كتابَه بصفحة يترك فيها القلمَ لمؤلِّف مرموق آخر يتحدَّث عن براعة الكاتب أو موضوع الكتاب أو أهميّته أو رأيه في الكاتب أو غيره من الموضوعات التي تُقال في تلك المقدّمة السريعة، والفائدة من ذلك التمهيد للمتلقّي لإنعام النظر في الكتاب والتأنّي بقراءته والتأمّل فيه، بعدما اعتقده من براعة الكاتب وصحّة ما سيبثّه في الكتاب وسلامة المضمون، بحسب ما بثّه ذلك الكاتب الآخر في التمهيد للكتاب.

والخطبة الفدكيّة كانت من النصوص اللغويّة النادرة في تاريخ البشريّة الّتي مُهِّد لها قبل بونٍ من الزمن وقبل سنوات من ولادتها، فزاد ذلك من شدّة وطأتها على القوم؛ إذ لم يفتأ النبيّ صلى الله عليه وآله في محافل مختلفة يؤكّد صادحا: «فاطمة بضعة منّي يرضيني ما أرضاها ويُغضبني ما أغضبها»[٣]، و«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»[٤] وأنّ «فاطمة سيدة نساء العالمين»[٥].

وما يعني كلام النبيّ هذا؟!

أو لا يعني -فيما يعنيه على كثرته- أنّ هذه الخطبةَ امتدادٌ لخطب النبي نفسه ؟!

أو لا يعني أنّ هذه الخطبة هي بضعة من كلامه مثلما كانت قائلته بضعة منه؟!

أو لا يعني أن الخطبة الساخطة على القوم إنما هي من سخط الله ورسوله عليهم؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيا...

كسر أفق التوقّع:

لكلّ متلقٍ أفقٌ من التوقّعات حول النصّ وملامحِهِ تسبقُ لحظةَ انتاج النصّ ولحظةَ التقائه به، وأفق التوقّع هذا لا يُرسم ولا تُحدّد أبعاده لدى المتلقّي كيفما اتّفق، وإنّما يُحدد سقفه وتُخطّ ملامحه على وفق معارف المتلقّي القديمة ومفاهيمه وإدراكاته وتصوّراته بغض الطرف عن صحّتها وسقمها، فالمهم أن نعرف أنّ هذا المتلقّي يبني أفق توقّعه عن النصّ الجديد الذي سيتلقّاه استنادا إلى خبراته ال قديمة والمعلومات الحاضرة لديه.

ثمّ إنّ قوّة النصّ التأثيريّة سواء أكانت سلبيّة أم إيجابيّة ترتبط بمدى التعارض بين ما يُقدِّمُهُ النصُّ و ما يتوقّعه القارئ؛ فكلّما كان النصُّ أقوى في كسر مستوى أفق التوقع لدى المتلقّي كان أشدّ وقعا عليه وفتكا به!

وينبغي الإلتفات إلى أنّ كسر أفق التوقّع مصطلح يتعدّى محيط لفظيّة النصِّ إلى وقائع أخرى تتّصل بسياق النصّ غير اللغويّ على نحو ما سنرى بعد قليل.

ولو عدنا إلى تلك المرحلة المتقدّمة من تاريخ البشريّة وفي تلك البقعة الصحراويّة الخالية من جذور حضارةٍ سابقةٍ، وفي ذلك المجتمع الذكوريّ فسنجد أنَّ المتلقّي كان يبني مفاهيمه وأفق توقّعه على أنّ المرأة مخلوق ثانويّ يحيا على هامش حياة الرجل تلبّي غرائزه وتقوم بحاجات منزله ليس إلّا، مخلوقٌ لا شأنَ له بسياسة ولا حكم ولا إصلاح ولا ثورة ولا مناهضة، وحدها دعةُ الحياة ونعيمها وزخرفها وزينتها المطلب الأعلى سهما لديه... والحقّ يُقال إلى العصر الحاليّ لم تستطع نسبة كبيرة من النساء تجاوز هذه العقبة، وقد قال تعالى في تشخيص ذلك: (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨))(الزخرف:١٦-١٨).

عودا على بدء أقول لو عدنا إلى ذلك العصر فسنجد أنّ أفق التوقّع لدى المتلقّي آنذاك لم يكن يألف أن تستبسل امرأةٌ من النساء في وجه أكبر قوّة موجودة آنذاك، قوّة اغتصبت الحكم وتربّعت على عرشه، ويزداد الأمر خروجا عن المألوف وكسرا للتوقّع إذا كانت هذه المرأة شابة صغيرة لم تبلغ العشرين من العمر، ولم تستوفِ -بحسب السائد لدى من تقاربها عمرا لا بحسبها هي- سنين خبرتها ولم تدخل معترك حياتها فتكتسب جرأة وتنمّرًا في مواجهة الباطل.

وتتّسع الهوّة بين حدث تلك الخطبة التي شكّلت لحظة مواجهة حامية الوطيس، وبين سقف توقّع القوم ومعارفهم السابقة عن شخصيّة الخطيبة؛ إذ إنّها لم تكن تألف صعود المنابر والخطبة في المسلمين، ولم تكن قد شهدت مجالس الرجال العامّة، وإنّما تلحّفت تجنّبَ الرجال عفّة ووقارا... كلّ هذا شكّل كسرا كبيرا جدّا لأفق توقّعهم وخروجا عن ما ألفوه واكتنزوه في معارفهم السابقة، وهذا الكسر الحادّ لأفق توقّعهم شكّل شراعا رئيسا في دعم الخطبة وفي شقّها بحور النفس والتوغّل في عمق محيطها وبثّ الدهشة فيها، فكان من أهم معالم قوّتها.

موافقة الخطبة للحدث:

إذا كانت ثورة الكلمة التي قادتها الزهراءُ لا بعلُها قد كسرت أفق التوقّع لديهم فشكّلت عمادا لقوّة الخطبة؛ فإنّ موافقةَ الخطبة للحدث القائم شكّل عمادا آخر لها، لا يقلّ شأنا ولا يتخلّف موضعا في مضمار المؤازرات المتنافسة على دعم الخطبة وتخليدها.

إنّ بلاغة ما يُقال لا تُقاس برُقِيِّ كلماته وعذوبة ألفاظه وهيأة مقاله، ولا حتّى بجمال تراكيبه وانسياب فقراته وانسجام جمله، ولا برفيع معانيه وقوّة مضامينه ودقّة مفاهيمه، ولا بكثرة أساليبه وتنوّع أصنافها ومجازات استعمالها... إنّ بلاغة

القول لا تتوقف على هذا كلّه، فكلّ ما ذُكِرَ هو فنون بلاغيّة وأنماط كلاميّة تعضِّد النصّ، ولكنّ بلاغته لاتقف عليها بوصفها الحجر الأساس في الموضوع.

فالتعريف الرئيس للبلاغة هو أنّها: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال»[٦]، ثمّ يأتي ماذُكِر آنفا تاليا لهذا، فأيُّ قولٍ لا يناسب مقتضى الظرف وحاله يخرج عن مقام بلاغة الكلام إلى مراتب دونيّة أخرى، مهما بلغ ذلك القول ومهما رُصّع بفنون قوليّة أخرى ومهما حُشّدت فيه من أدوات تقويّة القول ونجاحه، ولهذا نجد أنّ النصوص العالية من الشعر والنثر التي تخلق أثرا كبيرا في المتلقّي تَبنِي في الغالب سياقا مقاميّا تبثّه في ذهن المتلقّي فيتلقّى النصَّ ثمّ يأخذ برسم صورة متخيّلة عن المقام الذي قيلت فيه، خذ مثلا معلّقة امرئ القيس التي تُعدّ من أرفع النصوص العربيّة غير المقدّسة تجدها ترسم في ذهن المتلقّي لوحة الأطلال بتفاصيلها الدقيقة ثمّ ينتقل الشاعر ليرسم ببراعة في كل مقطع أحداثا كثيرة وتفاصيل ذكيّة، يفيد منها المتلقّي في رسم مقام المقال، فيحكم بعدها على تفرّد المقال وأدبيّته وقيمته في ضوء المقام الذي تجسّد وتصوّر في عقله.

إنّ خطبة السيّدة الزهراء ﷺجاءت منسجمة تماما مع الظرف الذي قيلت فيه، بل هي وليدةُ رحمِهِ وصنيعةُ أحداثِه ونتاجُ حاله، لذا عبّرت عن حاله أحسن تعبير وطابقت مقتضاه خير مطابقة.

ثمّ إنَّ استيعاب الزهراء ﷺلطبيعة الظرف الراهن وقتذاك، ووقوفها على الأسباب الداعية لذلك الزيغ المدلهم، تلك الأسباب التي يترأسُّها ضعفُ إيمان القوم وعدم تمكّن دين الله من جوانح أنفسهم؛ جعلها تُفرِد مساحات مهمة من خطبتها لأصول الدين وأركانه، قد يظنُّها القارئ غير المتدبّر أوّل وهلة ترفا موضوعيّا لا داعي

له في خطبة تُصنّف على أنّها خطبة انقلابيّة في وجه الظالمين، أمّا القارئ الواعي المتدبّر ذلك الظرفَ بدقّة فيفهم جيّدًا أنّ الزهراء عليها السلام قد شخّصت مقدّما أنّ السبب الرئيس في صياغة مجريات ذلك الظرف هو ضعف الدين وسطحيّته في نفوس القوم، فراحت تعالج ذلك كلّه بحسب ما تسمح به المساحات الموضوعيّة للخطبة.

أمّا ملامح ذلك الظرف فلا أريد تكرار القول فيه، فالقارئ يعرف جيّدا ما جرى من أحداث بعد وفاة الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله فلا أريد الإطناب فيه والاسترسال في ذكر ما يعرفه القارئ مليًّا.

التوطئات المسرحيّة:

الخطبة ليست نصّا يولد مكتوبا، وإنّما نصّ تصدح به الألسن أوّلا فيضرب أسماع المتلقّين ثانيا، وعليه قيلت واشتهرت عبارة «الخطيب المفوّه»؛ فهو فنّ أدبيّ يقوم على المشافهة ، وهذه المشافهة تقتضي مساحة من التلاقي المباشر بين الخطيب والمتلقّي ابتداء.

إنّ مساحة التلاقي هذه تضفي على الخطابة تقاربا مع ملامح الفنّ المسرحيّ؛ فالخطبة ترتبط في الغالب بمنصّة إلقاء وهيأة خطيب وتفاعلٍ بين متحدّث ومستمع وكلام مقال، كلٌّ بحسب مقامه في الحدث الخطابيّ.

لنتأمّل وصف نوف البكاليّ حين يقول في مستهلّ خطبة من خطب أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يرويها: «خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة، وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزوميّ، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثفنة بعير»[٧] إنّ مثل هذا الخطيب المتفرّد في عصره الذي يرسم لسامعيه هذا المشهد قبل أن يغور في وعظهم وإرشادهم لكفيل بأن يضمن التأثير الكبير فيهم، فقد أحرز

مقدّما التوطئات المتوائمة لخطبته من دون عناء أو تكلّف أو مراءات –حاشاه عن ذلك–، بل كان كلّ ذلك جزءا من واقعه المعروف بين الناس في الزهد والتقوى ومجافاة الدنيا وتطليقها.

ولو عدنا لخطبة مولاتي الزهراء عليها السلام فسنجد أنّ مصادر التأريخ تروي المقدّمات المسرحيّة للخطبة بدقّة بالغة، والتي قصدتها الزهراء ورسمتها بخطوات متأنّية بوصفها مقدّمة لازمة لخطبتها أدّت إلى توفير الجو الحذر للخطبة الرافض للمشهد القائم على غواية الشيطان، جاء في رواية الخطبة: «روى عبد الله بنُ الحسن عليه السلام بإسنادِه عن آبائه عليهم السلام أنَّه لمّا أجمع أبو بكر عَلى مَنعِ فاطمةَ عليها السلام فدكَ، وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خمارَها على رأسِها، واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وأَقْبَلَتْ في لُمّةٍ مِنْ حَفَدَتِها ونساءِ قَوْمِها، تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله، حَتّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وغيرهم فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ المَجلِسُ. ثُمَّ أمْهَلَتْ هنيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومِ، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ الله وَالثناءِ عليه والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ، فَلَما أَمْسَكُوا عادَتْ فِي كلامِها...»[٨]، فلوث الخمار على الرأس، أي: لفُّه على الرأس بهيئة التعمّم يُنبِئ عن مواجهة خطب ما، والاشتمال بالجلباب له سيميائيات عديدة منها أنّها تلك المرأة المحافظة على الدين في حجابها وخطابها، وأنّها ابنة النبيّ الذي جاء بتلك التعاليم وذلك الدين والتي تخرج اليوم لتصحيح مساره، وإقبالُها في لمّة من حفدتها ونساء قومها، أي مجموعة من النساء القريشيّات سيمة على أمور كثيرة، ربّما من ذلك أنّها لا تخلو من ناصر، أو ربّما أنّها تريد لفت الانتباه إلى خطبتها مقدّما وهي في طريقها إلى المسجد لتدفع من لم يكن حاضرا إلى الحضور، فلو سارت وحدها وهي منقّبة لن يتأتّى ذلك لها، إذ لن يعرفها

الناس من وراء نقابها ولكن أن تخرج بصحبة لمّة من القريشيّات فهذا سيلفت انتباه الناس ويعلمون أنّ حدثا مهمّا سيقع، أو ربّما تكون قد أرادت أن تقول بخروجها في لمّة من النساء القريشيّات، أنّها أصل قريش التي اغتُصبت الخلافة باسم الصلة بها، باختصار أقول من المؤكّد أنّ هذه الفقرة من التوطئة للخطبة تحديدًا قد حملت دلالات مهمة كثيرة تعمّدتها الزهراء عن استيعاب ووعيّ لدلالات الأحداث... أمّا صورة «تطأ ذيولها» فأوّلى الدلالات حضورا هي الحشمة المفرطة والتستّر البالغ، وينبني عليها أنّ امرأة على هذا النحو جديرة بأن تخطب في المسلمين وتعمد إلى إرجاعهم الى الدين القويم.. وصورة «ما تخرم مشيتها مشية رسول الله» فهذه بحر من السيميائيّات المتلاحقة تبثّها الزهراء في قوم أضاعوا حقّ رسول الله وظلموا بقيّته وأدنوا البعيد وأقصوا القريب، ولا أريد الإطناب أكثر في شرح سيميائيّات التوطئات المسرحيّة بما يُفسد على القارئ تذوّق استقراء دلالاتها، فضلا عن أنّ مقصدي ليس شرح دلالات السيميائيّات وإنّما التركيز على نباهة الزهراء عليها السلام وما شحنت به خطبتها من توطئات مسرحيّة رصّنت معالم قوّتها وما تتركه من أثر في النفوس.

نمط القناة الإيصاليّة:

إنّ نظريّة الإعلام التواصليّ تذهب إلى أنّ الاتّصال المؤثّر في المتلقّي يقوم على خمسة أركان، هي:

١- مرسل يستعمل اصطلاحا معيّنا أو شفرة معيّنة.

٢- اصطلاحٌ متّفق عليه يستعمل في الإرسال.

٣- رسالة يراد تبليغها وتفاعل المتلقّي معها.

٤- قناة مناسبة تنتقل بوساطتها تلك الرسالة الإبلاغيّة.

٥- مستقبل يفكّ رموز الاصطلاح.[٩]

إنّ القناة الإيصاليّة تمثّل الطريقة التي سيتّبعها المرسل لإيصال رسالته اللغويّة، فهل سيرسلها نصّا مكتوبا أو قولا مسموعا، ثمّ لو اختار قناة إيصاله نصّا مكتوبا مثلا فما تلك الملامح التي سيقولب القناة بها؟ هل سيجعلها نثرا مرسلا أو يجعلها شعرا؟ ماهيأة الكتاب الخارجيّة؟ ما طريقة تقسيمه وتبويبه؟ من سيقدّم الكتاب له؟ وغيرها من التفصيلات الكثيرة لشكل القناة التي سيوصل المُرسِلُ رسالته من طريقها.

ولمّا كانت القناة الإيصاليّة لأيّ رسالة لغويّة تعدُّ ركنا أساسيّا مهمّا تقوم عليها نظريّة الإعلام التواصليّ برمّته، لذا كان واجبا على المرسل الاعتناء بها والنظر في تفاصيلها ومدى تناسبها مع طبيعة رسالته.

ولم يفت فاطمة الزهراء ﷺهذا، وسعت إلى أن تكون قناتها الإيصاليّة عاملا رئيسا من عوامل قوّة خطبتها، فاختارت أن تكون تلك القناة المشافهةَ المباشرةَ، فلم تجعلها نصّا مكتوبا يلقيها على القوم رسولٌ إليهم تكلّفه بها، ولم تجعلها خطبة يوصلها ويلقيها أمير المؤمنين ﷺ بدلا عنها.

بل اختارت أن تجعلها خطبةً تلقيها على القوم مشافهة بنفسها، وإنّي لأستشعر صعوبة اختيارها هذا بحسب طبيعة حجابها شديد التحفّظ، وأقول جازمة لو لم يكن الأمر عظيما والخطب جليلا لما أخرجها شيءٌ من بيتها ودفعها إلى حيث تجمع جمهور المسلمين في المسجد، ولكنّه الشعور بالمسؤوليّة وواجب الحفاظ على الشريعة المحمّديّة.

إنّ قناة المشافهة المباشرة لمن أفضل القنوات الإيصاليّة التي تضمُن تفاعلا أكبر للمتلقّين مع المضمون الإبلاغيّ، ولاسيّما في النصوص غير الأدبيّة التي لا يهدف من قراءتها التذوّق الفنّيّ للمقول فحسب، فالمشافهة من شأنها أنّ تضيف دلالات

على النصّ كثيرة لا تتأتّى للنصّ المكتوب، بوساطة طريقة تنغيم الملفوظ، وهيّأة المتلقّي وموضع إلقائه والحدث الآنيّ المصاحب الذي يعيشه المتلقّي وغيرها كلّها عوامل تزيد من إيصاليّة الرسالة الإبلاغية للمُرسَل إليه.

وينبغي الإشارة هنا أنّ اختيار الزهراء عليها السلام الخطابةَ قناةً إيصاليّةً لرسالتها دليل على مكنة تلك السيّدة ومقدرتها العلمية والإفصاحيّة والبلاغيّة، فإذا كان كاتب المقال مثلا يستطيع أن يقدّم ويؤخّر ويحذف ويضيف ويبطئ ويرجئ ويقوّم أفكاره ومضامينه ويصحّح جمله وعباراته إلى أن يستوي مقالُه كاملا فإنّ ذلك ليس بمتأتٍّ للخطيب الذي سيواجه جمهورا كاملا بكلام مباشر والخطأ عليه محسوب والزلّة منه مكشوفة، لذا فالملتفت إلى هذه النكتة سيدرك ما قدّمنا قوله عن مقدرة السيّدة فاطمة ومكنتها في هذا المجال.

تلوين الأداء الصوتيّ:

أشرنا آنفا -على نحو سريع- إلى أنّ من بين وسائط القناة الإيصاليّة الشفويّة في إضافة الدلالات على النصّ هو «طريقة تنغيم الملفوظ» وهو الجنبة الرئيسة من جنبات تلوين الأداء الصوتيّ في الكلام المنطوق، يلحقه الفصل في الكلام إذ يحمل دلالات إضافيّة على الكلام المنطوق أيضا، ولا يدخل النبر في هذا الجانب، فمن «المعروف أنّ اللغة العربيّة لا تستخدم النبر كفونيم»[١٠] أي وحدة صوتيّة قادرة على التفريق بين المعاني بإضافة معنى جديد، بل النبر الموجود في جميع كلمات اللغة في الغالبيّة الساحقة من مواضعه لا يتعدّى أن يكون ضغطة صدريّة للصوت في موضع من الكلمة تقال بطريقة تلقائيّة بحسب النطق المعهود لأيِّ كلمة من كلمات العربيّة، فالنبر مثلا على المقطع الأخير في كلمة (نستميل) لا يحمل أيَّ دلالة إضافيّة.

وهذا خلاف للتنغيم والفصل اللّذين يدلّان على معانٍ إضافيّة، نحو: التوكيد،

والانفعال، والدهشة، والغضب، والحزن، والرفض والإيجاب... الخ، إنّ نُطْقَ جملة «أبي هنا» بنغمة معتدلة يدلّ على الإخبار والتقرير، على حين نطقها بنغمة هابطة يدلُّ على الاستفهام، وأمّا نطقها بنغمة عالية فيدلّ على التهكّم أو الوعيد أو التعجّب، على حسب حالة المُرسِل للكلام.

وعليّ الإشارة هنا إلى أنّ تلوين الأداء الصوتيّ يُعدّ من مؤازرات النصِّ المهمّة الخارجة عن تركيب النصّ نفسه وإن كان تأديتها مسألة نطقيّة، فالنصُّ مجرّدا لن يحمل تنغيما ولا أيَّ تلوين صوتيّ ولكنّ الناطق يؤازره بالتلوين الأدائي ليقوّي مراميه ويثبِّت مقاصده. والحقُّ يقال إننا لا يمكن أن نقف بعد أربعة عشر قرنا على طريقة أداء الزهراء عليها السلام لخطبتها صوتيّا، إذ لم نكن حاضرين لنقف على طريقة أدائها للجمل والتراكيب، ولكنّنا في الوقت نفسه نقف على معطيات قاطعة تؤكّد إفادة الزهراء من هذه الجنبة في تقويّة مضامين خطبتها، وهذا يتّضح لنا في مقدّمة ما روي من خطبتها، إذ فيها: «فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثمّ أنَّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء!»[11] عجبًا عجبا! ها هي الزهراء عليها السلام تفتتح خطبتها بصوت تنغيمي خالص(آه..)، أنّت أنّةً فاختصرت دلالات كثيرة بتنغيم لفظ واحد، الحزن على أبيها المفقود، والتحسّر على ما أصاب الدين القويم، والتوجّع على ضلعها المكسور، وإنكار ما فعله القوم...ألخ وقولها بعد فينة من خطبتها: «أيها الناس ! اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد صلى الله عليه وآله...»[12] يحمل دلالات إضافيّة غير دلالة الألفاظ الظاهرة، فقد أنزلت المخاطب العالم منزلة الجاهل وجعلت غير المنكر كالمنكر لتدلّ على أن أفعال القوم بغصبها ميراثها جاءت منكرة لأبوّته صلى الله عليه وآله لها، ومثل هذا المعنى الإضافيّ لن يظهر ويُبرّز بعيدا عن تنغيم الكلام بنغمة مؤاتية تختلف في شدتها ودرجتها عن نغمة الكلام التقريريّ العادي.

وهكذا مجمل خطبتها مليئة بالمعاني الإضافيّة التي تستلزم التنغيم وأداءها وفق

لون صوتيّ معيّن ليظهر المعنى المراد، وسأكتفي بالمقطع الآتي تمثيلا فالمواضع جمّة لا يسعها المقام، قالت فداها نفسي: «وأنتم الآن تزعمون أنّ لا إرث لنا! أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته أيّها المسلمون! أأغلب على إرثي يا ابن أبي قحافة؟ أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟»[١٣] ففي الكلام دلالات إضافيّة بالغة كالتعجّب والإنكار والتهكّم والسخريّة، وليس غرضي تفصيل القول فيها فهذا من متعلقات الدراسات اللغوية، ولكني أوردها لأبيّن استعانة الزهراء ﷺبالتنغيم بوصفه ملمحا فوق التركيب اللغوي، يعدّ من معالم القوّة والتأثير للنصّ.

التعضيد النصّيّ الخارجيّ:

سعت السيدة الجليلة فاطمة الزهراء ﷺإلى تثبيت مضامين خطبتها الفدكية بكل الوسائل التي تملكت ناصيتها وأمسكت زمامها و أتيحت لها، وقد أبدعت في خلق الطرق وإيجادها ولم تضيّع فرصة سانحة لها إلا أكّدت بها مضامين خطبتها.

من ذلك أنّ نساء القوم قد عدنها في مرضها الذي استشهدت فيه، وذلك بعد ما ألقت الحجّة على القوم، ولم يرعوِ مغتصبو الحقّ عن اضلال جمهور الأمّة، إلّا أنّها لم تألُ جهدا عن مواجهة الباطل في أيّ فرصة تسنح لها، لذلك حين سألنها النسوة عن حالها وقد قاربت الشهادة لم تتطرّق إلى صحّتها المسلوبة وعافيتها المهدورة، بل راحت تؤكّد مقاصد خطبتها الفدكيّة، كي تدفع عن أوهامهم أنّ ما صدر عنها كان عن غضب زائل وجرحٍ عابر، بل هو صراط قويم لا يزيغ عن جادته ولا يزول عن موضعه؛ لذا أجابتهن ﷺ: «أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وسئمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحدّ واللعب بعد الجدّ، وقرع الصفاة وصدع القناة، وخطل الآراء وزلل الأهواء، وبئس

ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون...»[١٤] ثم تُكرّر الدعاء عليهم بألفاظ شتّى؛ فتقول: «فجدعا وعقرا وبعدا للقوم الظالمين»، ثمّ تعدو إلى أصل الانحراف وركنه الهاوي في سلب أمير المؤمنين علي عليه السلام الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فتقول: «وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله. وتا لله لو مالوا عن المحجّة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردّهم إليها وحملهم عليها، ولسار بهم سيرا سجحا، لا يكلم خشاشه، ولا يكلّ سائره، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا صافيا رويّا، تطفح ضفتاه ولا يترنّق جانباه، ولأصدرهم بطانا ونصح لهم سرّا واعلانا، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب»[١٥].

ثمّ تردف قولها بالتهكّم والتحضيض وعلى وتيرة أبلغ من السابقة قائلة: «ألا هلمّ فاسمع! وما عشت أراك الدهر عجبا! وإن تعجب فعجب قولهم، ليت شعري إلى أيّ سناد استندوا، والى أيّ عماد اعتمدوا، وبأية عروة تمسّكوا، وعلى أيّة ذريّة أقدموا واحتنكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا»[١٦] ... إلى آخر قولها، وهي في هذا كلّه تعضّد خطبتها الفدكيّة بكلام أشدّ وأقوى، فلا تراجع ولا تنازل ولا أفول في جادّة الحقّ الإلهيّ.

الزخم الحدثيّ اللاحق:

بعض الخطب تفقد قوّتها وشدّة تأثيرها في المتلقّي وانطباعها في وعي المخاطب بعد مدّة وجيزة جدّا، إذ يُضعِفُها ويُميتُها تناشزُ الأحداث -الواقعة بعدها- مع مراميها وأهدافها، كأن يُلقي الخطيب خطبة في فضل شهر رمضان في آخر ليلة منه، فيتلوها العيد في اليوم التالي فلا تكتسب تلك المكانة فيما لو ألقيت في

الليلة الأولى من شهر رمضان إذ النفوس المستعدة لتلقّي شهر الله الفضيل فضلا عن الأعمال العباديّة الصادرة عن الخطيب في محفل القوم طيلة الشهر الفضيل المتوائمة مع الخطبة، فيضحي الخطيب ترجمانا لخطبته وتوكيدا لمراميها لدى المخاطبين.

إنّ المتتبّع لأفعال الزهراء عليها السلام اللاحقة بعد إلقاء خطبتها، يدرك جيّدا مقدار فطنة الزهراء وحرصها على تقوية مضامين خطبتها وتثبيت موقفها الذي أعلنته فيها، وكان لها ذلك؛ إذ عرف المسلمون جميعا ثباتها على موقفها وتشبّثها بمناهضة القوم الناكثين لعهد الله ورسوله، بل إنّ الأمر كان من القوّة والثبات والشياع أن وصل إلى متون كتب أهل السنّة أنفسهم المؤلّفة بعد قرون من الحادثة، مع شدّة حرص الأمويّين ومن تلاهم على محو ذلك كلّه؛ إذ تشير الروايات بحسب المذكور في مصادر أهل السنّة بدقّة إلى ما سار إليه الأمر وما نجم عنه، إذ ورد فيها: «فغضبت فاطمة عليها السلام فهجرت أبا بكر رضي الله عنه، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت»[١٧].

ولم يقف الأمر عند هذا فحسب، بل حرصت على تأكيد ذلك وتثبيت حقّها حتّى بعد وفاتها إذ أوصت الإمام عليّا عليه السلام قبيل وفاتها أن يدفنها ليلاً وأن لا يحضرها الشيخان، فـ» عن عائشة قالت دفنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلا دفنها علي ولم يشعر بها أبو بكر رضي الله عنه حتى دفنت وصلى عليها علي ابن أبي طالب رضي الله عنه»[١٨]، وعلّل ذلك ابن حجر أنّه : «كان ذلك بوصيّة منها»[١٩]، لقد كان لهذه الأحداث جميعا

اللاحقة لإلقاء الخطبة أثر في توكيد مراميها وثبات مفاهيمها وتقوّية مقاصدها، ولقد أثبتت الزهراء عليها السلام علو كعبها في فهم مجريات الأحداث وفي استيعاب أهميّة الزخم الحدثيّ اللاحق لخطبتها العصماء.

الخاتمة

قوّة النصّ ومستوى تأثيره في المتلقي لا يقف على الجنبة اللغوية فيه مهما بلغت براعة وارتقت منزلا، إذ هناك مؤثرات أخرى تحيط بالنصّ وتؤازره؛ فالمؤازرات اللانصّية: هي جميع العوامل التي تؤازر الكلام وتُقوّي مضامينه وتشدُّ تأثيره في المتلقّي، نحو: التوطئات المسرحيّة، وكسر أفق التوقّع اللّالغويّ، والزخم الحدثيّ اللّاحق، والتمهيد المبكّر للنصّ، وطبيعة القناة الإيصاليّة، ومواءمة الحدث، والزمان، والمكان، والمقام، وشخصيّة المتكلّم، ونفسيّة المتلقّي، وتلوين الأداء الصوتي، وهذه المؤازرات تشترك بعلاقة عموم وخصوص مع السياق غير اللغويّ، ولكنها ليست علاقة تطابق.

إنّ الزهراء عليها السلام كانت مثالا للمرأة الواعية والخطيب الحذق والثائر الملمّ بمجريات الأمور؛ فلم تألُ جهدا أن تستثمر جميع المؤازرات اللانصّية في تقويّة خطبتها وتأثيرها في المتلقّي، فكان نتاج ذلك أن سلبت الشرعيّة من المستبدّين على الرغم من كل جهودهم المبذولة في هذا الجانب، وأسسّت لخطّ الممانعة الأوّل المتصدّي للحاكم الظالم في تاريخ المسلمين؛ فكانت الشرارة الأولى لجميع الثورات والانتفاضات التي لحقتها في العصور الإسلامية المختلفة.

الهوامش

١ – اللغة والدلالة آراء ونظريات: ٦٥، ٦٦.
٢ – مقاييس اللغة: أزر ١/ ١٠٢.
٣ – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار:٤٣/ ٣٩.
٤ – الأمالي للشيخ المفيد: ٩٥.
٥ – شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ٣/ ٦٠.
٦ – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:١/ ٤٣.
٧ – شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣٨٠.
٨ – الاحتجاج: ١/ ١٣١، ١٣٢.
٩ – اللغة والإبداع: ٥٤، ٥٥.
١٠ – دراسة الصوت اللغوي: ٣٥٧.
١١ – الاحتجاج: ١/ ١٣٢.
١٢ – المصدر نفسه: ١/ ١٣٤.
١٣ – المصدر نفسه: ١/ ١٣٨.
١٤ – بحار الأنوار: ٤٣/ ١٥٩، ١٦٠.
١٥ – المصدر نفسه: ٤٣/ ١٦٠.
١٦ – المصدر نفسه: ٤٣/ ١٦٠.
١٧ – مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٤٢.
١٨ – المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٦٣، وينظر: صحيح مسلم: ٥/ ١٥٤.
١٩ – فتح الباري: ٧/ ٢٧٨.

المصادر:

القرآن الكريم.

❁الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن عليٍّ الطبرسيِّ(ت٦٢٠هـ)، تحقيق: محمَّد باقر الخرسان، النجف الأشرف ١٩٦٦م.

❁الأمالي، لأبي عبد الله محمّد بن نعمان المفيد(ت٤١٣هـ)، تحقيق الحسين أستاد ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٢، دار المفيد ١٤١٤هـ.

❁بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، لمحمَّد باقر المجلسيِّ، ط٢، بيروت ١٩٨٣م.

❁جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد إبرهيم مصطفى، المكتبة العصريّة، بيروت (د.ت).

❁دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٤م.

❁شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي، ط٢، قمّ ١٤١٤هـ.

❁شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، قمّ.

❁صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل ، البخاري (ت ٢٦٤هـ) طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، بيروت ١٩٨١م.

❁صحيح مسلم، لمسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الفكر بيروت.

❁فتح الباري ،لابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة بيروت.

❁اللغة والإبداع شكري عياد، القاهرة ١٩٨٨م.

❁اللغة والدلالة آراء ونظريات، عدنان بن ذريل، منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق ١٩٨١م.

❁المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.

❁مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، دار صادر، بيروت(د.ت).

❁مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

توظيف الخطاب القرآني في الخطاب الفدكي

Quranic Discourse Employment in the Fadic Discourse

م.د. آمال خلف علي آل حيدر
Lectur. Dr. Amal Khalif Ali Alhaider

توظيف الخطاب القرآني في الخطاب الفدكي

Quranic Discourse Employment in the Fadic Discourse

م.د. آمال خلف علي آل حيدر
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة /
قسم علوم القرآن والحديث

Lectur. Dr. Amal Khalif Ali Alhaider
University College of Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences / Department of Quranic Sciences and Hadith

Amal.alhaider2017@gmail.com

تاريخ الاستلام: ١٤/ ١/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ٥/ ٥/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث :

المسارات التي يخطها هذا البحث تؤصل الثقافة القرآنية في نفوس الأمة ؛ لأن الخطاب القرآني خطاب هداية وإرشاد (فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن) ، فالقرآن يمثل محوراً مهماً في حركة المصلحين ؛ لذا جاءت مناسبة البحث بالكشف عن التوظيف القرآني في خطبة الزهراء عليها السلام الفدكية ، ولا سيما أن حركة الزهراء عليها السلام في حد ذاتها كانت قرآنية ؛ لأن البواعث الأساسية لهذه الحركة هي إحقاق الحق وكشف الباطل ، وهذا يستدعي بيان المفاهيم القرآنية التي لازمت الحركة ، وجعل هذه المفاهيم الحاكم في بيان المسارات الحقة من المسارات الباطلة ، وهذا التقاطع في حركة المسارات يمثل ثقافة الأفراد ؛ لأن مواقف الأفراد تُبنى على أساس الثقافة ، وما السلوك الخارجي إلا مصداق على ذلك ؛ لهذا سعى الخطاب القرآني في حركته التغييرية الى تغيير ما في النفوس ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) ؛ لهذا أخذت حركة المصلحين تستهدف ثقافة الأفراد والمجتمع لعلمها بأن حركة الأفراد داخل المجتمع نتاج ما يؤمنون به من ثقافة ، والزهراء عليها السلام تُدرك ذلك وكيف لا ؟ وهي بنت خاتم النبيين وسيد المرسلين .

وهذه المفاهيم القرآنية أضحت أبعاداً تداولية في بيان القيم المعرفية في تشكلات خطاب الزهراء عليها السلام ، فضلاً عن ذلك كشف ملابسات الخطاب ، وسياقاته الثقافية .

Abstract

The current research study is to trace the Quranic culture in the hearts of the Ummah ; because the Quranic discourse is a guidance and a letter . If the temptation is to seduce you like a dark night, then you should read the Quran , it is an important axis in the reformation movement . In specificity , the movement of Zahra (peace be upon him) is a Koran as the main motivations of such a movement are to realize the truth and to uncover falsehood . It is to demand a statement of the Quranic concepts to characterize the movement and to change the interior as much as the attitudes of individuals are based on culture . That is why the movement of reformers targets the culture of individuals and society : the movement of individuals in a society is the product of what they believe in culture . Thus Al-Zahra (peace be upon them) is quite aware of the fact that the movement of individuals in the society is the result of what they believe in . So there is no impossibility with the daughter of the Seal of the Prophets and the Master of the Messengers.

These Quranic concepts become an informative dimension in manifesting the knowledge values , in forming the speech of Al-Zahraa (peace be upon them) and in exposing the circumstances and reasons of the cultural contexts as well.

توطئة

تشكل المعارف القرآنية في أبعادها التداولية أساساً لكل الخطابات الدينية المطبوعة بطابع « النصح والإرشاد» ، ولاسيما خطاب الزهراء ﷺ الذي يعد امتداداً طبيعياً للخطاب القرآني في دائرة المفاهيم ، ومساحات الاشتغال في إطار السلوك العملي التطبيقي بشقيه الضمني والمباشر .

وهذا التوظيف للنصوص القرآنية أضحى يمثل أبعاداً معرفية قيمية ، تمسك بها النص فأضحى سمته ، فضلاً عن ذلك معرفة يدعو إليها ، تمثل السلوك الخارجي الذي يجب الالتزام به ، وهذه المحاكاة تشكل بلاغة في الاقناع ؛ لأنها ألزمت متلقي الخطاب الحجة في ضوء الاستحضار الذي استقدمه المتكلم – السيدة الزهراء ﷺ – من النصوص القرآنية التي وظفتها في خطابها ، التي شكلت العماد في مواجهة القوم ؛ لأن القوم التزموا ضمناً وظاهراً به .

وهذه المعرفة القرآنية التي يقدمها خطاب الزهراء ﷺ ، تكشف عن مناسبة القول وصلته بظروف نشأته ، وفي ضوء تلك « **المقتضيات الحوارية** »تنتخب السيدة الزهراء ﷺ النصوص القرآنية ذات المفاهيم التي تروم وضعها أمام مستقبلي الخطاب من أجل تحقيق الأهداف التي استدعت القول .

وهذه المفاهيم هي الأساس في حركة الفرد في سلوكه الخارجي ؛ لأن السلوك الخارجي كالمرآة يعكس المفاهيم التي تمكنت من الفرد ، فإذا أردت أن تغير السلوك الخارجي وتقومه وجب عليك تغيير المفاهيم التي يؤمن بها الفرد ، وبخلاف ذلك لا تستطيع فعل شيء إزاء ذلك ، فالتغيير مرهون بتغيير المفاهيم وتعديلها ، وهذا المسوغ الأساسي في تبني المفاهيم القرآنية في حركة التغيير؛ لأنها مفاهيم حقيقية وقابلة للتبني ، والعمل بها .

المطلب الأول

الخطبة الفدكية : بين إشكاليات القراءة وآليات التطبيق

تعدد زوايا النظر في المنجز القولي ينتج قراءات متعددة ، وهذه القراءات قد تمثل إسقاطات القارئ على النص ، فهو بذلك لا يفسر النص ويكشف عن معانيه الحقيقية ، بل يكشف عما يحمله اتجاه النص ، أما خطاب السيدة الزهراء عليها السلام فإنه يشكل خطاً بيانياً يكشف عن خطين متوازيين بين الرقي والانحطاط والمعيار الفاصل بين الاثنين بيَن القراءات المتعددة ، فسلطت السيدة الزهراء عليها السلام الأضواء على أساسيات الإسلام المتمثلة بأصول الدين وفرعه ، موضحة علل تشريع الأحكام العبادية التي كلف الله تعالى بها عباده بأسلوب شيَق يأخذ بمجامع القلوب العارفة بالله فتطرقت بالتدريج شارحةً للعبادات بما يلي :-

فلسفة العبادات :- ذكرت السيدة الزهراء عليها السلام توضيحاً مُركزاً لجملة من التشريعات العبادية ، فضلاً عن الفائدة المرجوة منها فقالت ((**فجعل الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكِبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتاً للإخلاص ، والحج تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للملة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة ، والجهاد عزاً للإسلام ، والصبر معونة على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة ، وبر الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغيراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفة ، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية ،(فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَ إلا وأنتم مسلمون)**[1] ، **وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنه (إنما يخشى الله من عبادهِ العلماءُ)**[2]))[3]،يظهر جلياً تعليل السيدة الزهراء عليها السلام

لفرائض الله تعالى إذ قالت:(**فجعل الإيمان تطهيراً لكم من الشرك**) أرادت بذلك أن الله تعالى أوجد الإيمان بمنظومته القيمية الكُبرى ؛ ليطهركم أيها الناس من دنس الشرك والضلال ، فإذا استقر الإيمان في قلوبكم واستيقنته نفوسكم ، شرع فرائض العبادة فقالت عليها السلام:(**والصلاة تنزيهاً لكم عن الكِبر**) أشارت إلى الهدف من تشريع الصلاة ؛ بأنها ترتقي بكم وتُنقِيكُم من الكبرياء والتكبر الذي لا ينبغي إلا لله تعالى ففي الصلاة إذعان بالعبودية ، وإقرار بالربوبية ، وفي (**الزكاة**) قالت (**والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق**) مُبينةً أن استخراج الزكاة من أموالكم ؛ فيه طيب لأنفسكم قبل أموالكم ، فتشعرون بالراحة والطمأنينة ، فضلاً عن تنامي رزقكم وتزايده ، وذكرت عليها السلام فضل الصيام فقالت (**والصيام تثبيتاً للإخلاص**) فتأدية الفرد المسلم لفريضة الصيام يدل على إخلاص الإنسان لخالقه ، فضلاً عن إنه اختبارٌ للخلق في صبرهم على الطاعات ، واصلت السيدة الزهراء عليها السلام وصفها الدقيق لفروع الدين الحنيف مُشيرةً بقولها (**والحج تشييداً للدين**) فالحج يُعد تظاهرة دينية عالمية تتلاشى فيها كل الفوارق الطبقية والعرقية ، فضلاً عن إظهار قوة الدين.

توظيف النص القرآني :- استغرقت السيدة الزهراء عليها السلام في وصفها فضل أهل البيت عليهم السلام قائلةً (**وطاعتنا نظاماً للملة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة**)[٤] ، كذلك بيَنت للناس مدى مشروعية طاعة أهل البيت عليهم السلام ؛ لأن الطاعة لهم هي مظهر لنفوذ العدل الإلهي ، وتوضح الزهراء عليها السلام أن طاعتهم نظام لأمور المسلمين ، وإمامتهم أمان من الفرقة التي تنخر جسد الإسلام فضلاً عن المسلمين ؛ لاقترانها بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله ؛ ولأنها طاعة بالمعروف ، فلا طاعة للحاكم أو غيره في غير المعروف ، ونستقري من نص الخطبة أحد المفاهيم المعرفية القرآنية المتمثلة بمفهوم الطاعة الذي يُعد إحدى الإشكاليات التي لم يعِ المجتمع آنذاك قراءتها فضلاً عن آلية العمل بها ، لذا أكدتها

السيدة الزهراء بقولها(**وطاعتنا نظاماً للملة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة**) وكأنها تشير إلى ما ورد في القرآن الكريم (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**)[٥] بما يؤيد دعواها ؛ موضحةً ذلك لعامة الناس الذين كانوا بين مؤيدٍ ورافضٍ لها مع علمهم بالنص القرآني الذي استدلت به ؛ لأنهم كانوا يعرفون القرآن بل يقرؤونه كما يزعمون ، فجاء استدلالها عليها السلام بالنص القرآني دحضاً لحجتهم وإسكاتاً لهم ، ودعماً لدعواها ، إن التصريح القرآني بوجوب طاعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وطاعة أولي الأمر من بعد الرسول إنما هي امتداد لطاعة الله تعالى ، فطاعة الله تعالى تتمثل في امتثال أحكامه فضلاً عن الالتزام بالحلال والحرام ، أما طاعة الرسول وأولي الأمر تُعد طاعة أخرى، كذلك أشارت عليها السلام إلى ضرورة التمسك بالإسلام والتحذير من مغادرة الحياة على غير الإسلام فأشارت ضمناً الى النص القرآني بقولها :

(فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَ إلا وأنتم مسلمون) ((ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقاتهِ ولا تموتُنَ إلا وأنتم مسلمون))[٦]

وقوله تعالى: ((**ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**))[٧]

فقد وضحت الزهراء عليها السلام أن الدين الحقيقي هو الاسلام ، أي التسليم لأمر الله بمعناه العام ، وأما بمفهومه الخاص فهو الانتقال الى الدين الاسلامي الذي هو أكمل الأديان فتقول الآية : إنه لا يقبل من احد سوى الاسلام مع الأخذ بنظر الاعتبار احترام سائر الشرائع الالهية المقدسة ، وأما الذين يتخذون غير هذه الحقيقة ديناً ، فلن يُقبل منهم أبداً ولهم عقاب شديد ((وهو في الآخرة من الخاسرين)) ؛ لأنه تاجر بثروة وجوده مقابل بعض خرافات وتقاليد بالية وعصبيات جاهلية وعنصرية ، ولا شك أنه هو الخاسر في هذه الصفقة ، وإذا ما خسر الإنسان ثروة وجوده ، وجد نتيجة ذلك حرماناً وعذاباً وعقاباً يوم القيامة .[٨]

المطلب الثاني

مفاهيم المعرفة القرآنية في الخطبة الفدكية

المحددات والمناهج

أُثر عن السيدة الزهراء عليها السلام خطبتها المعروفة ب (الخطبة الفدكية) التي مثلت منظومة معرفية مثالية ، فكانت مليئة بالمفاهيم القرآنية ذات الأبعاد القيمية في المجتمع المحفوف بالفتن والأحقاد ، فالزهراء عليها السلام أرادت أن تُنبه الناس على مدى الخطأ الذي ارتكبه القوم في حق الأمة الإسلامية فضلاً عن حقها ، من خلال احاطتها بمتطلبات المرحلة التي كان يمُر بها المسلمون آنذاك ؛ لذا وجهت خطبتها إلى ثلاث فئات من المخاطبين هم :-

أولاً :- **عامة الناس** ، نلمح في خطابها عليها السلام لعامة الناس من الحضور في المسجد إلى تذكيرهم بأنهم مسؤولون تجاه الله تعالى ، بقولها ((**أنتم عباد الله نُصب أمره ونهيه وحملة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم ، وبلغاؤه إلى الأمم ، زعيم حقٌّ له فيكم ، وعهدٌ قدمه إليكم ، وبقية استخلفنا عليكم كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضياء اللامع ، بينةٌ بصائرهُ ، منكشفةٌ سرائرهُ ، متجلية ظواهرهُ ، مغتبطٌ به أتباعهُ ، قائداً إلى الرضوان أتباعهُ ، مؤدٍ إلى النجاح استماعهُ ، به تُنال حُجج الله المنورة ، وعزائمهُ المفسرة**))[٩] أي إنكم منصوبون لأوامر الله تعالى ونواهيه ؛ لأنكم كنتم حاضرين عند ورود الأوامر والنواهي وإنكم حاملو الأحكام ؛ لمعاصرتكم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فضلاً عن أحكامه التي كان يصدرها ، ((**وحملة دينهِ ووحيهِ**)) وأنتم الحاملون لآيات القرآن الكريم حينما كان جبرائيل يَنزل على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله[١٠] ، ((**وأمناء الله على أنفسكم**)) أنتم الذين ائتمنكم الله على دينه ، فتتلقون أحكامه من الرسول محمد صلى الله عليه وآله ومن ثُم تُلقوها إلى مَنْ لم

يتعلموا تلك الأحكام ، ((**وبلغاؤه إلى الأمم**)) بما أن العلوم تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل على مر العصور والأزمان وإنكم مَنْ عاصرتم رسول الله ﷺ وسمعتم أحاديثه وتعلمتم سنته ؛ لذا وجب عليكم أن تُبلغوا ما عرفتموه عنه ، فأنتم المُبلغون لتعاليم الإسلام إلى الأمم القادمة ، فعليكم مسؤولية كُبرى تجاه الإسلام فضلاً عن المسلمين ، وعليكم تبليغ الأحكام كما أنزلها الله تعالى شأنه ، من غير تلاعب أو تحريف ؛ لأنكم ((**أمناء الله على أنفسكم ، وبلغاؤه إلى الأمم**)) ، وقد وضحت الزهراء عليها السلام المفاهيم المعرفية لدى متلقي الخطاب مُحذرةً إياهم من خيانة الأمانة وعدم أدائها وتبليغها ، وما سيلحق بهم من الوزر على كل انحراف في الدين فضلاً عن المسلمين ، ((**وبقية استخلفنا عليكم ، ومعنا كتاب الله**)) تُشير هذه الجملة إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ بقوله ((**إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَ الحوض**)) ، كذلك بينت الزهراء عليها السلام مدى مشروعية الخلافة لأهل البيت عليهم السلام من خلال قولها ((**وبقية استخلفنا عليكم**)) ؛ لأن خلافتهم هي مظهر من مظاهر نفوذ الاستخلاف الذي يحكم به الحكام منهم عليهم السلام ، وتوضح الزهراء عليها السلام أن طاعتهم مفروضة لاقترانها بطاعة الله ورسوله ﷺ ؛ ولأنها طاعة بالمعروف نستقري من نص خطبة الزهراء عليها السلام أحد المفاهيم المعرفية القرآنية المتمثلة بمفهوم الخلافة ، وكأن السيدة الزهراء عليها السلام أرادت من قولها ((**وبقية استخلفنا عليكم**)) إشارة إلى النص القرآني ((**وعدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخلِفَنَهُمْ في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**))[11] ؛ دحضاً لحجتهم وإسكاتاً لهم ، ودعماً لدعواها في حق الخلافة لهم صلوات الله عليهم أجمعين ، إن التصريح القرآني بوجوب الاستخلاف في الأرض من بعد الرسول ﷺ إنما هو امتداد لطاعة الله تعالى ، فطاعة الله تعالى تتمثل في امتثال أحكامه فضلاً عن

الالتزام بالحلال والحرام ، أما طاعة الرسول وأولي الأمر تُعد طاعة أخرى غير طاعة الله تعالى في الأحكام الشرعية ؛إذ إن هناك دائرة من الفراغ التشريعي تترك لأولياء أمور المسلمين فيما تتطلبه مصلحة الإسلام والأمة الإسلامية مما لا يمكن ضبطها في الشريعة بأحكام ثابتة فيتجسد هنا دور القائد المفترض الطاعة ، ولكي يؤدي القائد أو الحاكم هذا الدور الفعّال والصعب لابد من توافر شروط ثلاثة في الرعية تجاه الحاكم وهي :- **(النصرة) و(الحب) و(الطاعة)**، ولم تكن العناصر الثلاثة حاضرة في نفوس متلقي خطاب السيدة الزهراء ﷺ فلا نُصرة لها ، ولا طاعة ، فضلاً عن المودة فبينت للناس أنه لابد من سيادة المودة والانسجام بين الرعية وبين الحكام فضلاً عن النصرة والإذعان بالخلافة حتى يتمكن الحاكم من أداء مهامه .

ثانياً :- السلطة ، تمثل هذه الفئة الجبهة المعارضة للزهراء ﷺفكان خطابها معهم يتجلى فيه سيل من الأدلة والبراهين التي تصدح بالحق ، فضلاً عن تداول النصوص القرآنية في كلامها ، ومن كلام لها ﷺ مخاطبة رئيس الدولة الإسلامية آنذاك قائلةً **((يا ابن أبي قحافة ! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرثُ أبي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً !! أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول ((وورث سليمان داود))**[١٢] ، **وقال فيما اقتص من خبر زكريا إذ قال : ((فهبْ لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب))**[١٣] ، **وقال ((وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله))**[١٤] **((يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين))**[١٥] ، **وقال ((إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين))**[١٦] **وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان ، أولست أنا وأبي من ملةٍ واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ، فدونكها مخطومة مرحولة ، تلقاها يوم حشرك ، فنِعم**

الحَكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون))[١٧] ، حينما وجهت السيدة الزهراء عليها السلام خطابها إلى رئيس الدولة ، لم تقلْ له : (**يا خليفة رسول الله**) ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخلفه من بعده وإنما قالت (**يا ابن أبي قحافة**) فكان هذا التوجيه المباشر لرأس السلطة دلالة واضحة على عدم الرضا عنه فضلاً عن غيره ، واسترسلت في خطابها الذي لم يبتعد عن المنهج القرآني فنهلت من معينه الذي لا ينضب محاججةً به مَنْ طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فهم لا يفقهون ، فجاء استدلالها عليها السلام بالنصوص القرآنية سالفة الذكر مُذكرةً لرأس السلطة بأن الحق لمحمد صلى الله عليه وآله ولذريته من بعده ، وفي المجال الآخر من المجالات الرحبة التي حازت الزهراء عليها السلام على المرتبة الأولى فيها ببلاغتها وفصاحتها ، فضلاً عن اسلوبها الذي امتاز بالاقتصاد اللغوي وتكثيف العبارات المنطوية على الشفرات الدلالية ، والاستدلال بالنص القرآني الحاضر في ذهن الزهراء عليها السلام، فتقول ((**أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرثُ أبي**)) مخاطبة إياه ومطالبة بدليل مشروعية منعها من إرثها ، مستدلة بما ورد في القرآن الكريم على صحة الميراث فالمقياس هو الدين والميزان هو كتاب الله وشؤون الميراث بينة فيه ومحكمة[١٨] ، مُبطلة دعواهم فيما يقولونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ((نحن معاشر الأنبياء لا نُوّرِث)) ، نلحظ في خطاب الزهراء عليها السلام الاستفهام... والاحتجاج ... والإدانة ... في جمل قصيرة تُعلِمْ بها الخصم برأيها للوهلة الأولى ، بل قبل الخوض في التفاصيل، لما في ذلك من التأثير الشديد على متلقي الخطاب ، فضلاً عن معرفتها عليها السلام بمخططات القوم وتحركاتهم وإنذاراً منها لهم ، وليس كما يتوقعون بعدم التفاتها لما يقومون به من دسائس يُراد بها تشويه روح الإسلام النقية من خلال الإساءة لذرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتحريف ما جاء به ، والاعتراض عليه .

ثالثاً :- الأنصار ، وهم الفئة الأخرى التي خاطبتها الزهراء عليها السلام وامتاز خطابها معهم باستخدام العبارات الموجزة والدقيقة ، إذ يُعد الأنصار من فُضلاء القوم ؛ لأنهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر من مكة إلى المدينة ، فقد استنصرتهم الزهراء عليها السلام بعبارات موجهة إليهم خاصة مُذكرةً إياهم بماضيهم المشرق فقالت لهم: ((**يا معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الإسلام ، ما هذه الغميزة في حقي ؟ والسِنةُ عن ظلامتي ؟ أما كان رسول الله أبي يقول ((المرءُ يُحفظ في ولده)) ؟ سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة ، ولكم طاقة بما أُحاولُ وقوة على ما أطلب وأُزاول ، أتقولون : مات محمد فخطبٌ جليل استوسع وهنه واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه وأظلمت الأرض لغيبته وكُسفت النجوم لمصيبته أكْدت الآمال وخشعت الجبال وأُضيع الحريم وأُزيلت الحرمة عند مماته فتلك – والله – نازلة كبرى ، والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه – في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً ولقبله ما حلَ بأنبيائه ورسله حُكم فصل ، وقضاء حتم ((وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومَنْ ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين))** [١٩] ، إن للتمرد والعصيان الاجتماعي صورا مختلفة ، منها (**الانقلاب**) فهو يعني بالمعنى الأعم قيام فئة من الجهاز الحاكم ضد فئة أخرى بحيث يكون همها إبعاد الفئة الأخرى عن مجال القدرة ، ويتولد الانقلاب من جراء التنازع على القدرة والسلطة ، وبدافع إبعاد المنافسين بأي شكل من الأشكال عن مركز القرار؛ لذا لا يمكن أن يُعد هذا الانقلاب صلاحاً لأفراد المجتمع كافة ، وإن كان في الظاهر يدعو إلى كسب تأييد العامة من خلال بعض النشاطات ، فضلاً عن الاستدلال بأقوال داعمة لدعواهم[٢٠] ، وهو الاسلوب نفسه الذي اتبعه القوم الذين وصفهم الله تعالى في

الآية المتقدمة التي استدلت بها السيدة الزهراء عليها السلام في بيان حال القوم الذين غصبوا حقها ، وأبعدوها بشتى صنوف الإبعاد عن مظان القرار، فبعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عمد بعضهم إلى إضعاف جانب البيت النبوي من الناحية الاقتصادية ، فضلاً عن الناحية السياسية فجاءت المؤامرات متعاقبة عليهم حتى تحقق الهدف المرجو وهو مصادرة حقوق السيدة الزهراء عليها السلام بعد الإمساك بدفة الحكم من طريق (**الانقلاب**) الذي أشارت إليه بالنص القرآني [٢١].

المطلب الثالث

المعرفة القرآنية وحضورها الاستدلالي في الخطبة الفدكية

يمتاز الخطاب الفاطمي بأبعاده المعرفية ذوات الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم ، والتي لابد أن تنبثق منها أبعاد لها دلالات متعددة يُستدل من خلالها على ما يريد الخطاب إيصاله للمتلقي ، ولذلك نتجت أبعاد استدلالية من المعرفة القرآنية منها :-

أولاً :- البعد المعرفي ، من أوضح الأبعاد الاستدلالية التي ظهرت في الخطاب الفاطمي ، هو البعد المعرفي الذي تضمنته خطبة الزهراء عليها السلام عن المنظومة المعرفية الإسلامية في التوحيد والنبوة والإمامة فضلاً عن تجلي هذا البعد في رحاب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة أهل البيت عليهم السلام ، ومما ورد على لسان السيدة الزهراء عليها السلام في بيان حقيقة القرآن ورسالته وأهدافه وفضله وكيفية الارتواء من معينه الثر تأكيدها عليها السلام ضرورة اتخاذ القرآن الكريم إماماً للوصول إلى بر الأمان ، قالت : **((كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع والضياء اللامع ، بينةٌ بصائره ، منكشفةٌ سرائرهُ ، مُتجليةٌ ظواهرهُ ، مُغتبطةٌ به أشياعهُ ، قائد إلى الرضوان أتباعهُ ، مُؤدٍ إلى النجاح إسماعهُ ، به تُنال حُجج الله المنورة ، وعزائمه المفسرة ، ومحارمهُ المُحذرة ، وبيناته الجالية ، وبراهينهُ الكافية وفضائلهُ المندوبة ، ورخصهُ الموهوبة ،**

وشرايعهُ المكتوبة))[٢٢] ، إن ما ذكرته الزهراء عليها السلام من حث الناس وتشويقهم إلى الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم ؛ لأنه الكتاب الحق والبرهان الواضح الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه ، فضلاً عن سعيها الحثيث لمد الجسور بين المجتمع الذي يرزح تحت الظلم والجهل وبين النص القرآني ، وتعمل على تصحيح المسارات الخاطئة في المجتمع من خلال جعل التداول بالنص القرآني منهج عمل يعكس الارتباط الوثيق بالقرآن الذي وصفته السيدة الزهراء عليها السلام ب ((**النور**)) في قولها ((**والنور الساطع**)) مصداقاً لما ورد في النص القرآني ((**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير**))[٢٣] ، وتدعوهم إلى التمسك به ومعرفته من خلال معرفة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين ، موضحةً بذلك أن أهل البيت عليهم السلام هم أهل القرآن والأعلم بتفسيره و حقائقه الدفينة ؛ لأنهم عِدل القرآن الكريم وهو الثقل الثاني الذي تركه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: (إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي) ، يرسم النص الخط المستقيم في الأمة بالأمر الناجز بمودة أولي القربى التي هي الحسنة الكبرى ؛ لأن بمودتهم يتكرس الخط القيادي السليم[٢٤] ، وتواصل الزهراء عليها السلام وصفها للقرآن بأنه (**قائد إلى الرضوان أتباعهُ ، مُؤدٍ إلى النجاح إسماعهُ**) فهو يقود مَنْ اتبعه إلى الرضوان ، فضلاً عن النجاح الذي يحرزه المستمع إليه على وجه المعرفة والتفكر .

ثانياً :- **البعد القيمي**، لا يخلو الخطاب الفاطمي من الاهتمام بالبعد القيمي في طياته من خلال تشخيص الواقع الإسلامي فضلاً عن المسلمين في وقتها وما اعتراهم من الفتور بل الخضوع لحكام الجور والضلال ، وقد شخصت الزهراء عليها السلام واقع المسلمين بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، وبيَنت أن هذا الانقلاب على الأعقاب يُراد منه الوصول إلى مرحلة تغييب وعي الأمة ، وإبدال المنظومة القيمية

التي جاء بها النبي الأكرم ﷺ بقيم أخرى تعود بالمسلمين إلى زمن الجاهلية المقيتة ، ومما ورد في خطابها ﷺ بعد ما فعله القوم معها ، دخلت المسجد ومما قالته ((**يا معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الإسلام ، ما هذه الغميزة في حقي ؟ والسِنةُ عن ظلامتي ؟ أما كان رسول الله أبي يقول ((المرءُ يُحفظ في ولده)) ؟ سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة ، ولكم طاقة بما أُحاولُ وقوة على ما أطلب وأُزاول ، أتقولون : مات محمد فخطبٌ جليل استوسع وهنه واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه وأظلمت الأرض لغيبته وكُسفت النجوم لمصيبته أكْدت الآمال وخشعت الجبال وأُضيع الحريم وأُزيلت الحرمة عند مماته فتلك – والله – نازلة كبرى ، والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه – في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً ولقبله ما حلَ بأنبيائه ورسله حُكم فصل ، وقضاء حتم ((وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومَنْ ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين))**[٢٥] ، لقد عقدت السيدة الزهراء ﷺ مقارنة دقيقة بين ماضي المسلمين وحاضرهم ، بتوظيف النص القرآني في خطابها مُحذرةً إياهم من الاستمرار بالابتعاد عن القيم الإسلامية الصحيحة إذ سيكون مستقبلهم كماضيهم من جهة الفرقة والتخلف والنفاق وسقوطهم في الفتنة مُذكرةً إياهم بأن وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ليست مبرراً للسقوط في الفتنة التي أرادها الحكام شأناً دنيوياً لا دينياً من خلال إسقاط ظلال منهجيات الحكم البشري على منهجية الحكم الإلهي / النبوي[٢٦] ، و الفتنة هي (مجموعة المثيرات والمغريات الموجودة في واقع حياة الإنسان ، مثل المال ، والسلطان ، والموقع)[٢٧] ، وهي بخلاف الأهواء ، فالأهواء كامنة في النفس البشرية ، أما الفتنة فتكون خارج النفس البشرية ، وتُعد من أخطر

الأمراض الاجتماعية المستشرية إذ تعمل على سلب الرؤية الصحيحة لمجريات الأمور والأحداث ويفقد الناس النور والهدى الذي منحهم الله إياه فيتخبطون في ظلمات الفتنة ، ويلتبس عليهم الحق بالباطل فلا يميزوا حقاً ، ولا باطلاً ، ولا يميزوا بين إمام هدى ، وإمام ضلال ، ومن هذه الفتن ما حدث للمسلمين بعد الرسول الأكرم ﷺ وهو ما استدلت به السيدة الزهراء عليها السلام من خلال التناص القرآني في خطبتها مبينةً البعد القيمي من الرسالة السماوية التي تدعو إلى التوحيد والإقرار بالعبودية للذات المقدسة والتي يُعد النبي الأكرم ﷺ المُبلغ لتلك الرسالة ، وإن الرسالة ستبقى مستمرة ويقوم عليها ذرية النبي صلوات الله عليهم أجمعين ، مُبينةً الانقلاب على الأعقاب والارتداد الذي حصل في الأمة ' فضلاً عن إنكار حق الولاية لذرية النبي الأكرم ﷺ ، فقد عمد القوم إلى التطاول على حق الزهراء عليها السلام فضلاً عن منعها إياه ، ولا يدلُ هذا التخبط والخذلان إلا على إطباق فكَي الفتنة على الأمة التي تركت ولاة أمرها ، وأوكلت أمرها إلى غير أهلهِ ، فسلبتهم النور والرؤية بالشكل الصحيح .

ثالثاً :- **البعد الأخلاقي** ، تجسد البعد الأخلاقي قولاً وفعلاً في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام بما يرتبط بالمعرفة القرآنية البحتة، ويمثل البعد الأخلاقي حجر الأساس في حركة الفرد المتمثلة بسلوكه الخارجي ؛ لأن السلوك الخارجي كالمرآة يعكس المفاهيم التي تمكنت من الفرد ، وبما أن الأبعاد الأخلاقية التي تبنتها الزهراء عليها السلام لم تبتعد عن رحاب النص القرآني فأضحت أبعاداً تداولية ذات طابع أخلاقي أرادت أن تطبقها تطبيقاً عملياً فذكرت نصاً جاء فيه ((**والأمر بالمعروف مصلحة للعامة ، وبر الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغيراً للبخس**

، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفة)) يُعنى هذا النص باستنهاض الإنسان ليمارس دوره الفاعل في الحياة ، ويستظهر طاقاته الكامنة من خلال تسلحه بعلو الهمة والطموح المشروع ، وضحت السيدة الزهراء عليها السلام مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يعمل الإنسان جاهداً لكسبها فقالت :(**والأمر بالمعروف مصلحة للعامة**) أشارت عليها السلام إلى ضرورة الأمر بالمعروف فإنه واجب على كل مسلم ، فوجّهتْ نظر المجتمع نحوه بأنه مصلحة للعامة فضلاً عن الخاصة فيما إذا التزموا به ، مقربةً إياه إلى أذهان العامة باستخدامها مفردة (**مصلحة**) فالنفس البشرية ميالة بطبعها لكل ما يخدم مصالحها ، واسترسلت بعد ذلك في ذكر أصناف المعروف (**وبر الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس**) فوصفت بر الوالدين وقاية من سخط الله ، وإن ما يُوجب رضا الله هو رضا الوالدين ؛ لأن رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما ، كما ورد في الأحاديث الواردة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله ، وذكرت أيضا صلة الرحم ووصفتها بأنها زيادة للعدد والعمر ، والقصاص وصفته بأنه حقن للدماء ، وكأنها تُشير إلى المقولة المعروفة « مَنْ أمِن العقاب أساءَ الأدب » فإذا عُطل القِصاص اُستبيحت الدماء من دون مطالبة ، ووصفت الوفاء بالنذر الشرعي –تحديداً– عرضاً لقبول المغفرة من الله تعالى ، والوفاء بالكيل والموازين تغييراً لحالة بخس الناس أشياءهم .

الخاتمة

في مسعى لكشف الإضاءات القرآنية في خطبة الزهراء ﷺالفدكية والظروف التي استدعتها تمثلت مواقف ، وقراءة هذه المواقف عبر المنظومة المعرفية للأفراد تكون كاشفة عن حقائق عدة ، وقد أثبت البحث مجموعة من النتائج التي يمكن إجمالها على النحو الآتي :-

١-أثبت البحث أن حركة الزهراء ﷺحركة قرآنية تحمل مضامين وقيما سماوية .

٢-بيّن البحث مفاهيم قرآنية كثيرة لها مساس مباشر بحركة الأفراد داخل المجتمع .

٣-أثبت البحث أن خطبة الزهراءﷺ تأطرت بإطار التوجيه والنصح والإرشاد .

٤-رسم البحث مناطق الاشتغال في ضوء المفاهيم القرآنية ، فكشف عن آليات توظيف النصوص في خطاب الزهراء ﷺوأبعادها المعرفية في إصلاح المجتمع .

٥-كشف البحث عن عمق الاستدلال القرآني في الخطبة الفدكية ، لاسيما أنه يشكل وحدة معرفية لا نزاع عليها بين أطراف الخطاب ، وهو بذلك مثل حججاً منطقية لا يمكن نقضها أو التشكيك فيها .

٦-كشف البحث عن بلاغة الخطاب الفاطمي في أبعاده المعرفية ، وقيمه التواصلية ، فشكل حجة على متلقيه في بعده الكوني .

هوامش البحث:

١- سورة ال عمران:١٠٢
٢- سورة فاطر : آية : ٢٨
٣ - بحار الأنوار ٢٩ / ٨٢
٤- بحار الأنوار ١٨/ ٢٥٧
٥- سورة النساء : آية : ٥٩
٦ - سورة آل عمران : آية : ١٠٢
٧ - سورة آل عمران : آية : ٨٥
٨- يُنظر :- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل٢/ ٣٤٥،٣٤٧
٩- بحار الأنوار ٢٩/ ٨٤
١٠- ينظر :- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد / ٢٥٧
١١- سورة النور : آية : ٥٥
١٢- سورة النمل : آية : ١٦
١٣- سورة مريم : آية : ٦
١٤- سورة الأنفال : آية : ٧٥
١٥-سورة النساء : آية : ١١
١٦- سورة البقرة : آية : ١٨٠
١٧- بحار الأنوار ٢٩/ ٨٤
١٨-ينظر : فاطمة صوت الحق الإلهي/ ١٠٤
١٩-سورة آل عمرن : آية : ١٤٤
٢٠-ينظر : النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ/ ٤٢٩
٢١-ينظر : ملحمة الزهراء / ٨٧
٢٢-ارشاد القلوب ١/ ٧٩
٢٣-سورة التغابن : آية : ٨
٢٤-مقاصد السور :١٨٨
٢٥-سورة : آل عمران : آية : ١٤٤
٢٦-ينظر : فدك - ابعادها- دلالاتها- وامتداداتها / ١٥٣
٢٧-في رحاب القرآن ٧ الإصر والأغلال : ١٠٦

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

❁ارشاد القلوب ، الحسن بن أبي الحسن علي الديلمي (ت ٨ق) ، بيروت : مؤسسة الأعلمي ، ١٣٩٨ق .

❁الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، تأليف العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، منشورات الأعلمي بيروت – لبنان ط١ ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

❁بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره ، دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

❁فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد ، تأليف العلامة الخطيب السيد محمد كاظم القزويني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ، ط١ ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

❁٥–فاطمة صوت الحق الإلهي ، مُحسن المعلم ، دار الهادي للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط١ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

❁فدك ابعادها– دلالاتها– وامتداداتها ، الدكتور الشيخ عبد المجيد فرج الله ، المحبين للطباعة والنشر ، مطبعة الرسول ، ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م

❁في رحاب القرآن ٧– الإصر والأغلال ، محمد مهدي الآصفي ، المشرق للثقافة والنشر ياران

❁مقاصد السور في القرآن الكريم ، المرجع آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي ، محبان الحسين ﷺ قم المقدسة ط١ ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

❁ملحمة الزهراء ، تأليف عبد العباس مصطفى الأسدي ، المطبعة العلمية ، ط١– ١٤٢٠هـ .

❁ النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ ، تأليف الاستاذ محمد تقي مصباح اليزدي ، منشورات دار الروضة بيروت لبنان ، ط١ ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

الانحلال الحكمي في العلم الإجمالي
(دراسة تحليلية تطبيقية)

Judgment Deterioration in Aestheticism
(A Practical and Analytical Study)

أ.م.د. حسين كاظم عزيز
Asst. Prof. Dr. Hussein Kadhim `Aziz

الانحلال الحكمي في العلم الإجمالي
(دراسة تحليلية تطبيقية)

Judgment Deterioration in Aestheticism
(A Practical and Analytical Study)

أ.م.د. حسين كاظم عزيز
جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية / قسم الدراسات القرآنية

Asst. Prof. Dr. Hussein Kadhim `Aziz
University of Karbala / College of Islamic Sciences /Department of Quranic Studies

Amal.alhaider2017@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٩/ ٤/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ٩/ ٦/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث :

انصب اهتمام الباحث على إيضاح مسألة الانحلال الحكمي في العلم الإجمالي، الذي كرّس لها الأصوليون المتأخرون اهتمامهم لبيان ان العلم الإجمالي ينحل اذا توافرت اركان ذلك الانحلال وشروطه، الذي هو عبارة عن جريان الأصل الشرعي المؤمن في احد طرفي العلم الإجمالي بلا معارض ، فينحل لكن ليس حقيقة ،وإنما اثر الانحلال يترتب عليه ، وهذا يتوقف على اقتران المنجز التفصيلي بالعلم الإجمالي .

فتارة ينحل بلحاظ القواعد العقلية من تنجيز العلم الإجمالي، وأخرى بقاعدة قبح العقاب بلا بيان .

وقد استدعى ذلك دراسة تعريفه وأهميته وأقسامه لنلقي الضوء على كل قسم من أقسام الانحلال مبينين توافر أركان العلم الإجمالي وشروط الانحلال .

وبعد التحليل لكل تلك البيانات قمنا بدراسة موارده وتطبيقات كل مورد مستعينين بالله الموفق

Abstract

The present interest here is to clarify the question of the disintegration of the rule in the general science، to which the late fundamentalists devoted their attention to show that the total science is dissolved if the rules and conditions of that decay are quite available. Such is the flow of the legitimate source insured in one of the two extremes of the total science without opposition، but the effect of decomposition comes as a consequence and depends on the detailed completion of the total science.

It is to be dissolved in the light of the rules of the mind in the total science and the severe punishment without manifestation. That is why the study stipulates defining the importance of the decay and its sections precisely to indicate the availability of the pillars of the total science and the conditions of the decay . The analysis falls into the orbit of various references and sources.

المقدمة :

يحاول هذا البحث ان يستثمر موضوعا اصوليا ليضع له عنوانا مستقلا في جملة الابحاث الاصولية ، فكان الحكم الانحلالي الذي يتطلب مقدمات له من منجزية العلم الإجمالي وشروطه وموارده ، كي نلقي اهتماما على تلك الوظيفة العملية وما لها من سمات الدقة والشمول والعمق ، وضمن معايير سريان هذا العلم في اطرافه . والبحث تناول بشكل رئيس ما يتعلق من العلم الاجمالي بقاعدة الانحلال الحكمي مسلطين الضوء على اقسام الانحلال وما يرتبط بمقاربة منه وهو الانحلال الحقيقي حتى لا نكون بعيدين امام الفارق بينه وبين الانحلال الحكمي وعالجنا في البحث بعض مسائله متزودين بجهود و اراء العلماء الاصوليين سواء على مسلك الاقتضاء او العلية او على مستوى التفصيل او الأمارة او الاصل ، وتناولناه في ثلاثة مباحث:

المبحث الاول : تعريف الانحلال الحكمي وأهميته وأقسامه .

المبحث الثاني : أركان العلم الإجمالي وشروط الانحلال الحكمي .

المبحث الثالث : موارد الانحلال الحكمي وتطبيقاته .

المبحث الأول : التعريف والأهمية والأقسام:

المطلب الاول :التعريف بمصطحات العنوان : الانحلال ، الحكم ،الاستنباط

اولا ـ في اللغة

ثانيا ـ في الاصطلاح

اولا :. في اللغة :

أ-**الانحلال** : يقال حل العقدة يحلّها حلا اذا فتحها ونقضها فانحلت ، فهو مصدر من الحلّ بمعنى الفتح والنقض ويجيء بمعنى الذوبان كما في كل جامد إذا أذيب[١]

ب-**الحكم** : العلم والفقه والقضاء ، وهو مصدر من حكم يحكم ، وقال الازهري : وقد سمي الناس حكيما وحكما .

وقال ابن سيدة : الحكم القضاء وجمعه أحكام ،وقد حكم عليه بالأمر ، يحكم حكما وحكومة [٢]

ج. **الاستنباط** : واصله نبط الماء وينبط : بمعنى نبع ، وانبط الحفّار : بلغ الماء ، والاستنباط : الاستخراج [٣]، واخذ في معناه الفقهي استنبط الحكم الشرعي من « كذا »

ثانيا : في الاصطلاح :

أ-**عند الاصوليين** : عبارة عن جريان الاصل الشرعي المؤمن في أحد طرفي العلم الاجمالي بلا معارض [٤]، وتهمنا الإشارة الى ان هذا المصطلح لم يظهر بارزا إلا عند متأخري الأصوليين من الإمامية ، وأما في المجال الفقهي فقد استعمله الفقهاء المسلمون في بعض الموارد الفقهية كانحلال اليمين والنذر والعقد [٥] وقد سعت كتاباتهم ان تضع فرقا بينه وبين الانحلال التعبدي والانحلال العقلاني .

فالفارق بين الانحلال الحكمي والتعبدي بلحاظ الأثر ، فان اثر الانحلال

الحكمي ما هو الا جريان الاصل الشرعي المؤمّن في احد الطرفين بلا معارض بينما اثر الانحلال التعبدي لو تمّ تحقيق موضوع البراءة العقلية ، لأنه تعبد باللابيان[٦] وقولهم في الانحلال العقلائي فهو تقوّم ببناء العقلاء عملا على إجراء الأصول المؤمنة في اطراف العلم الاجمالي ونكثه الاصوليون بقولهم: ان مثل هذا العلم ليس كاشفا عن الواقع ، فلو علم المكلف بموت احد الرجلين وقامت البينّة على أن زيدا من بين الرجلين مات ، فلا يتوقف العقلاء في عمر مثلا . واثر هذا الانحلال العقلائي يظهر في امرين :

الاول : ببركته تجري البراءة العقلية في الطرف الاخر .

الثاني : فلا فرق فيه بين ان يكون المنجز التفصيلي مقارنا او متاخرا ، اذا كان امارة مثلا : فالعقلاء بهذه الحالة يرتبون اثر الانحلال على الطرف الآخر فيجرون البراءة العقلائية والاصول الشرعية بلا حرج ، بينما في الانحلال الحكمي اذا كان المنجّز التفصيلي متاخراً زمانا ، فلا يترتب الانحلال الحكمي لتعارض الأصول الشرعية في الأطراف[٧].

ويرى الباحث انه لو التزمنا بصلاحية كل واحد من العلمين للتنجيز لم تكن دعوى الانحلال العقلائي مجدية في هذا المجال .

ب-عند الفقهاء : بعدة معان :

منها : ما يفيد معنى الانفساخ والبطلان : وهو ما يرد استعماله في موارد الخيار ، وفسخ العقد ، او الإقالة ، فينحل العقد من حيث الفسخ او الإقالة ، لا من اصله ، كما يرد استعماله في موارد البطلان للعقد بقاء لا حدوثا [٨]

ومنها : بمعنى التجزئة والتكثر ، ومن موارده :

- انحلال الامر بالمركب الى أوامر متعددة بعدد الاجزاء المكونة له كما في الصلاة او

الحج ولكل جزء حيثيتان :

الاولى : الامر النفسي الضمني والثانية : كونه قيدا في صحة الجزء الآخر [٩]

●انحلال في متعلقات النواهي وموضوعاتها وموضوعات الاوامر بمعنى ان الخطاب الواحد ينحل الى خطابات متعددة بالنسبة الى متعلقاتها او متعلقات متعلقاتها (موضوعاتها) سواء في النواهي ام في الأوامر دون متعلقاتها ، ان كان لتلك الموضوعات عموم وشمول إطلاقي[١٠] .

المطلب الثاني :اهمية الانحلال الحكمي في المنهجية الاصولية

تتعلق قاعدة الانحلال الحكمي بالعلم الاجمالي تعلقا وثيقا قائما عليه، فالعلم الاجمالي : علم بالجامع مع التردد بين طرفين او اطراف عديدة وعندها يكون مقرونا بالشك ، فهو من جمله احتمالات الجامع وواحدها يسمى طرفا من اطراف هذا العلم ، وعلى هذا المورد تجري قاعدة منجزية العلم الإجمالي .

فاعتبارية القاعدة بمكانتها التي استثمرها البحث الاصولي ضمن تنظيرات التشريع الاسلامي وخاصة في منهجية المدرسة الامامية الذي يعد هذا العلم احد ركائزها فيستمد منه البحث الفقهي قواعده وتنظيماته في ممارسة العملية الاستنباطية ،وصولا الى الأحكام الشرعية الإلهية المنتزعة من أدلتها التفصيلية .

وعندما احتلت موضوعات المنجزية للعلم الإجمالي مكانة في مصنفّات وكتابات اهل الفن متفحصين اهمية النتائج المترتبة على انحلال هذا العلم ، وبيان ما تنجّز من اطراف الاحتمال ، أضحت تلك الأبحاث لها سماتها من الدقة والشمول والعمق ، وخاصة ما يتعلق بالوظيفة العملية ، وسريان هذا العلم في اطرافه والذي عدّ من إبداعات المدرسة الإمامية دون غيرها ، وبخاصة مدرسة النجف العلمية ، معاصرة للشيخ الأنصاري (رحمه الله ١٢٨١ هـ) ومن جاء من بعده من المحققين الاساطين

كالشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ اغا ضياء الدين العراقي ، والشيخ محمد حسين النائيني ، ومن المعاصرين السيد ابو القاسم الخوئي والسيد محمد باقر الصدر (رحمهم الله) ، ولكل جيل آراؤه وفق مبانيه من حيث رؤيته المنهجية .

فلم تكن تلك القاعدة مختصة بأهميتها ووظيفتها في المنهجية الأصولية ، بل عالجت خطوطا مهمة من حيث أثرها على المبنى للعملية الاستنباطية ، منها :

١- في حالة التردد بين طرفين ، واخذ الانحلال في معالجة تلك الحالة المرددة بين المتباينين ، وملاحظة ذلك الجريان سواء كان لجميع الأطراف ام في بعضها ، ولولا المانع الثبوتي لم يكن هناك مانع من شمول ادلة الاصول العملية لجميع الأطراف [١١]

٢- من حيث ارتباطه بقاعدة قبح العقاب بلا بيان ، فإن بني على مسلك هذه القاعدة ، فيلزم برفع اليد عنها بقدر ما تنجّز بالعلم وهو الجامع ، وعليه اشار السيد الشهيد الصدر بقوله :" فكل من الطرفين لا يكون منجزا بخصوصيته بل بجامعه ، وينتج حينئذ ان العلم الإجمالي يستتبع عقلا حرمة المخالفة القطعية دون وجوب الموافقة القطعية ، وان بني على مسلك حق الطاعة ، فالجامع منجز بالعلم وكل من الخصوصيتين للطرفين منجزة بالاحتمال ، وبذلك تحرم المخالفة القطعية، وتجب الموافقة القطعية عقلا [١٢]. وكلا المسلكين مشترك في التسليم بتنجيز العلم بالجامع.

وللانحلال الحكمي علاقاته الواسعة في المنهجية الاصولية بل في كل الحالات التي تنحل فيها اجمالية العلم بالتفصيل سواء على مستوى الاركان لتحديد القاعدة (قاعدة منجزية العلم الاجمالي ، او في حالة تردد اجزاء الواجب بين الأقل والأكثر ، او في حالة احتمال الشرطية ، او في حالات دوران الواجب بين التعيين والتخيير ، او على مستوى الأمارة او الاصل .

المطلب الثالث: اقسام الانحلال للعلم الاجمالي : -

توطئة : للعلم الاجمالي مسلكان :

احدهما : مسلك المحقق النائيني : وبه يتم القول بالانحلال الحقيقي فيما لو ظفرنا بمعلوم تفصيلي : ومثاله : لو علم المكلف بنجاسة احد الإناءين ، وبهذه الحالة لم يعلم الا بالجامع ، أما لو علم تفصيلا بنجاسة احد الإناءين ، يكون قد اتفق المعلوم بالإجمال على المعلوم بالتفصيل ، فيكون ما علم تفصيلا مصدقا للجامع فيحصل الانحلال [١٣].

ثانيهما : مسلك المحقق العراقي (وهو ما اختاره السيد الشهيد) وفحواه ان العلم الاجمالي وان كان صورة للجامع كالعلم بأحد الإناءين ، إلا انه مقرون بإشارة لموطن الجامع الذي موطنه الخارج ، ودور هذه الإشارة هي التي جعلت المعلوم بالإجمال جزئيا ولولاها لكان العلم بالجامع كليا ، وكونها متقومة بالتردد فلا يتحقق الانحلال الحقيقي الا اذا زالت الاشارة المرددة وبحالة ترددها فالعلم الإجمالي ما زال باقيا[١٤].

وما يتحصل : انه لا يكفي في الانحلال وحدة الجامع ، وهذا ما يفيده مسلك النائيني من ان الاجمالي هو الجامع بلا شرط ، والمعلوم بالتفصيل هو الجامع بشرط الخصوصية (ما صدر من اخبار المعصوم) فينحل .

اقسام الانحلال :

١-الانحلال الحقيقي : ويراد به زوال العلم الاجمالي من النفس زوالا حقيقيا ، ويتحول الى العلم التفصيلي .

٢-الانحلال الحكمي : بقاء العلم الاجمالي في النفس حقيقة الا ان تنجزه لا يكون ثابتا ، فتارة يكون بلحاظ القواعد العقلية من تنجيز العلم الاجمالي وقاعدة قبح

العقاب بلا بيان من ناحية اخرى من دون إدخال الأصول الشرعية المؤمّنة ، وأخرى يكون بلحاظ الأصول الشرعية المؤمّنة[١٥].

وبين الانحلال الحكمي والحقيقي يتضح ان الاخير لا يتحقق الا في موارد حصول العلم التفصيلي بعد الإجمالي ، ولا يكفي حصول الامارة او الأصل لتحققه ، بينما يتحقق الانحلال الحكمي في موارد قيام الامارة او الاصل .

٣-الانحلال التعبدي : ولو علمنا إجمالا احد الإناءين ، ثم اخبر الثقة بشهادته بنجاسة الإناء الاول ، فان كان المستفاد من حجية خبر الثقة التعبد بانحلال العلم الاجمالي ثبت الانحلال التعبدي وهو مسلك السيد الشهيد الصدر (محمد باقر) كما اشرنا اليه ، وكذلك مبنى المحقق الاصفهاني (قده) فهو عنده متقوم بركنين : علم بالجامع وشك في الخصوصية ، وقد يطلق عليه الانحلال الحكمي [١٦].

٤-الانحلال العقلائي : ما ذكره الامام (قده) في (تهذيبه) من بناء العقلاء عملا على اجراء الأصول المؤمّنة في اطراف العلم الاجمالي ، ونكتة العلم انه ليس كاشفا عن الواقع ومثاله : لو علم المكلف بموت احد الرجلين وقامت البينة على أن زيدا من بين الرجلين قد مات ، فلا يتوقف العقلاء في عمر، فبناؤهم على الرخصة في الطرف الاخر بنكتة انهم يرون مثل هذا العلم الاجمالي بعد قيام البينة في أحد طرفيه ليس كاشفا عن الواقع ، واثر مثل هذا الانحلال يظهر في مقامين :

المقام الاول : انه ببركة الانحلال العقلائي تجري البراءة العقلائية في الطرف الاخر .

المقام الثاني : في الانحلال العقلائي لا فرق بين ان يكون المنجز التفصيلي مقارنا او متأخرا اذا كان أمارة ، و بعد قيام الامارة ولو متأخرة زمانا عن العلم الاجمالي يرتبون اثر الانحلال على الطرف الآخر ، فيجرون البراءة العقلية والاصول الشرعية بلا حرج ، بينما في الانحلال الحكمي اذا كان المنجز التفصيلي متأخرا زمانا

فلا يترتب الانحلال الحكمي لتعارض الاصول الشرعية في الأطراف [١٧]، فالفارق بين الانحلالين الحقيقي والحكمي يكون :

اولا : في الانحلال الحقيقي منشأه سريان العلم من الجامع الى الفرد بينما الانحلال الحكمي منشأه عدم جريان الأصول الترخيصية في تمام الأفراد

ثانيا : في الانحلال الحقيقي زوال العلم الاجمالي حقيقة بينما في الانحلال الحكمي فالعلم الاجمالي لايزال موجودا إلا ان المنجّزية قد سقطت منه .

ثالثا : بما ان الانحلال الحقيقي هو سريان العلم من الجامع الى الفرد قهرا انما يتحقق فيما اذا كان المعلومان بالإجمال والتفصيل متحدين في الزمان ، بينما الانحلال الحكمي فسقوط المنجزية عنه بسبب عدم جريان الأصول الترخيصية في احد الطرفين مع جريانها في الطرف الآخر ، إنما يتحقق اذا كان نفس المنجّز من امارة او اصل متقدما على العلم الإجمالي[١٨]

المبحث الثاني : أركان العلم الإجمالي وشروط الانحلال الحكمي

المطلب الاول : اركان العلم الاجمالي :

نظرة تمهيدية : آثر اهل العلم ان يستخدموا مصطلحي العلم التفصيلي والعلم الاجمالي في قطاعي الفلسفة والأصول معا ، غير ان معناهما في علم الفلسفة يرجع الى البساطة والتفصيل وليس لنا غرض في بحث هذا الجانب ، اما معناهما في العلم الأصولي فيرجع الى الوضوح والإبهام ، فيطلق العلم التفصيلي على العلم والقطع اذا تعلق شيء محدد الوضوح ومثاله : العلم بوجوب صلاة الصبح .

اما العلم الاجمالي فيطلق على العلم والقطع اذا تعلق بأحد شيئين لا على وجه التعيين ، ومثاله العلم بوجوب صلاة ما في ظهر الجمعة ، اما صلاة الظهر او صلاة الجمعة ، والعلم بنجاسة احد إناءين بدون تعيين .

وقد وقع اشكال الجمع بين العلم والإجمال ، بتعدد الجهات فيه امكن الجمع بلا محذور بين العلم والإجمال اي الوضوح من جهة والإجمال من الأخرى ، وأما لو لم تكن للعلم الاجمالي الا جهة واحدة لكان للإشكال اعلاه وجه يتوجب بيانه [١٩]

وبهذا ان العلم الاجمالي يتكون من امرين

أ-العلم بالجامع بين الاطراف

ب-احتمالات بعدد اطراف الجامع وهذا الشك والتردد وهو مصدر الاجمال

واختاره الميرزا والمحقق الأصفهاني [٢٠]

ومن اركان منجزية العلم الاجمالي ما يأتي .

الركن الاول: وجود العلم بالجامع بين الأطراف ، فلولا وجود العلم بالجامع لكانت الشبهة بدوية في كل طرف من أطرافه ، فتجري فيها أصالة البراءة الشرعية ، كما ان منجزية العلم الإجمالي تحصل فيما لو كان العلم وجدانيا ، وأما اذا كان العلم تعبديا فهل يقوم مقام العلم الوجداني في تنجز العلم الاجمالي او لا : فهناك رأيان :

"الرأي الأول : التنجيز للعلم الإجمالي ، لان الشارع قد جعل الحجية للأمارات ، فجعلها كالعلم الوجداني ، فيترتب عليها كل الاثار المترتبة على القطع الطريقي ، فتكون الأمارة طريقا وكاشفا إجماليا عن الواقع ، وبهذا يتم تنجيز العلم الاجمالي .

الرأي الثاني : عدم التنجيز ، بمعنى ان العلم التعبدي لا ينجّز العلم الوجداني ، لان الصحيح في منجّزية العلم الإجمالي هو حصول التعارض بين الأصول الترخيصية في اطراف العلم الاجمالي ، فتتساقط ، فتنجز الاطراف وتحصل الموافقة القطعية او المخالفة القطعية للمعلوم بالإجمال ، اما في العلم التعبدي فلا تحصل المعارضة بين الأصول، لان البيّنة فيه تفيد الظن بالواقع وليس القطع به، فلا يلزم من جريان الأصول الترخيصية في الأطراف الموافقة القطعية او المخالفة القطعية ، بل الموافقة

او المخالفة الاحتمالية فلا يتنجّز العلم الإجمالي [٢١].

وكلا الرأيين : في تقدير السيد الصدر (قدس) غير صحيح ، والتحقيق في ذلك ان البيّنة تارة يفترض قيامها ابتداء على الجامع ، وأخرى يفترض قيامها على الفرد ومن ثم حصل تردد موردها بين طرفين :

ففي الحالة الاولى : نكون امام دليلين :

الاول : دليل حجية الامارة الذي يعمل على تنجّز مؤداها .

الثاني : دليل الاصل الجاري في كل من الطرفين :

وكلاهما دليلان متعارضان لان الرأي الأول يفترض تمامية الدليل الأول ويرتب على ذلك عدم إمكان إجراء الأصول .

والثاني : لا يفترض الفراغ فلا محذور من جريانها والاتجاه الصحيح هو حل التعارض القائم بين الدليلين ومن ثم تنجز الطرفين معا[٢٢] .

الركن الثاني : وقوف العلم على الجامع وعدم سرايته الى الفرد : اي يكون هناك علم بالجامع يقف عنده ولا يسري هذا العلم الى احد الاطراف لان سريان العلم من الجامع الى الاطراف فرع حصول العلم التفصيلي اي انحلال الإجمال ، فتعلق العلم التفصيلي بالفرد يتصور على احد أربعة أنحاء باعتبار صحة الانحلال وعدم صحته :

النحو الاول : الانحلال الحقيقي : ان يكون العلم التفصيلي ناظرا الى نفس ما تعلق به العلم الاجمالي فهنا ينحل تفصيلا بالفرد المعين .

النحو الثاني : ان لا يكون العلم التفصيلي ناظرا الى نفس ما تعلق به العلم الاجمالي، لكي لا توجد اي خصوصية تميز المعلوم بالإجمال عن المعلوم بالتفصيل ، وهكذا ينحل الاجمال بالفرد غير المميز.

النحو الثالث : ان لا يكون العلم التفصيلي ناظرا الى نفس ما تعلق به العلم الاجمالي ولن توجد خصوصية تميّز المعلوم بالإجمال عن المعلوم بالتفصيل ، وهنا لا ينحل الاجمال بالفرد المميّز لعدم انطباق العلمين على الفرد ، فيكون علما إجماليا بالجامع وعلما تفصيليا بالفرد وشكا بدويا بالأطراف .

النحو الرابع : الانحلال التعبدي : اي يكون العلم التعبدي بالفرد ناظرا الى نفس ما تعلق به العلم الاجمالي ،فينحل العلم الاجمالي بالانحلال التعبدي بدعوى : ان دليل حجية الامارة يرتب كل اثار العلم الوجداني على الأمارة بالتعبد الشرعي [٢٣] .

الركن الثالث : شمول الأصل المؤمّن لجميع الأطراف ، بان يكون في كل طرف من اطرافه موردا في نفسه لجريان الاصل المؤمّن مع قطع النظر عن التعارض الحاصل من العلم الإجمالي بين الأصلين في الطرفين ، لان كلا من الطرفين مشمول في نفس جريان الأصل المؤمّن يؤدي الى تنجيز الأطراف ، فتحصل وجوب الموافقة القطعية بالإثبات بكل الاطراف نتيجة وجود عدم المانع من جريان الاصل الترخيصي وهو ورود الترخيص الشرعي ، فتتعارض الأصول ، فتتساقط ، فتنجز الأطراف [٢٤] .

الركن الرابع : ان يكون جريان في كل من الطرفين مؤديا الى الترخيص في المخالفة القطعية ، وعلى درجة امكان وقوعها خارجا فهو مأذون فيه [٢] وما مرّ من الحالات التي تسقط فيها منجزية العلم الإجمالي ، نحيل هذا السقوط الى اختلال احد الاركان الاربعة التي مرّ بيانها [٢٥] .

المطلب الثاني: شروط الانحلال الحكمي :

توطئة : يراد بالحكم الانحلالي انتفاء المنجزية والتأثير عن العلم الإجمالي دون زواله حقيقة وهذا يتفق في حالات قيام الأمارة أو الأصل العملي على ثبوت التكليف لبعض اطراف العلم الإجمالي فيتضح إجراء الأصل المؤمّن في الأطراف بلا معارض فتنتفي منجزيّة العلم الإجمالي عن هذه الأطراف .

وبمثل هذه الدعوى يبدو انها ناشئة من ان العلم الإجمالي مقتضٍ للتنجيز وليس علة تامة لتنجيز أطرافه ، وما ثبتت المنجزية له إلا باعتبار امتناع إجراء الأصول المؤمّنة في كل الأطراف لاستلزامه الترخيص في المعصية ، وامتناع إجرائها في بعض الأطراف دون بعض لاستلزامه الترجيح بلا مرجح ، وبهذا الامتناع تتنجّز اطراف العلم الإجمالي [٢٦].

وعند اختلال هذه المقدمة بحيث تكون بعض الأطراف منجزة بأمارة اواصل مثبت للتكليف ، فيصبح جريان الأصل المؤمن في الأطراف الأخرى ممكناً بدون معارض ، ومعنى هذا سقوط العلم الإجمالي عن المنجزيّة بالانحلال الحكمي .

ففي مورد الانحلال الحكمي لا بد من توافر شروط ثلاثة هي .

الأول : بمقدار ما كشفت عنه الأمارة او ما نجّزته الأصول المثبتة للتكليف مساوٍ لمقدار ما هو المعلوم بالإجمال ، في مثل هذه تجري الأصول المؤمّنة عن بقية الأطراف بدون معارض[٢٧] .

ومثاله : لو علمنا بتنجس أربعة من الأواني من الثمانية ثم أعطت الأمارة كشفاً عن الأربعة المتنجّسة وهي الواقعة في طرف معين ، فان العلم الإجمالي عندئذ ينحل بالانحلال الحكمي ، وذلك لان المقدار الذي كشفت عنه الأمارة مساوٍ للمقدار المعلوم بالإجمال ، اما لو كان المنكشف بواسطة الأمارة ثلاثة من الأواني الثمانية

والواقع في طرف محدد ، فإن العلم الإجمالي لا ينحل ، في هذه الحالة ، تخرج الأطراف المنكشف نجاستها بالأمارة عن اطراف العلم الإجمالي وتصبح أطرافه خمسة ، ومنشأ ذلك عدم امكان إجراء الأصول المؤمّنة في الخمسة .

الشرط الثاني : ان لا يكون السبب الذي تكشف عنه الأمارة او يثبته الأصل مختلفاً عن سبب التنجيز بالإجمال[٢٨] ، فالمنكشف بواسطة الأمارة لا بد ان يكون مطابقاً كما هو المعلوم بالإجمال ، وكذلك ان تكون جهتا التنجيز في الأصل والعلم الإجمالي متطابقتين ، بمعنى ان يكون المتنجز بطريق الأمارة أو الأصل في أحد الأطراف متحداً في سببه مع التكليف المتنجز في العلم الإجمالي ولو كان السبب متغايراً فلا يتحقق الانحلال[٢٩] .

مثاله : فلو علم بالإجمال حرمة أحد الطعامين بسبب نجاسته عيناً ثم قامت الأمارة بتحديد الطعام النجس ، فإن العلم الإجمالي يسقط عن المنجّزية ،اما لو كان المنكشف بالأمارة مغصوبية الطعام المحددة نجاسته او كان الاستصحاب مقتضباً لذلك ، فان العلم الإجمالي لا ينحل ، لان المنجز بالأمارة او الاستصحاب غير المنجّز بالعلم الاجمالي .

الشرط الثالث : ان يكون قيام الأمارة او الأصل سابقاً قبل حصول العلم الإجمالي ، فلو كان بعده يبقى الأخير على المنجزية .

فلو علمنا اجمالاً بنجاسة احد الأناءين في الساعة الثانية ، ثم قامت أمارة في الساعة الثالثة على نجاسة الإناء الأول ، بقى العلم الإجمالي على المنجزية ، اي ان بعد قيام الأمارة في الساعة الثالثة يمكننا تشكيل علم جديد ، بان نقول إنا نعلم إجمالا بنجاسة اما الإناء الأول في الساعة الأولى او بنجاسة الإناء الثاني في تمام الساعات ، ومع ثبوت هذا العلم الإجمالي يتعارض اصل الطهارة في طرفيه ، وبالتعارض يكون العلم الإجمالي منجزاً ويجب الاجتناب عن كلا الطرفين[٣٠] .

المبحث الثالث : موارد الانحلال الحكمي وتطبيقاته .

المطلب الاول: موارد الانحلال الحكمي :

من موارد الانحلال الحكمي

المورد الاول : الانحلال بالعلم التفصيلي :

من موارد سقوط العلم الإجمالي عن المنجزية قيام العلم التفصيلي او انحلال العلم الإجمالي حكما ، وبطلان منجزيته بالعلم التفصيلي ، فهو تارة قد يقع :

بلحاظ الأصول العقلية ، ويقطع النظر بالتمام عن الأصول الشرعية المؤمّنة ، كقاعدة قبح العقاب بلا بيان ، واخرى يكون الكلام عن الانحلال الحكمي وسقوط العلم الإجمالي عن المنجزية بلحاظ القواعد والأصول الشرعية :

فبلحاظ القواعد العقلية ، يمكن إثبات الانحلال الحكمي للعلم الاجمالي بالعلم التفصيلي بهذا اللحاظ ، بدعوى ان الجامع المعلوم بالإجمال الذي تم به فرض تعلق العلم التفصيلي بطرف معين من أطرافه ، هذا الجامع يدّعى انه يستحيل عقلا ان يتنجّز بالعلم الإجمالي ، وذلك باعتبار ان الجامع المعلوم بالإجمال هو الجامع بحده الجامعي الذي يعني انه قابل للانطباق على كلا الطرفين ، وهذا انما يتنجّز اذا كان كلا الطرفين قابلا للتنجّز ، حينئذ يقال ان الجامع قابل لأن يتنجز بالعلم الإجمالي[٣١]

ولو فرض ان احد الطرفين غير قابل للتنجّز باعتبار كونه منجزا بمنجز آخر الذي هو العلم التفصيلي ، فيكون المعلوم بالتفصيل غير قابل للتنجّز ، وهذا مما يخلّ بالقاعدة لان الجامع لا يصبح قابلا للتنجّز بخروج بعض أطرافه عن كونه قابلا للتنجّز ، وبهذا المعنى ان العلم الإجمالي لا يمكن ان ينجز الجامع ، فينحل العلم الإجمالي انحلالا حكميا ، ويسقط عن المنجزية ومن ثم يفقد اثره .

واما من جهة لحاظ الأصول الشرعية المؤمّنة ، فهل ينحل العلم الاجمالي بهذه

الاصول حكما او لا ينحل ، وهذا يرتبط بما يختار في مسألة العلم الإجمالي ، هل هو علة تامة لوجوب الموافقة القطعية؟ كما ذهب اليه المحقق العراقي (قدس).

او انه مقتض لذلك بمعنى انه لا ينجّز وجوب الموافقة القطعية ابتداءً ، وانما ينجّزها بتوسط تعارض الأصول في الأطراف [٣٢] ، فهنا مسلكان :

الاول : ان كان القول بالاقتضاء فينحل العلم الاجمالي انحلالا حكما بالعلم التفصيلي باعتبار عدم تعارض الاصول مع افتراض تعلق العلم التفصيلي بأحد الأطراف المعيّن ، لعدم جريان الأصل المؤمّن في الطرف الذي تعلق به العلم التفصيلي .

الثاني : مسلك العلية التامة : فلو بنينا على هذا المسلك ، فانه يمنع من جريان الأصل في الطرف الآخر حتى لو لم يكن معارضا ، لان العلم الإجمالي عله تامة لوجوب الموافقة القطعية ، فالمانع الثبوتي المتصور من الجريان هو البناء على مسلك العلية التامة[٣٣]

مما يوجب استحالة الترخيص والأذن في أطرافه ومعه لا يصل الدور الى الاصول العملية في مقام الإثبات [٣٤] .

المورد الثاني : الانحلال الحكمي بالأمارات والأصول ، فيقع الكلام في انه هل ينحل العلم الإجمالي بقيام أمارة ، او اصل عقلي،او شرعي على بعض اطرافه او لا ينحلّ ؟

فلا بد من معرفة ان هناك فرقا بين الانحلال الحقيقي للعلم الاجمالي بالعلم التفصيلي وبين الانحلال الحكمي ، وحاصل الفرق انه يشترط ان لا يكون المعلوم بالتفصيل متأخرا زمانا عن المعلوم بالإجمال ، وهذا شرط أساسي في الانحلال الحقيقي ، وأما اذا كان المعلوم بالتفصيل متأخرا عن المعلوم بالإجمال وهنا لا يتم

الانحلال الحقيقي وأما اذا اتحدا زمانا ولم يتأخر عنه، حينئذ يكون الانحلال ممكنا [٣٥].

اما في الانحلال الحكمي فيشترط عدم تأخر زمان العلم التفصيلي عن زمان العلم الاجمالي أي تعاصر العلم التفصيلي مع العلم الإجمالي ، ولو تأخر زمانا لا يتحقق الانحلال الحكمي ، وهذا مما تطرقنا اليه .

وانتقالا لأصل المطلب : فلو وجد لدينا علم إجمالي ، ثم قامت أمارة في بعض أطرافه ، او تنجّز بعض أطرافه بمنجّز اصل شرعي او اصل عقلي وهذا الامر يعتمد على حيثية قيام الامارة او الاصل على ثبوت التكليف فيه ، فهنا لا مجال لتوهم الانحلال الحقيقي ، بل العلم الإجمالي بالحكم في احد الطرفين يبقى على حاله ولا يزول ، حيث تقدم ان العلم الاجمالي يتقوم بركنين اساسيين :

العلم بالجامع واحتمالات انطباق بعدد الأطراف ، وهذان الركنان موجودان في المقام حتى اذا قامت امارة على ثبوت التكليف في هذا الطرف ، او تنجز هذا الطرف بأصل عملي شرعي او عقلي ، فيبقى العلم الإجمالي محفوظا ، فكأننا نتكلم على الانحلال الحقيقي تعبدا بالأمارات والأصول[٣٦]

لكن عند قيام الامارة او الاصل المثبت للتكليف في احد الطرفين بعينه ، فهل يثبت الانحلال الحكمي في العلم الإجمالي ويفقد الأخير تأثيره ، وهذا يتطلب النظر الى المثبت للتكليف ، فان كان أمارة ، ونعلم بان الأمارة فيها خصوصية ، وهي حجية مداليلها الالتزامية ، والمدلول الالتزامي للأمارة حجه كالمدلول المطابقي وقامت الامارة على ان التكليف في هذا الطرف ولازمها نفي التكليف عن الطرف الآخر ، فلا إشكال في انحلال العلم الاجمالي بلا خلاف تمسكا بالمدلول الالتزامي .

واذا افترضنا أن المثبت للتكليف في احد الطرفين بعينه كان اصلا عمليا شرعيا

او اصلا عقليا فهو منجّز للتكليف ، ففي هذه الحالة وكحالة الامارة يمكن اثبات الانحلال الحكمي تمسكا ببعض او كل الوجوه المتقدمة لإثبات الانحلال الحكمي بالعلم التفصيلي [٣٧] .

المطلب الثاني: التطبيقات:

بحسب ما بحثناه في موردين

المورد الاول: انحلال العلم الاجمالي بالتفصيلي :

عرفنا ان لكل علم إجمالي سببًا ، والسبب تارة يكون مختصا في الواقع بطرف معين من اطراف العلم الإجمالي ، وأخرى تكون نسبته الى الطرفين او الاطراف على نحو واحد .

التطبيق الاول : ولو انحصرت في حدود الرؤية وقوع قطرة دم وقعت في واحد من الأواني ، ولم يحصل تميّز الإناء ، فيكون العلم إجمالا بنجاسة احد الأواني فتكون قطرة الدم قيدا في المعلوم ، فيمكن القول بان العلم اجمالا حاصل بنجاسة ناشئة من قطرة الدم لا بنجاسة كيفما اتفقت ، فلو لا وقوعها في احد الاواني لم يحصل هذا العلم الاجمالي . وهذا ما تختص به الحالة الأولى [٣٨] .

وان كان العلم التفصيلي بسبب اخر كما اذا رأيت قطرة اخرى من الدم سقطت في الاناء المعيّن لم ينحل العلم الإجمالي بالعلم التفصيلي ، لان المعلوم التفصيلي هنا ليس مصداقا للمعلوم الاجمالي لينطبق عليه ويسري العلم من الجامع الى الفرد بخصوصه [٣٩] .

التطبيق الثاني : ما كانت نسبته سبب العلم الاجمالي فيه الى الاطراف متساوية فلو حصل علم إجمالي بنجاسة احد الاناءات التي هي في معرض استعمال الكافر او الكلب لمجرد استبعاد ان يمر زمان طويل بدون ان يستعمل بعضها فان هذا

الاستبعاد نسبته الى الأطراف على نحو واحد ، ويترتب على ذلك انه لا يصلح ان يكون قيدا مخصصا للمعلوم الإجمالي [٤٠].

وسبب الاستبعاد هنا لا يختص واقعا بأحد الأطراف بل نسبته الى جميع الاطراف بدرجة واحدة .

وفي مثل هذه الحالات لا اشكال في انحلال العلم الاجمالي بالعلم التفصيلي انحلالا حقيقيا وبعد حصول الانحلال تزول المنجزيّة عن العلم الإجمالي ، لاختلال ركن عدم سراية العلم من الجامع الى الفرد [٤١].

المورد الثاني: التطبيق على الانحلال الحكمي بالأمارات والاصول :

فلو علمنا إجمالا بنجاسة احد الإناءين ، وكان قبل العلم الاجمالي امارة او استصحابا لهما الدلالة على نجاسة الإناء الأول مثلا ، ففي مثل هذه الحالة يكون العلم الاجمالي منحلا انحلالا حكميا ، وان العلم الإجمالي وان كان باقيا حقيقية إلا ان منجزيته قد زالت [٤٢].

وله حالات من التطبيقات حسب شروط الانحلال الحكمي :

الحالة الاولى : فلو اختل الشرط الأول بان لا يقلّ البعض المنجّز بالأمارة او الاصل الشرعي عن المعلوم بالإجمال من التكاليف . وعلى اساسها يكون العلم الاجمالي منجّزا للعدد الزائد ، والأصول بلحاظه متعارضة ومثاله :

بان يكون المعلوم النجاسة بين الاطراف الخمسة مثلا طرفين ثم افادت الامارة بنجاسة احدها المعيّن ، فيبقى العلم الإجمالي قائما بين الأطراف الاربعة الباقية .

الحالة الثانية : فلو اختل الشرط الثاني القائل : بان لا يكون المنجز الشرعي من امارة او اصل مغاير للمعلوم الإجمالي ، ومثاله : اذا علم اجمالا بحرمة احد الإناءين بسبب نجاسته ، وقامت البيِّنة على حرمة احدهما المعين بسبب الغصب [٤٣].

الحالة الثالثة : تختص بان لا يكون المنجّز الشرعي متأخرا عن حدوث العلم الإجمالي ، ولو اختل ، يبقى العلم الإجمالي على المنجزيّة ، ومثاله : فلو علمنا اجمالا بنجاسة احد الاناءين في الساعة الثانية ، ثم قامت أمارة في الساعة الثالثة على الاناء الاول بقي العلم الإجمالي على المنجزيّة ، اذ ان اصل الطهارة في الاناء الاول في الساعة الاولى _ قبل قيام الامارة _ كان جاريا وبجريانه يكون معارضا لأصل الطهارة في الثاني في تمام الساعات [٤٤].

الهوامش

(١)القاموس المحيط : الفيروز آبادي :٣/ ٣٦٠

(٢) لسان العرب : ابن منظور : ١٢/ ١٤١ ، ظ مجمع البحرين :٦/ ٤٦

(٣) الصحاح : الجواهري : ٣/ ١١٦٣

(٤)مباحث الاصول : بحث السيد الصدر ، تقريرات كاظم الحسيني : ج٣ق٢/ ٢٩٩

(٥) مستمسك العروة الوثقى :محمد سعيد الحكيم :١٠/ ٣٣

(٦) منتهى الدراية في توضيح الكفاية : محمد جعفر المروج : ٦/ ١٧٧

(٧) المصدر نفسه : ٦/ ١٧٧

(٨) الحج : المحقق الداماد :١/ ٧٧

(٩) مستند العروه : للسيد الخوئي بقلم مرتضى البر وجردي : ١٢/ ٤١٧

(١٠)القواعد الفقهية : البجنوردي :٣/ ١٦٤

(١١) مصباح الأصول : السيد الخوئي للبهسودي :٢/ ٣٥١ .

(١٢)دروس في علم الأصول : للسيد الصدر (محمد باقر) : ١/ ٣٦٢

(١٣) مباحث الأصول: كاظم الحائري: ٣ / ٢٩٨ ، ظ ، اصطلاحات الأصول : للمشكيني، ٨٢

(١٤) ارشاد العقول الى مباحث الأصول : محمد حسين العاملي : ٣/ ٤١٢

(١٥) شرح الحلقة الثالثة : محمد باقر الصدر (بقلم علي حمود العبادي) : ح٢ ق٢ / ٢٥٦

(١٦) فرائد الأصول : الشيخ الأنصاري : ٤/ ٤٤

(١٧) الامام الخميني : تهذيب الأصول : ٢/ ٥٤- ٥٦

(١٨) شرح الحلقة الثالثة : حسن محمد فياض العاملي : ٤/ ٣٣٨ .

ظ: دروس في علم الأصول : محمد باقر الصدر شرح وتعليق ناجي طالب : ٦/ ٢٢٧ .

(١٩) شرح الدروس (الحلقة الثانية) : كمال الحيدري : ١/ ١٥٣

(٢٠) الحلقة الثالثة في اسلوبها الثاني : باقر الايرواني : ٣/ ١٨٥ ،ظ: مقالات الأصول ٢/ ٢٢٩

(٢١) دروس في علم الاصول : محمد باقر الصدر : ٣ / ٧٢

(٢٢)المصدر نفسه :٣/ ٧١

(٢٣) بحوث في علم الاصول : بحث السيد الصدر وتقريرات كمال الحيدري :٤/ ٤١

ظ :للتفصيل : دروس في علم الاصول ٣/ ٧٢

(٢٤) الحلقة الثالثة في اسلوبها الثاني : باقر الايرواني : ٣/ ٢٧٦

(٢٥) دروس في علم الاصول : محمد باقر الصدر : ١/ ٣٦٦
(٢٦) محاضرات في اصول الفقه : بحث السيد الخوئي للفياض: ٥/ ٢٦٤
(٢٧)المعجم الأصولي : محمد صنقور البحراني : ١ / ٣٦٥
(٢٨)المصر نفسه : ١ / ٣٦٦
(٢٩) شرح الحلقة الثالثة : حسن محمد فياض العاملي : ٤ / ٣٣٢
(٣٠) الحلقة الثالثة في اسلوبها الثاني : باقر الابرواني : ٣/ ٣٣٠
(٣١) تهذيب الاصول : تقريرات السيد الخميني للسبحاني : ٢/ ٣٠٠-٣٠٢
(٣٢) مصباح الاصول : تقريرات السيد الخوئي للبهسودي : ٢/ ٣٦١ .
ظ : المحكم في اصول الفقه : محمد سعيد الحكيم : ٤/ ١٨٤
(٣٣) الحلقة الثالثة في اسلوبها الثاني : ٣/ ٢٢٠ ،٢٤٥، ط : البداية في توضيح الكفابة : على العارفي : ٣/ ١١٤ وفيه بيان رأي صاحب الكفاية ..
(٣٤) مفتاح الأصول : اسماعيل الصالحي :٣/ ١٣٢
(٣٥) مباحث الأصول : تبريرات السيد محمد باقر الصدر للسيد كاظم الحائري :٣/ ٣٣٠ .
(٣٦) دروس في علم الاصول : محمد باقر الصدر :٣/ ٨٣.
(٣٧) فوائد الاصول : تقريرات التايبني للكاظمي :٤/ ٤٦ .
(٣٨) الحلقة الثالثة في اسلوبها الثاني : باقر الايرواني :٣/ ٣١٧ .
(٣٩) دروس في علم الاصول : محمد باقر الصدر :٣/ ٢٢٣.
(٤٠) المصدر نفسه : ٣/ ٣٢٤ .
(٤١) المصدر السابق : باقر الايرواني :٣/ ٣٢٠
(٤٢)الحلقة الثالثة في اسلوبها الثاني : باقر الايرواني :٣/ ٣٢٨
(٤٣) دروس في علم الاصول : محمد باقر الصدر :٣/ ٢٢٦ .
(٤٤) المصدر السابق : باقر الايرواني : ٣/ ٣٣١ .

مصادر البحث

- إسماعيل الصالحي المازندراني: مفتاح الأصول إلى علم الاصول ، نشر الصالحان ،ط١/ سنة الطبع ١٤٢٤هـ،ق.
- البجنوردي(محمد حسن) : القواعد الفقهية، تحقيق: محمد حسن الدرايتي ومهدي المهريزي، بيروت/ دار الهادي، ط١٤١٩،١هـ.
- البهسودي (محمد سرور) ، مصباح الأصول، بحث السيد الخوئي:أبو القاسم بن عليّ اكبر الموسوي، (ت ١٤١١ هـ)، نشر: مكتبة الداوري، المطبعة العلمية، ط٥، قم، ١٤١٧ هـ .
- الفيروزابادي (محمد بن يعقوب) ت٨١٧هـ، القاموس المحيط، دار احياء التراث العربي ط١، بيروت ١٤١٢هـ.
- حسن محمد فياض العاملي: شرح الحلقة الثالثة للشهيد محمد باقر الصدر، منشورات دار المصطفى لاحياء التراث،ط١/ سنة الطبع ١٤٢٨هـ.
- السيد روح الله الخميني: تهذيب الاصول ،للسبحاني ، الناشر : دار الفكر ، المطبعة : شركة چاپ قدس، الطبعة : الثالثة، سنة الطبع : ١٣٦٧ ش ،قم ،ايران
- علي العارفي:البداية في توضيح الكفاية، نشر بنايش،ط١/ ١٣٧٤هـ،طهران ،ايران.
- السيد كاظم الحسيني الحائري: مباحث الأصول ،الطبع والتصحيف : مطبعة مركز النشر – مكتب الإعلام الاسلامي – قم ، الطبعة : الأولى، تاريخ النشر : ربيع الأول – عام ١٤٠٧ هـ .
- محمود الهاشمي : بحوث في علم الأصول : تقريرات بحث محمد باقر الصدر ؛ قم : دائرة المعارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (ع) ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، ١٤١٧ ق .
- كمال الحيدري : الدروس (شرح الحلقة الثانية للسيد الصدر) ، منشورات دار فراقد للطباعة والنشر ،المطبعة ستارة ،ط١/ ١٤٢٨ هـ،قم ،ايران.
- محمد باقر الايرواني: الحلقة الثالثة في اسلوبها الثاني، نشر المحبين للطباعة والنشر ، المطبعة قلم، ط١/ ٢٠٠٧م،قم ،ايران.
- محمد باقر الصدر: (ت ١٤٠٠ هـ)، دروس في علم الاصول، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط٢، بيروت ١٤٠٦ هـ.
- محمد حسين العاملي : ارشاد العقول الى مباحث الاصول،دار الاضواء للطباعة والنشر،ط١/ ١٤٢٣هـ ، بيروت ،لبنان .
- محمد جعفر المروج: منتهى الدراية في توضيح الكفاية ، الناشر : مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر مطبعة غدير، الطبعة السادسة ١٤١٥ هـ ،قم، ايران.
- محمد سعيد الحكيم:المحكم في اصول الفقه،نشر، مؤسسة المنارمطبعة

جاويد،ط١/ ١٤١٤هـ.
- محمد صنقور عليّ: معاصر، المعجم الاصولي، منشورات نقش، المطبعة عترت ـ ط٢ ، ١٤٢٦ هـ.
- محمد عليّ الكاظمي، (ت ١٣٦٥ هـ)، فوائد الاصول، تحقيق: الشيخ آغا ضياء الدين العراقي، نشر مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم، ١٤٠٤ هـ.
- مرتضى محمد امين الانصاري: (ت ١٢٨١ هـ)، فرائد الاصول، تحقيق: لجنة تحقيق: تراث الشيخ الاعظم، نشر: مجمع الفكر الاسلامي، المطبعة: باقري، قم، ١٤١٩ هـ.
- مرتضى البروجردي :مستند العروة(بحث السيد الخوئي)،النشر،لطفي ،المطبعة العلمية،ط٢/ ١٣٧٦هـ ،قم .
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب تحقيق: عامر احمد، نشر دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤٢٦هـ.

قراءة نقدية اسلوبية في ديوان (شمعة في العدم)
للشاعر اليمني محمد المَهَدّي

Stylistic Critical Reading on A Candle in Nowhere of Muhammad Al-Mahdi

أ.م.د. حسام حمد جلاب
Asst. Prof. Dr. Hussam Hamad Jalab

قراءة نقدية اسلوبية في ديوان (شمعة في العدم) للشاعر اليمني محمد المَهَدِّي

Stylistic Critical Reading on A Candle in Nowhere of Muhammad Al-Mahdi

أ.م.د. حسام حمد جلاب
جامعة القادسية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Hussam Hamad Jalab
University of Al-Qadysia / College of Education / Department of Arabic

Abosgid7373@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٩/ ٧/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ١٤/ ٨/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث :

ينطلق النص الشعري في ديوان (**شمعة في العدم**) للشاعر اليمني (**محمد المَهَدِّي**) بقصدية اعتمدت على فاعلية محكمة على مستوى الصورة والأداء وطريقة التعبير ، وطبيعة الاسناد ، فضلاً عن فاعلية الشاعر في توظيف التكرار بوصفه ظاهرة دلالية وصوتية ، مرتبطة إلى حد ما بالحالة النفسية والشعورية للشاعر ، سعى من خلال ذلك كلّه إلى تحقيق دلالات نوعية بدت للمتلقي خاصة ، تستجلي الحالة وتكشف عن عمق الصراع الداخلي / النفسي له ، المرتبط جدلاً بالأزمة الاجتماعية التي عاشها و يعيشها، فشكّلت مصدراً من مصادر تكوين النص الشعري عنده فجاء ديوانه الشعري (**شمعة في العدم**) ليعكس عمق ذلك الصراع ، فتمظهر في شعره صراعان، الصرع الأول : داخلي / نفسي ، والصراع الثاني : خارجي / اجتماعي وتكشَّف هذان الصراعان عبر نسق لغوي خاص استطاع ان يوظف القيم والمفاهيم توظيفا سياقياً وآخر تعبيري لغوي ،رفد النص بها ليكون نصا قادراً على استجلاء الحالة وتوصيف الحدث بعمق ودراية ، فكان النص بأكمله نصا مبتعدا عن نمطية التعبير وكلاسيكية الصورة . والبحث هنا يحاول تقديم قراءة نقدية أسلوبية لهذه المجموعة الشعرية تكشف عن فاعلية الأداء من خلال ربط النص بالسياق الخارجي والموجهات النصية الداخلية التي أثرت تأثيرا مباشرا في تشكيل نسق النص ، وتكوين الصورة الشعرية، فكانت هنالك جدلية قائمة ملحوظة بين النص والسياق الخارجي حيث المشكلات الداخلية التي تسببت للشاعر بأزمة نفسية لا يكاد ينفك عراها عن الأزمة الاجتماعية ، وكانت خطة البحث موزعةً على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : (فاعلية الصورة)

والمبحث الثاني : (فاعلية التكرار) بينما المبحث الثالث : (فاعلية الانزياح)

Abstract

The aim of this study is to determine the effectiveness of performance in the poetry of Mohammed Mahdi in his Candle in Nowhere. It is quite convenient to determine the reservoirs of such an effect forming his stylistic touches in three directions, effectiveness of the image. From these three activities، the text grows influential in terms of the ability of the poet to express the image through a specific linguistic aspect to convey his deep ideas and ambience of the text. Moreover, the effectiveness of graphic performance reveals the mental image of the self and of the recipient's, and the poet, between the self and the response, reveals his mentality with creativity and innovation. Here comes the repetition as a feature and a stylistic specialty in his poetry، was not within the text a marginal presence can be dispensed ، But we have worked within the determinants of poetic music and the determinants of semantic intent associated with the dialectic determinant of the stylistic dominant، within the dialectic and within the framework of the determinants of text and words are well composed and constructed.

The poet realizes the intention of deviation at the level of syntax through a linguistic culture. Thus, it is possible to say that the poet possesses the most important elements of poeticism as they are represented in stylistic masterpieces reflecting a kind of uniqueness and originality in the text as well. Hence، it can be said that the effectiveness of the text in the poetry of the Mahdi is very determined in three events; the effectiveness of the statement, the effectiveness of repetition and the effectiveness of deviation.

المبحث الأول : (فاعلية الصورة):

تعد الصورة الفنية أساس الخلق الشعري، فهي تشكيل جمالي ونفسي يتكون مما التقطته حواس الشاعر المبدع من مدركات حسية أو معنوية، بحسب طبيعة تأثره بها، حتى يمكن أن نطلّ منها على الباعث النفسي المتواري خلف ألفاظ القصيدة ومكوناتها الفنية وأسسها البنائية ومهيمناتها الأسلوبية ، وما تركته التجارب والمشاهد التي رافقت حياة الشاعر من آثار عميقة الغور في وجدانه، فتتدفق احساساته بصياغات جمالية محسوسة ومشحونة بعاطفة تستجيب لها نفس المتلقي على نحو تلقائي ، لتلمس انفعالات الشاعر وخلجات نفسه المعبرة عن النبوغ الفني من طريق ربط الخيال بالصورة[١]

والتشبيه من أهم مقومات الصورة الشعرية في شعر(المهدِّي) ، إذ اعتمد عليه في عملية التوصيف والتمثيل والمقاربة داخل النص الشعري ، فجعل النص أكثر إثارة وتأثيراً في المتلقي ، ووظفه توظيفا قائما على أساس تقريب الصورة الخيالية المجردة ذات الأبعاد الكلية الشاملة ، وجعل الصورة بعيدة عن نمطية الوصف ، فمثّل التشبيه في شعره ملمحاً أسلوبياً ، ويمنح التشبيه النص كثافة تصويرية ،وأبعادا إيحائية تجذب عناية المتلقي واهتمامه ؛ لذلك يعد تصويراً يكشف عن حقيقة الموقف الجمالي الذي عاناه الشاعر في أثناء عملية الإبداع ، ويرسم أبعاد ذلك الموقف من طريق المقارنة بين طرفي التشبيه ،مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر [٢]؛ لذلك أدرك الشعراء ما للتشبيه من قيمة فنية تعبيرية ، يتيح لهم أن يتخذوا منه أداة لتصوير خلجاتهم النفسية التي تعمل بداخلهم ، فصوَّروا الأفكار من خلاله وأخرجوها عن التفكير المجرد إلى الآخر المحسوس ، لذلك أكثروا منه في أشعارهم وحاول به اللاحق أن يدرك شأو السابق [٣] إن من المهم ونحن نتحدث عن أسلوبية التشبيه

الإشارة إلى جانبين يتعلقان بـ (الصورة التشبيهية) ، هما : الوظيفة الإبداعية و الوظيفة النفسية [٤] فالوظيفة الأولى (الإبداعية) ترتبط بطبيعة النص الشعري القائم على أساس تصوير الجمال وكشف مكامنه داخل النص ، وهنا تكمن وظيفة الشعر ، فالشاعر يلجأ الى وسائل متعددة ومختلفة لجعل نصه الشعري نصاً مفعماً بأسباب الجمال . أما الوظيفة الثانية فهي (النفسية) التي يراد منها أن الشاعر يعرض صوره الشعرية عرضاً خاصاً ليس بالضرورة أن يكون منسجماً والواقع المعيش ، لذلك كان النص الشعري متميزاً ، يحمل صوراً شعرية رسمت بلغة شعرية محكمة .

ومن نماذج التشبيه في شعره قوله في إحدى قصائده التي غلب عليه التشاؤم واليأس والقنوط :

أولاً في الحياة بعضاً وكلاً (الخفيف)
لا أظنُّ الطريقَ إلاَّ مضلاً
المرايا مريضةٌ ،
والليالي مثل أثداء كلبة تتدلّى . [٥]

إن تشبيه الليالي بأثداء الكلبة تشبيه فيه من الغرابة والجدة، لأنه تشبيه قائم على أساس محاكاة الصورة الخارجية المحسوسة لصورة (أثداء الكلب) في قبالة صورة الليل المدركة ، فصورة الأثداء حملت في ذاكرة الشاعر دلالة ورمزاً ، ويبدو أن الشاعر قصد وجه الشبه بين الصورتين فليالي الشاعر لها صورة (صورة مشوهة / بشعة) كصورة أثداء الكلبة ، فأخذ الشاعر يشبه القبيح بالقبيح ، وخص أثداء الكلبة دون غيرها لربما حرصاً منه على التشبيه بأقبح الصور . فالتشبيه في هذه المقطوعة هو تشكيل بلاغي يستحضر فيه لغة خاصة الهيئة الحسية أو الشعورية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته على وفق تعادلية فنية

بين طرفين هما المجاز والحقيقة دون أن يستبد طرفٌ بآخر(٥)

ومن نماذج الصورة التشبيهية قوله في قصيدته (من الباب أو من شرفة) :

تدورُ الحَكايا (الطويل)

والدجى خيطُ رحلِها

وما الرحلُ إلاّ ظلمةٌ مستديرةٌ

سلاحي : رغيفٌ يابسٌ

ومتراسي عظامي

ودرعي في العراءِ حصيرة(٦)

ينطلق الشاعر في رسم صورته الشعرية في هذه المقطوعة على اساس تشابك التشبيهات وتداخلها داخل النص ، كوَّنت تلك التشبيهات المتداخلة صورة حية واستطاعت أن تصوّر حالة الضعف عند الشاعر المعبر عنها بوساطة تشبيه المحسوس بالمحسوس تارة (سلاحي رغيفٌ يابسٌ) وتشبيه مجرد بمجرد (وما الرحلُ إلاّ ظلمةٌ مستديرةٌ) ، فعبر الشاعر عن ضعفه بتوصيف سلاحه الذي يقارع به الحياة القاسية المثقلة عليه ، فصارت مصدراً لقلقه ، لذلك شبهه بالرغيف اليابس ، فمتراس الشاعر (مصدر الحماية ووسيلة الدفاع) عظامه ، ودرعه حصيرة في العراء ، جاءت تدليلاً لتوصيف مكامن قوته الخاوية البالية . فسلاحه رغيف يابس ، ومتراسه عظام بالية ، ودرعه حصيرٌ في العراء ، وبهذه التشبيهات البليغة تكوّنت الصورة في النص وتشكّلت ، فكانت ملمحاً أسلوبياً على مستوى الصورة الشعرية / الفنية المرسومة ، سعياً وراء التأثير في المتلقي وإثارة عواطفه محققاً في ذلك صورة تعبر عن أعماق الإنسان ، تلك الأعماق التي يتحسسها الإنسان في نفسه وفي الأشياء ، أو الكون ، هي صورة متماثلة شكلاً ، وذلك هو السبب في أنها على نحو طبيعي

يستعير أحدها من الآخر[٧]

ويستوقفنا التشبيه في قوله :

لا أغنَّي من ذلك اليوم

حينَ اختنقَ الليلُ بالبكاء الترابي

وألقى بجثة الملحِ في وجهي ،

ولم ينصرف

كَمَا يَفعَلُ الحَطَّابُ في ساعة الحريق .

دمي لم يحترق . [٨]

لقد رسم الشاعر هنا صورة حية مفعمة بالحيوية ، صورة شعرية بنيت على أساس التوظيف الاسلوبي للفنون البلاغية ، فقد عمد إلى فن التشبيه ، تشبيه صورة بصورة حيث المقاربة التصويرية بين الطرفين على أساس جعل المشبه عين المشبه به ، فاضطلع بمهمة تصبو إلى جعل المتلقي في حالة من الدهشة والانبهار اللتين تعدان أساس القول الشعري ، فالصورة في هذا المقطع إنما هي صورة شعرية مكوَّنة من اجتماع فنين هما : (التشبيه ، الاستعارة) ، يربطهما رابط دلالي ، انتج صورة لا يمكن تجزئتها أو تفككها، لأن الصورة الشعرية كي تكون مؤثرة في المتلقي وتحدث كسراً للتوقع لابد أن تكون متسمة بالانسجام والترابط ، فالصورة المجزأة لا تحقق الهدف فضلاً عن الغاية . فالشاعر من خلال هذا التشبيه قد منح النص كثافة تصويرية ،وأبعادا إيحائية تجذب اهتمام المتلقي ؛ لذلك يعد تصويراً يكشف عن حقيقة الموقف الجمالي الذي عاناه الشاعر في أثناء عملية الإبداع ، ويرسم أبعاد ذلك الموقف من طريق المقارنة بين طرفي التشبيه ،مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر بل تربط بينهما في حالة أو صيغة أو وضع [٩]فقوله (دمي يحترق) ، فيه إيحاء وإشارة

واضحة إلى أن الشاعر يمر بحالة نفسية مزرية ، بيد أنه لم يفصح لنا عن مسببات تلك الأزمة ، بل اكتفى بتوصيف تلك المعاناة بلغة شعرية خرقت نمط التعبير المباشرة بغية مخاطبة ذات المتلقي.

ومنه قوله :

آثارُ أقدامي قلبي (البسيط)
وحشةٌ وجبالٌ في الدّهورِ
ولدتُ أمشي على رأسِ الهواءِ
كما تمشي السّماءُ على رأسي ، لتكسِرَهُ (١٠)

لقد تداخلت هنا الصورة البصرية الحاصلة في التشبيه (آثارُ أقدامي قلبي) مع الصورة المجردة غير البصرية (كما تمشي السّماءُ على رأسي ، لتكسِرَهُ) ، جعلت المتلقي واعيا ومدركا لماهية ذلك الربط وجماله ، فالشاعر استطاع أن يجمع حاسة البصر بالمخيلة المنتجة لتلك الصورة ، فحوَّل المادة اللفظية داخل النص إلى مادة تصويرية فاعلة أسهمت في إنتاج النص ، فتشبيه آثار القدم بالقلب تشبيه خارج عن المألوف ، ويبدو أنه أراد بآثار الأقدام ماضي الشاعر حيث الذكريات القديمة التي شبهها بالقلب مصدر الحياة والعاطفة والحب ، فذكريات الشاعر لها مكانة في الذاكرة الفردية له بمنزلة أهمية القلب الذي يمنح الإنسان الحياة والعاطفة والحب ، ثم عمد الشاعر الى تشبيه غريب جداً (كما تمشي السّماءُ على رأسي ، لتكسِرَهُ) والغرابة تكمن في إضفاء صفة الحي المتحرك على الجامد غير المتحرك (السماء / تمشي) ، واستكمل تلك الصورة بجعل تلك الحركة (تمشي) على رأسه فكسرته ، فجاءت الصورة الكلية هنا متكوّنة من صور جزئية شكّلت بمجموعها صورة

غريبة بعض الشي ، فيها ايحاء ورمزية مبنية على أساس توظيف الفن الاستعاري ، فالألفاظ (السماء ، الرأس ، التكسر ..) ، هي ألفاظ حاول الشاعر أن يجد بينها رابطاً دلالياً ، بين طرفي التشبيه ، وعلى المتلقي أن يكشف عن ذلك الرابط أو العلاقة ((لأن المتلقي يعد محور القضية والأساس في العملية الإبداعية ، فضلا عن ذلك نجد أن التشبيه يعد منبهاً للقارئ لأننا نعلم ان ذلك التحول في صياغة النص يعد كسراً للسياق اللغوي فعدَّ دافعاً لجذب الانتباه، لأن السياق إذا ما استمر على وفق نسقٍ بعينه سيكون سياقاً مُشْبَعاً)) فالسماء دلت على الشيء المرتفع ، فقد يكون حلماً يستحيل تحقيقه ولكثرة ما نظر الشاعر نحوه انكسر رأسه ، والانكسار هنا انكسار مجازي أراد منه كسر الإرادة وكبح الطموح ، فالصورة الشعرية اكتسبت فاعليتها من خلال الاعتماد على تلك الفنون مع توفر اشتراطات الجدة والابتكار ، فكانت ظواهر بنائية / اسلوبية على مستوى إنتاج النص ، على وفق نسق تعبيري / لغوي خاص .

ومن مكونات الصورة البيانية في شعره (الاستعارة) ، التي شغلت حيزاً واسعا من ديوانه الشعري (شمعة في العدم) ، استعارات مبنية على أساس تحقيق الفاعلية في النص ، فاعلية قائمة على أساس فني / جمالي ، فاستطاع المهدّي أن يجمع حاسة البصر بالمخيلة المنتجة لتلك الصورة ، المتحققة بوساطة ذلك النسق الشعري ، الذي عمل على تحويل المادة اللفظية إلى مادة تصويرية فاعلة في إنتاج النص ، فاستطاع الشاعر أن يبني صوره الشعرية بوساطة التوظيف الفني للاستعارة التي تقوم على أساس توسيع دائرة الوصف والتمثيل ، فمن نماذجه في شعره قوله :

ويومئذٍ والرغيفُ بعيدٌ عن الأرض (المتقارب)
والجوعُ والخوفُ في عقر دارك

يومئذٍ
لا رسائلَ للحب غير الرصاص
الرصاصة أقرب للقلب من جلنارك
وتختلفُ الأغنياتُ مع الوتر الشّاعري بكل اختصاصك [١١]

لقد عمد الشاعر عبر تقنية المجاز والاستعارة الى جعل الصورة أكثر تماسكاً وأشد تأثيراً ، فالمجاز جاء على وفق اسنادات لغوية تجاوزت المألوف والمتعارف (كسر التوقع) ، فقد استنطق الجماد ، وبثَّ الروح فيه ، فعبر مجازاً عن الموت المحيط به من جانب بالرصاص ، فالرصاص آلة الموت ، وبه تُقْتَل الحياة . مجمل استعارات الشاعر وصوره تتسم بالغموض ؛لأنه شاعر يتكلم على وفق إسنادات تتسم بالغرابة ، يستحيل الجماد حياً والحيّ جماداً ، كانت له قدرة على تشكيل الصورة على نحو غير مألوف ، فالصورة مقلوبة ، تسير على غير ما هو مألوف في النسق التعبيري الشعري تحقق ذلك في النص عبر تأليف لغوي عمد الى جمع الصور مرة واعادة تشكيلها من جديد مرة أخرى مثل قوله ((لا رسائل للحب غير الرصاص)) وهنا تكمن مقومات القول الشعري المؤثر القائم على مفارقة دلالية ، إذ جعل من الرصاص أداة الموت رسائل للحب ، فالشاعر على وفق هذا التوصيف لربما كان متهكماً ساخراً من واقعه المعيش ، فاستطاع أن يجمع الأجزاء ويعيد توحيدها كصورة فنية ترسم للمتلقي ليحدث التأثير عبر عملية التوصيل القائمة على التلقي الناجح ، وهي من أولى وظائف الشاعر المجيد القادر على تحريك المشاعر .

ومن نماذجها في شعره قوله :

البابُ يُغْلِقُ مصرعيه ويفتحكْ (الكامل)
وأنا بأغنيةِ الزَّوايا ألمحك

ونشيدُكَ الرمليُّ خلفَ ضلوعِهِ
يُلقي بجثمانِ السّلامِ
ويمدحُكَ (١٢)

لقد تعددت معالم التشخيص والتصوير فجاءت على نسق دلالي موحد ومتلاحم بعضها مع بعض ،أوصلت القصيدة الى أعلى مستويات الشعور واللحظة الشعرية المكثفة ، امتزجت صورة الطبيعة مع موجودات الشاعر ، فآلف بينهما بطريقة يهتز لها المتلقي ، وتسحبه الى أماكن مفعمة بالعاطفة والشعور ، إذ عمد الشاعر الى المزاوجة فانتج صورة شعرية كسرت التوقع لدى المتلقي ، أداتها الاستعارة التي أسهمت في النص إسهاماً فاعلاً في رسم الصورة وتكوينها ، فكانت ركناً رئيساً فيها (البابُ يُغْلِقُ مصرعيه ويفتحكْ) (وأنا بأغنيةِ الزَّوايا ألمحك) و (نشيدُكَ الرمليُّ خلفَ ضلوعِهِ يُلقي بجثمانِ السّلامِ ويمدحُكَ) ، فكل استعارة من هذه الاستعارات الاربع شكلت صورة جزئية ، انتجت صورة كلية شاملة مجتمعة ، فالباب رمز للأمل ، والاغنية أداة بصر وابصار ورؤية / حلم ، فجعل للسلام جثماناً ، فالاستعارة مبنية على أساس استعارة المحسوس المدرك للمجرد غير المدرك ، فالاستعارة جاءت لتجعل المعنى أكثر تأثيراً بالمتلقي ، فاللغة الشعرية استطاعت أن تترجم الجمال وتعبر عن مكنونات الذات فضلا عن قدرتها على كشف العاطفة وتصوير الخيال ، تم ذلك لها عبر اسنادات لغوية تجاوزت المألوف والمباشرة الى الاسنادات التي تهدف الى كسر التوقع لدى المتلقي وجعل التأثير بأعلى مستوياته ، ثم يستمر الشاعر بتلك الطريقة الاسنادية الاستعارية ، إذ يقول :

يجهلني النسيانُ
أعقلُهُ ...

دفئي مخيَّلتي
نجوايَ ذاكرتي
والجوعُ كسرةُ خبزي
لا جديدٌ سوى قرصين
من حكمة للنّور شاكرةً
لا أشتهي ما تحبُّ الكائناتُ
ولا بي رغبةٌ
للتّشهي والمكابرةِ
هناك تأكلُني الرّؤيا وتشربني
لغاية – في ضمير اللهِ – حاضرة [١٣]

وقوله :

لا أفتحُ البابَ ، (البسيط)
إنَّ البابَ يقرعني
وثمَّ قارعةٌ بالجوعِ منكسرةْ
وطفلة تعجن البارودَ
في دمِها
حمالة الحربِ
بالأيتام مستعرة [١٤]

لقد بني النص على مجموعة من الاستعارات شكّلت بمجموعها صورة شعرية بيانية كسرت توقع المتلقي ، فجملة ((يجهلني النسيانُ)) التي افتتح بها نصه كسرت توقع المتلقي ، فهي تركيبة اسنادية مثلت حوار الشاعر مع ذاته المكسورة والمأسورة

، وإلا كيف يكون فاعل النسيان هو الجهل ، فقد عبر عن حالة اليأس بالنسيان والجهل ، ففي قوله (دفئي مخيلتي) ، استطاع الشاعر عبر هذا التكوين الاسنادي تشكيل معنى جزئي من خلال تحريك الدلالة نحو توقع جديد ، اسند الدفء وهو ثيمة مادية / محسوسة الى المخيلة وهي ثيمة معنوية / مجردة ، فقد شبه المحسوس بالمجرد ، والمادي بالمعنوي ، ومن هنا جاءت الغرابة الدلالية التي كسرت توقع المتلقي . وكذلك في قوله : (وطفلة تعجن البارود في دمها) ، فقد تشكل المعنى الشعري من خلال عدة اجزاء دلالية دلت عليها الالفاظ المكونة لها ، فالطفلة مثلت البراءة ، والفعل (تعجن) حمل معاني متعددة ، فقد يكون الشاعر قد قصد به حالة الفقر والجوع بسبب من الحرب المستعرة ، فبدلا من ان تعجن ما يسد رمقها ويغنيها من جوع وهو الطحين (رمز الحياة) كان البارود (رمز الموت) .

استطاع الشاعر أن يكشف عبر هذه الحزمة من الاستعارات بوضوح عن قدرته على خلق أدوات التأثير الجمالي / الفني التي تخلق فعاليتها وديمومتها في تصويرها المتحقق من إسناد الشيء لما هو له ، فالشاعر بهذه الاستعارات كان واعياً ومدركاً القصد الدلالي المحقق عبر تلك التحولات الاسنادية المكوّنة للصورة الاستعارية ، فالاستعارة هنا كانت عنصراً مهماً ورئيساً في كشف فاعلية الصورة عند الشاعر ، استطاع أن يخلق صوراً متعددة ، فدفة الشاعر غدت مخيلته الخصبة المنتجة للأفكار والصور ، ونجواه المستمر طوال حياته أصبحت ذاكرته حيث الماضي وتجلياته ، ثم أخذ يلملم أجزاء الصورة وليعيد تشكليها من جديد على وفق نسق شعري محكم من خلال رسم الواقع بخيال الشاعر ، فامتزج عنده بالواقع (الجوع ، والحرب ، والبؤس) ، وبذلك انتقل الشاعر من وصف الذات الى وصف الآخر ، ومن الفردية الى الجماعية .

ومن نماذج الصورة الاستعارية قوله :

يا بنتُ من أكلَ الحياةَ ؟ (الرمل)

أجوعُ يأكلُني الطعامُ (١٥)

تطالع هذه القصيدة وسواها، فترى عناصر مألوفة في مفرداتها، غريبة في سياقها وتراكيبها، لأنها مبنية على أرض خيالية مسحورة، وغير مألوفة مثل : ((أجوعُ يأكلُني الطعامُ)) ، فالصور لا منطقية هنا ولا عقلية، إنها (هلوسة) حينما قرأوها أول مرة ، وحين تتأملها طويلاً حتى تترشح لك ببعض الدلالات ، ففي هذا الاسناد الغريب بدلا من أن يكون الطعام هو المأكول كان هو الآكل ، وهنا مفارقة دلالية ، فالجوع غريزة حيوانية والأكل هو من يشبع تلك الغريزة ، فالشاعر حينما يشعر بالجوع الغريزي يتجه صوب الطعام فبدلا من أن يكون الطعام هو (المأكول) كان هو (الآكل) ، فهذه المفارقة على مستوى الدلالة المتحققة بوساطة اللفظ شكلت فلسفة ذاتية خاصة للشاعر ، من هنا يمكن القول إن الشاعر قد تمرد على غريزته وخالف طبيعة تلك الغريزة ، فرأى الطعام على وفق فلسفته الخاصة هو الذي يأكله بمعنى يلغي وجوده الانساني ، ويحوله الى كائن غريزي حيواني ، وهذا ما عبر عنه بالفعل (يأكلني) ، الذي شكّل مركز المفارقة ومحور التمرد .

يمكن القول إن الصورة الاستعارية في هذه المقطوعة الشعرية قد اكسبت النص كثافة تصويرية ،وأبعادا إيحائية تجذب عناية المتلقي واهتمامه ؛ لذلك يعد تصويراً يكشف عن حقيقة الموقف الجمالي الذي عاناه الشاعر في أثناء عملية الإبداع ، ويرسم أبعاد ذلك الموقف من طريق المقارنة بين طرفي التشبيه ،مقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر بل تربط بينهما في حالة أو صيغة أو وضع (١٦)

ونخلص ممّا تقدم أنّ فاعلية الصورة تكمن في قدرة الشاعر على إنتاج صور شعرية

فاعلة كسرت توقع المتلقي من خلال الركون إلى تشبيهات خاصة واستعارات مخصوصة ، أحدثت الدهشة في المتلقي ، فكانت الصور الشعرية عنده قد عملت على جعل النص الشعري نصاً مفتوحاً ، يحتمل عدة قراءات وتأويلات ، وهذه التعددية في القراءة والتأويل يمكن أن نعدها من موجبات تحقق الفاعلية للنص الشعري .

المبحث الثاني : (فاعلية التكرار) :

يعد التكرار من الأساليب الفنية في التعبير الأدبي ، وهو أسلوب تعبيري قديم قدم العربية ، ولهذا كثر في أساليب العرب قبل الإسلام ، ومثل أحد أساليب التعبير القرآني ، وقد تحدث البلاغيون عنه ، وكشفوا عن أشكاله ، واستنبطوا حدوده [١٧] ومن هنا كان التكرار في الشعر له وظيفة دلالية أكثر منه صوتية ، وليس من أهدافه سد نقص في الكمية الصوتية للبيت أو الشطر ، وإنما يولد من خلال المماحكة أو المزاوجة بين اللغة والنفس ، ليكون منتمياً إليها ، وقادراً على تلمس الأسلوب الأمثل المفضي إلى ترجمة الصدق الفني للتجربة[١٨] ومن هنا استطاع التكرار أن ((يكشف عن فاعلية قادرة على منحِ النصّ الشعريّ بنية مُتَّسقة، إذ إنّ كلَّ تكرارٍ من هذا النوع قادرٌ على تجسيدِ الإحساس بالتسلسلِ والتتابعِ، وهذا التتابع الشكليّ يعينُ على إثارة التوقُّع لدى السامع، وهذا التوقُّع من شأنِهِ أن يجعلَ السامعَ أكثرَ تحفُّزاً لسماعِ الشاعر والانتباه إليه)) [١٩]ومن وظائفه الدلالية تأكيد غرض من أغراض الكلام ، أو المبالغة فيه ، هذه المبالغة مرتبطة بموقف المنشيء من المكرر ، وبتعبير أدق من دلالة المكرر ، إذ إن هذا (المكرر) يمثل مركز ثقل للحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر ، تلك الحالة قد تتصف بشيء من الاختلال في داخل النفس ، يحاول الشاعر من خلال هذه الفاعلية أن يخفف من ذلك الثقل والضغط [٢٠]

يرى (جاكوب كرج) في كتابه (مقدمة في الشعر) أنَّ الإيقاع في الشعر يعد شعورا لا أصواتا[٢١] وهذا التصور يعني أن الإيقاع أو البنية الايقاعية في الشعر ترتبط جدليا بالدلالة والمعنى ، فكان الشعور والعاطفة هي دلالات مختفية داخل البنية اللغوية للنص ، فالقضية إذن هي أكبر من كون الايقاع وسيلة صوتية الغرض منها التنغيم . لذلك ذهب الدكتور محمد النويهي إلى أن الإيقاع الصوتي المتحقق داخل النص ينقل المتلقي إلى ((عالم لا تستطيع الكلمات المنثورة أن تبلغه ، وإنما تبلغه الكلمات المنظومة ، فهذا العالم الذي يتعدى حدود الوعي له معنى ولكن معناه يبلغه بكلماته ذوات الموسيقى الشعرية)) [٢٢] وذهب (كولردج) إلى أن (الإيقاع) في الشعر إنَّما هو إيقاع في أعماق مشاعر النفس ، فالتجربة الشعرية تحدث انفعالاً قوياً في نفس المبدع ، يهز كيانه ، فيأتي(الإيقاع) الشعري بعناصره المتعددة ، بوصفه ملطفاً وموجهاً ، ومنظماً لتلك ، الانفعالات ، ولكي تستعيد نفس المبدع هدوءها ونظامها ، يتدخل جانب الإرادة والحكم فيها تدخلاً واعياً، فينظم هذه الفورات الانفعالية ، ويضع لها معالم وحدوداً تضبط سيرها [٢٣] ونخلص من ذلك كله أنَّ (التكرار) يعد فاعلية أسلوبية / بنائية ويعد ركنا مهماً من أركان تكوين النص ، جيء به لتحقيق المقصد الدلالي والمقصد الصوتي / الموسيقي ، والشاعر محمد المهدّي استطاع أن يوظف هذه التقنية الأسلوبية في شعره لتحقيق الفاعلية على مستوى إنتاج النص على نحو مغاير ، ليشكّل في شعره ظاهرة تستحق الدراسة والوقفة والتحليل .

ومن نماذج التكرار في شعر المهدّي قوله :

لابدَّ من لغة فوق طاقتها في الخوارق
لابدَّ من نفسٍ يتنفَّسُ من رئة التنفس
لابد من شمعة تشربُ الروحَ من دمعتينِ مهاجرتينِ
لابدَّ أنْ تقتفي أثَرَ المنتهى [٢٤]

التكرار هنا جاء ليحقق الوظيفة الصوتية والوظيفة الدلالية ، توظيفاً جمالياً على وفق ما أقره الدارسون [٢٥] لقد جاء التكرار بوساطة تكرار الشاعر للفظة (لابد) في النص محاولاً في هذا التكرار رسم معالم عالمه الذي يحلم بتحقيقه ، فكل (لابد) مثلّت حلماً خاصاً ليكون مصدراً لسعادته داخل الواقع المعيش ، فـ (لابد) التي تكررت في هذه المقطوعة (أربع مرات) ، عبرت عبر تكرارها عن حلم خاص ، فلابد الأولى (لابد من لغة ....) ، مثّلت حلم الشاعر في تملكه لغة طاقتها تفوق الخوارق تجعله قادرا على البوح والكشف والتحليل ، أما لابد الثانية (لابد من نفس يتنفس من رئة التنفس) فقد مثلت حلما خاصا كذلك ، وقد كنى بالرئة والتنفس عن الحرية ، كشف عن ذلك بوساطة الفعل (تنفّس) ، وتأتي لابد الثالثة (لابد من شمعة ...) فالشمعة هنا نقيض الظلمة ، فالشاعر جعل من مسببات تحقيق الحلم أن تتوفر شمعة تضيء الظلمة وهو تعبير مجازي ، فالشمعة قد تكون رمزا للعلم والمعرفة وقد تكون رمزا للتقدم والرقي ، وتأتي لابد الرابعة (لابد أن تقتفي أثر المنتهى) ، وهذه الرابعة هي نهاية الحلم والنتيجة التي يحلم الشاعر بتحقيقها .

استطاع الشاعر من خلال هذه الصور (الاستعارية) أن يصف عالماً موازياً لواقعه الحقيقي المعيش ، تبحث فيه عن مكان الأمل ، فهو بين ذات الشك وذات اليقين ، وبوساطة التكرار عكس صراع الذات ، ذات الشاعر بين موقفين متلازمين (الواقع المعيش) و (الحلم) ، فجاءت اللغة الشعرية مبنية على أساس إيجاد نوع من التوافق داخل الشاعر (صراع الواقع والخيال) ، كله ذلك جاء بسبب من حالة الانقسام التي يعيشها الشاعر ، فتارة متفائل وتارة أخرى متشائم ولكل من الحالتين معطيات ومسببات . ونخلص من ذلك أن الصورة عند الشاعر يستمد فاعليتها من علاقات اللغة التي لا تنفصل فيها دلالة عن دلالة ولا صورة عن صورة تحققت

تلك الفاعلية من خلال استدعاء التشبيه المناسب والاستعارة المناسبة ليكونا معاً انتاجا مميزاً لصورة شعرية فاعلة . قد اتخذ الشاعر((أسلوباً مفهوماً بعيداً عن الغموض، كأن أية قراءة لا تؤدي إلى استخراج المعنى بصورته الحقيقية تؤدي إلى ضياعه، لذلك لم يميلوا إلى التأويل ، لأنه يوقع القارئ في شراك الالتباس، فالإفهام مطلوب من الشاعر، والاستعارة ينبغي أن تكون مناسبة والمناسبة تعني التقارب بين المستعار منه والمستعار له، أي وجود قرينة، تعمل على إدراج المعنى ضمن المألوف، ليكون واضحاً سهلاً)) [٢٦]فلابد في كل مرة مثّلت حلماً خاصاً حرّك في داخل الشاعر وعياً ممكناً ، يسعى من خلاله إيجاد نوع من الحراك على مستوى الذات على أقل حدٍّ ، وذلك الوعي الذي عبرنا عنه بالوعي الممكن ، له محددات خاصة وبنى لغوية / تركيبية مخصوصة ، تتجه من (البنية الداخلية) الى (السياق الخارجي) أو العكس ، ومن خلال اتحاد معطى البنية الداخلية مع معطى البنية الخارجية ، يتولّد التغيير الذي كان حلم الشاعر ، فكانت (لابدّ) مركز التحول والتغيير ، وتحقق ذلك كله بوساطة (التكرار) والضغط اللفظي .

ومن النماذج الأخرى قوله :

ويقول : رجلٌ من سرنديب .. ((المتقارب))

ويحمل في يده صورتي ويقول :

احفظوا يا رفاقي ملامح بوذا العظيم .

رجلٌ من سرنديب حد الذهولْ

له صلة بجديد اكتمالي

له صلة باكتمالي القديمْ [٢٧]

عمل التكرار هنا في هذه الأبيات الشعرية المحقق بوساطة تكرار الجملة الاسمية

(له صلة) ،على تجميع العناصر والوحدات في شبكة متماثلة فكان التكرار قضية جوهرية في الخطاب الشعري ، من هنا يتضح أن ثمة علاقة جدلية بين اكتمال الماضي واكتماله الجديد ، فالصلة لا يمكن أن تكون منقطعة ، بل هي صلة مترابطة ، فالجديد المكتمل هو نتيجة الماضي المكتمل ، يكون اكثر لفتاً للنظر ، ومن هنا كان المعنى ((داخل هذا النظام القائم اساساً على التكرار)) [٢٨] فالتكرار جاء هنا لعلة بيانية مرتبطة جدلاً بالمعنى الخاص والدلالة العامة [٢٩] ولا يكتسب التكرار فاعلية تجعله ظاهرة اسلوبية مميزة إلا من خلال اشباع شعوري غير قائم على التراكم اللفظي فحسب ، وإنما من حلال ((مخالفة التوقع)) [٣٠] فالتكرار ظاهرة اسلوبية تكمن أهميته الايقاعية من خلال «تقوية النبرة العامة للكلمة ... بيد أن المفردة لاتحقق نبرة معينة بالتكرار فقط ، وانما بواسطة الدلالة المشحونة بها» [٣١] وهنا تتكشف للمتلقي عن فاعلية التكرار في شعر المهدّي .

ومن نماذج التكرار في شعره ، قوله :

افتراضاً أغادرُ هذي الحياة المميتة (المقارب)

ما سأحدثه من جديد لهذا الفلك ؟

سوف ألقي بسر المسافات في مطلق للمجاز

وأصعد أبعدُ أبعدَ من كل ذلك ...أصعدُ جدّاً

وانت تحدّقُ في الضوء والضوء أبعدُ

أصعدُ

أصعدُ

أحملُ قلبي الصغيرَ / الكبيرَ

بدمعةِ أمّي...

أحملُ قلبي الصغيرَ / الكبيرَ ،
هناك على الطيران أرتِّبُ سبعينَ ألف ملك
افتراضاً أكونُ الحقيقةَ . (٣٢)

إنَّ تكرار الفعل المضارع (أصعد) أربع مرات جاء ليؤكد حالة القلق والتوجس وحالة الحزن المفرط التي تملكت ذات الشاعر ، فحالة الصعود المعبر عنها بوساطة تكراره ، إنما جاءت لتعكس رغبة الشاعر بالصعود الى الأعلى حيث طموحه، وهربه من الأسفل حيث الواقع المعيش، فيمكن لهذا التكرار أن يمثل حدث الهرب من الواقع حيث الظلمة والشر التي تملكت الذات الانسانية في مجتمعه ابتعاداً عن الظلمة ، فالنص حوى على ألفاظ حملت على وفق بناها الدالة على معانٍ ضدية وهذه التقابلات الدلالية ارتبطت جدلاً بالفعل المتكرر (أصعد) ليعبر بتكراره عن حالة التبرم الواقع (النزول ، الظلمة ، الإنسان الشرير) ، فالنزول في قبالة الصعود ، والظلمة في قبالة الضوء والملك في قبالة الذات الانسانية الشريرة ، فالصعود حلم والنزول واقع ، والضوء أمل والظلمة يأس ، فهذه المقابلة الدلالية فجاءت لتأكيد الدلالة والمعنى . إنَّ للتكرار دوراً كبيراً في عكس تجربة الشعراء الانفعالية، التي شكَّلها، ومن هنا يمكن القول إنه ((لا يجوز أن يُنْظَرَ إلى التكرار على أنَّه تكرارُ ألفاظ بصورة مبعثرة غير متصلة بالمعنى، أو بالجو العام للنصِّ الشعريّ، بل ينبغي أن يُنْظَر إليه على أنَّه وثيقُ الصلة بالمعنى العام)) (٣٣) وبالمتلقي الذي يعد ركناً مهماً من أركان التلقي الشعري ، فالتلقي ((ليست متعة جمالية خالصة فحسب ، ولكنها مشاركة وجودية تقوم على الحوار بين المبدع والمتلقي ، فالعمل الأدبي مشترك بين مبدعه ومتلقيه ، ويقع في منطقة وسطى بينهما ، ويحاول المبدع أن يجذب المتلقي إلى دائرة الفهم ، والشاعر على وجه الخصوص لا يصل إلى معنى ثم يبحث عن لفظه ،

كما يفعل المبتدئ في تعلم لغة جديدة ، لكن الوثبة تأتيه ككل بلفظها ومعناها وتأتيه منطوقة غالباً)) [٣٤]

ومن نماذج التكرار قول :

ويقول واصفاً الملائكة :

لم يجرحوا وردةً ، (البسيط)

لم يكسروا قمراً ،

لم يطفئوا شمعةً

من نورهم ذرفوا

يبكون ... [٣٥]

يبدو من ذلك أن النص له بنية عميقة تفهم من خلال فهم سياقه النسقي ، فالشاعر قصد من وراء ذلك هو كشف صفات الملائكة ، في قبالة الكشف عن الصفات المتضادة للإنسان ((لم يجرحوا وردةً ، لم يكسروا قمراً ، لم يطفئوا شمعةً)) ، تدليلاً على البراءة ، فأراد بالنفي المتكرر بوساطة أداة النفي والجزم والقلب (لم) ، تنزيه الملائكة عن فعل مشين ، كما أثبت للإنسان كل فعل مشين على وفق التصور الخاص بالشاعر، اعتماداً على قراءة خاصة للواقع الانساني المعيش . فالملائكة (لم يجرحوا وردة) في قبال الإنسان (جرحوا الوردة) والملائكة (لم يكسروا قمراً) ـ في قبال الإنسان (كسروا القمر) الملائكة (لم يطفئوا شمعةً) في قبال الإنسان (أطفأوا شمعةً). ومن هنا يمكن القول إنَّ للتكرار وظيفة مهمة تخدم النظام الداخلي للنص ، وتشارك فيه ، لأنّ الأديب يستطيع بتكرار بعض الكلمات أن يعيد صياغة بعض الصور من جهة ، كما يستطيع أن يكشف عن الدلالة الإيحائية للنص من جهة أخرى [٣٦] وقد تحقق ذلك في التكرار اللفظي الذي عمد إليه الشاعر ، رابطاً

الوظيفتين (الدلالية والصوتية) هنا بعلاقة جدلية ، فتكرار أداة الجزم هنا مثلت في كل مرة دلالة ومعنى خاصا .

فالتكرار في شعر (محمد المدّي) كان عنصراً فاعلاً في تشكيل الخطاب الشعري ، فالبيت الشعري عنده هو شكل صوتي متكرر ضمن قيم صوتية معينة ، وأدرك الشاعر أنَّ التكرار يولّد عند القارئ حساً بالتوتر والتوقع ، وهما : شعوران يميزان اللغة الشعرية القائمة على التوتر والتوقع ، إنَّ للتكرار دوراً كبيراً في عكس تجربة الشعراء الانفعالية، التي شكَّلها، ومن هنا، لم ينظر الشاعر إلى التكرار على أنَّه تكرارُ الألفاظ والجمل والعبارات والأدوات بصورة مبعثرة غير متصلة بالمعنى والدلالة ، أو بالجو العام للنصِّ الشعريّ، إنما نظر إليه على أنَّه ظاهرة أسلوبية وثيقُ الصلة بالمعنى العام والخاص للنص ليحقق الفاعلية الخاصة .

المبحث الثالث : (فاعلية الانزياح) :

يراد بالانزياح هو ((خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر أو هو الخروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم أو جاء عفو الخاطر ، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة))[٣٧] يُعنى المستوى التركيبي بكشف وتشخيص الطاقات التعبيرية الكامنة في أشكال التركيب النحوي للجمل وما يحدث فيها من مزايا تعبيرية من تقديم وتأخير وحذف ووصل وفصل وذكر وحذف واختيار بدائل تركيبية لصيقة بالتعبير عن الجوانب الوجدانية داخل النص [٣٨]

فالشعر فن قولي أداته اللغة [٣٩] ، إذن العلاقة بين اللغة الشعرية وقواعد النحو علاقة تكاملية ، بل تلازمية ، فليس هناك إبداع أسلوبي من غير وجود قواعد نحوية ولغوية قد تمكنت في ذهن المبدع ، وتمكن منها ، كما هي كذلك بالنسبة للناقد الأسلوبي ، والمتذوق لجماليات الإبداع ، وربما أوحى قول بعض الدارسين أن هناك

تقاطعاً بين مقتضيات النحو ، وإمكانات الأسلوب قال : ((إن النحو يحدد لنا ما لا نستطيع قوله من حيث يضبط قوانين الكلام ، في حين تقفوا الأسلوبية ما بوسعنا أن نتصرف فيه عند استعمال اللغة ، فالنحو ينفي ، والأسلوبية تثبت)) [٤٠] فاللغة الشعرية لا تلتزم بما اصطلح عليه النحويون بالرتب المحفوظة ، إذ قامت اللغة الشعرية في عملية الوصف والتوصيف وبناء النص وتكوين الصورة على أساس الانحراف ، حتى قيل : يجوز للشعراء ما لايجوز لغيرهم[٤١]

وبالرجوع إلى شعر المهدي نجد أنّ الانزياح اللغويّ في شعره قد اكتسب خصيصة بنائية بنيت على أساس جعل البنية جسراً لفهم الدلالة والمعنى على وفق نسق دلالي محكم ، أخذ ذلك النسق يمتد ليشمل جسد النسيج اللغويّ كله ، خارقاً النظام البنائي التقليدي على مستوى الجملة والتركيب و الرصف الأدائي، متجاوزا في ذلك سلطة الرصف البنائي التقليدي معطياً الجملة في القول الشعري شأناً وخصيصة ، ومن هنا وجدنا أن فاعلية الانزياح المتحققة بوساطة انزياح الرتبة هو الأكثر فاعلية وحضوراً في ديوانه هذا ، لذلك سنقتصر على الحديث عن هذا النوع (انزياح الرتبة) كقوله :

لقد كان لي فيها (الطويل)
مكانٌ مؤثَّثٌ بأنقاضه
نعم المكانُ / المغارةُ
يدوِّن
ما أملي عليه من الأسى
لديه من الصبرِ الجميلِ مهارةُ[٤٢]

استطاع الشاعر أن يبرز القيم الجمالية للنص ، والكشف عن الأثر الناتج عن تواشج

ثنائية التركيب والدلالة ، بما يمنح الخطاب تميزه عن غيره من الاساليب ، ومن هنا لا بد ان تكون دراسة الأسلوب مبنية على أساس الكشف عن خصائص الأسلوب المتسم بالإبداع والفنية ، والتي تعد هذه الخصائص من أهم ما يتصف به القول الشعري [٤٣] وتحقق ذلك في النص من خلال تقديم خبر الناسخ على اسمه في أكثر من مرة كقوله : (لقد كان لي فيها مكانٌ مؤثَّثٌ بانقاضه) ، إذ قدم خبر الناسخ شبه الجملة (لي) على المبتدأ النكرة (مكان) ، إذ أعطى هذا الانزياح تخصيصاً للمعنى وحصراً للدلالة ، فالعلة البيانية مرتبطة على وفق ذلك التصور باختلاف ترتيب الكلمات والمفردات ، بالدلالة والمعنى ، هي فكرة قررها (باسكال) حينما ذهب إلى أن الكلمات المختلفة الترتيب يكون لها معنى مختلف ، وأن المعاني المختلفة الترتيب يكون لها تأثيرات مختلفة ...» [٤٤]

ومنه وقوله :

لا تجوعوا الى الطعامِ
الى الحكمةِ جوعوا اظمأوا بعيدا
فم الأيام لا يمضغُ المكانَ
فمُ الأيامِ منفى مجفَّفٌ
على الرفِّ قبورٌ قديمةٌ
على الرفِّ جهاتٌ أميَّةٌ [٤٥]

إذ عمد الشاعر إلى تقديم الخبر في مواضع ، فقد قدّم الخبر شبه الجملة (على الرّف) على المبتدأ (قبورٌ) ، كما قدّم الخبر شبه الجملة (على الرف) على المبتدأ (جهات) متجاوزا في ذلك الترتيب الأصلي للتركيب من خلال تقديمه ما حقه التأخير ، ويدخل هذا التقديم في دائرة الغرض البلاغي الكامن في ضرورة تقديم

ما له من العناية والاهتمام ، فضلا عن إفادة التخصيص والقصر[٤٦] وهذا يعني أن الشاعر قد تحرك بقصدية واعية ومدركاً لذلك التقديم رابطا بطريقة جدلية بين الدلالة والتقديم المتحقق في النص على الرغم من كونه تقديما جائزا ، كون الخبر شبه جملة والمبتدأ معرفة [٤٧] فالتقديم الذي قصده الشاعر ولجأ إليه رغبة منه في سرعة ايصال الخبر الى المتلقي ، فأعطى الخبر أهمية وعناية ، فالتقديم جاء متساوقاً مع الدلالة الخاصة بالبيت الشعري التي تعطي الأهم من المعاني الاولوية في التقديم أو التأخير.

وقوله :

خافقٌ مذهلٌ ...رؤى مذهلةٌ (الخفيف)

وعلى الرمل تسقط الجلجلة

وفرسٌ أم فراسةٌ

وحصانٌ أم حصونٌ

بواطلٌ مبطلةُ

قل : صهٍ يا صهيلُ

وللشر والخير خيولٌ

للغاية الأخيلة [٤٨]

قدّم الشاعر الخبر شبه الجملة (للغاية) على المبتدأ (الأخيلة) وهو تقديم مرتبط جديا بالدلالة العامة للنص والمعنى الجزئي داخل البيت الشعري، فالتقديم هنا جاء لغرض بياني يكمن في رغبة الشاعر في إسراع الخبر للمتلقي ، ولاسيما أن ذلك الخبر حامل معاناته وهمومه ، وهنا تكمن الفائدة الدلالية المتوخاة من التقديم في هذا الموضع ليبرهن الشاعر من خلاله أن التقديم والتأخير ، انما هو تكتيك لغوي

مرتبط بالحالة الشعورية الانفعالية للشاعر [٤٩] فالتقديم جاء على وفق معطيات المعنى وحاجة الدلالة ، فلم يكن تقديما طارئاً غير مقصود البتة .وهنا تكمن بلاغة التقديم وفائدته في النص بعامة ، محاولا كسر التوقع لدى المتلقي والابتعاد به عن دائرة الأسلوب التقريري المباشر .

أو قوله :

كان للرمل غايةٌ

(الرمل)

أكلتها الحروبُ

عجرفةٌ[٥٠]

يبرز هنا دور الشاعر في استعمال اللفظ المناسب والتركيب الذي يلائم المعنى والدلالة والغرض ، ليبين أن اللفظ والتركيب في القول الشعري له خصوصية ،لذلك أدرك نقاد القول الشعري أن هناك فرقاً بين المفردات من حيث هي أساس التركيب داخل النصوص غير الشعرية والمفردات من حيث هي مادة في العمل الشعري ، فهي تكتسب في النص الشعري دلالات جديدة اعتماداً على جدلية رابطة بين نمطية التركيب الاسنادي والنسق الدلالي[٥١] وبالمقابل على الشاعر أن يُعنى بالتحول الداخلي للجملة نفسها ، ويعي كذلك أن الدلالة ترتبط جدلاً بالدلالة ، فكل تركيب له حضور دلالي خاص يكشف للمتلقي عن معنى خاص محدد ، ومن هنا تبدأ أهمية (الانزياح المتحقق بالرتبة) ، وفيه تكمن مركزيته في إدراك ذلك الانزياح من منظور يظهره في أروع صور الانسجام وأكملها ، كما أنه وسيلة من وسائل التأثير في المتلقي محققاً القصدية أولا وكسر التوقع ثانيا .

أو قوله :

وعلى الشرفة الدموعُ (الخفيف)
على الموت كثيراً
عوالمٌ مشرفةٌ
وكتابُ الضحى كبيرٌ
بلا وضوء
كتاب جميعُهُ أغلِفُهُ (٥٢)

إن مجموع هذه الانزياحات هي من تظهر أدبية النص ، المتولدة اساسا من تركيبته اللغوية ، أي وليدة ما ينشأ بين هذه العناصر من انسجة متنوعة متميزة ، فالطابع الشعري في كل حدث ادبي هو تفجر الطاقات التعبيرية... المحدد بسياق معين ، لأنها تحدد انطلاقا من خصائص انتظام النص بنيويا مما يجعل الطابع الفني علامة مميزة لنوعية مظهر الكلام داخل سياق الخطاب(٥٣) وبناء على ذلك كانت العناية منصبة على فعالية النظام الاسلوبي والبنائي للشعر على وفق تجليات خرق النظام التقليدي البنائي للجملة ، من خلال الكشف عن الأسباب التي دعت الشاعر إلى استعمال هذا الأسلوب دون غيره ، فضلاً عن معرفة العلاقة الرابطة بين ذلك وبما يريد قوله من دلالات ومعان(٥٤)((وعلى الشرفة الدموعُ)) ، ((على الموت كثيراً)) ، فعمد الشاعر الى تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ ليعطي الكلام أكثر تخصيصا وعناية أو كقوله :

وللخيامِ فوانيسٌ ملونةٌ (البسيط)
وللفوانيسُ ملء الليلِ ثوراتٌ
والثائرون
كعمال المناجمِ

أفواهُ الدُّجى ابتلعتهم والمغازاتُ[٥٥]

أو كقوله :

إنّ بيَّ من الليل جوعاً (المتدارك)

سوى النور لست أحتاج قوتاً[٥٦]

فالمهدّي يعد شاعراً مبدعاً ، تمكن من لغته ، وجد في الانزياح أسلوباً يتيح له قدراً من المرونة في التحول والتنقل من حال إلى أخرى ، ومن تعبير الى آخر ذلك لما يمتلكه هذا الاسلوب من خصائص ميّزته عن غيره من الاساليب، واعطت الشاعر قدرةً للتعبير من خلالها عن مضامين طغت على شعره ، فقوله : ((إن بي من الليل جوعاً ...)) ، قدم خبر الناسخ على اسمه ، فكان التقديم مرتبطًا بالدلالة ، فالجوع والحرمان هي مفردات الشاعر التي شكلت حيزا واسعا من معجمه الشعري في هذا الديوان ، فالتقديم هنا هو من باب القصر والتوكيد ، فربط الليل المظلم الطويل الموحش بالجوع ، فالشاعر اراد ان يزيد من صورة البؤس فربط الجوع بوصفه ظاهرة بايدلوجية بالظلم بوصفه ظاهرة كونية.

ومن نماذج الانزياح قوله :

وفي ضلوعي زئيرُ الجمرِ (البسيط)

ألبسني من داخلي

كلما مزقتُ مئزره[٥٧]

لقد عمد الشاعر الى تقديم الخبر شبه الجملة في قوله (وفي ضلوعي زئير الجمر) ، لضرورة الدلالة وقصدية المعنى لقد ادرك الشاعر هذه الحقيقة النحوية ، أتاح له أن يضيف إلى شعره بعداً جمالياً في تكوين المعنى الشعري ، من خلال العدول عن الترتيب المألوف إلى ترتيب آخر ، يتميز بقدرته على إبراز الدلالة بتقديم جزء على آخر

، أو تأخيره عنه ، مع الاهتمام بالناحية التطبيقية ، من خلال الابتعاد عن التعميمات المطلقة ، ورصد سياقات معينة للخروج منها بالتنويعات التي تمثل ظواهر أسلوبية ترتبط بمجالٍ تعبيري محدد [٥٨] فتقديم الخبر شبه الجملة (في ضلوعي) على المبتدأ (زئير الجمر) ، إنما أراد الاسراع في كشف معاناته ونقلها بطريقة سريعة للمتلقي ، بغية التأثير فيه ، فالتقديم إنما جاء لعلة دلالية ، تكمن في رغبة الشاعر بالإسراع بإيصال معاناته إلى المتلقي ، فزئير الجمر هو تعبير مجازي لما عاناه الشاعر من ألم وقسوة قد خصص مكان ذلك كله (في ضلوعي).

ونخلص مما تقدم يمكن القول أن (فاعلية الانزياح) هي فاعلية قائمة على أساس العدول السياقي المتبوع بتحول دلالي ، يحدث ذلك التلازم بين السياقين (السياقي والدلالي) بوعي وإدراك من طرفي العملية الإبداعية (المتكلم والمخاطَب) على حد سواء ، والشاعر قد استعمل هذا العدول ، فجاء التكرار في شعره مرتبطاً بمسائل سايرت لحظة الإبداع والخلق ، فأكسبت النص قيماً شعورية جديدة على مستوى الصوت والدلالة ، فأحدث – كما رأينا – دلالات نوعية خاصة مكَّنت الشاعر من كشف معانيه ، فلم ينظر للانزياح على أنه تقنية لغوية / تعبيرية متأتية من تقليد، وإنما نظر إليه بوصفه ضرورة رئيسة من ضرورات التعبير.

الخاتمة

هدفت هذه الدراسة الى الكشف عن فاعلية الأداء في شعر محمد المهدّي في ديوانه (شمعة في العدم) ، فاستطعنا أن نحدد مكامن تلك الفاعلية التي شكلت في شعره مهيمنات أسلوبية ومحددات بيانية و في ثلاثة اتجاهات (فاعلية الصورة) و (فاعلية التكرار) و (فاعلية الازياح) ، ومن تلاقي هذه الفاعليات الثلاث كان النص مؤثراً من حيث قدرة الشاعر على رسم الصورة بوساطة أدوات التعبير البياني (اللغة ، والفن البلاغي) ، واستطاع ان يعبر عبر نسق لغوي خاص وتشكيل معرفي عن أفكاره العميقة بالذات والمحيط ورؤاه الحالمة وبوساطة ذلك النسق اللغوي وعبر فاعلية الاداء البياني يكشف عن الصورة الذهنية من خلال ايجاد نوع من التقارب بين الصورة الذهنية للشاعر نفسه (الذات) والصورة الذهنية للمتلقي (الاستجابة) والشاعر بين الذات والاستجابة استطاع ان يكشف عن قدرته في القول الشعري حيث الابداع والابتكار ، وفعل الشيء نفسه في استدعائه للتكرار بوصفه ظاهرة أسلوبية في شعره ، فلم يكن وجوده داخل النص وجوداً هامشياً ، وإنما كان يعمل داخل النص ضمن محددات الموسيقى الشعرية ومحددات القصد الدلالي المرتبط جدلاً بالمحدد الاسلوبي المهيمن ، وضمن تلك الجدلية وضمن إطار محددات النص حيث الالفاظ والتراكيب فضلا عن البناء أدرك الشاعر قصدية الانزياح على مستوى بناء الجملة عبر ثقافة لغوية بدت لنا رصينة مستوعبة لأسرار اللغة ، فكان للانزياح فاعلية واضحة في نصوصه الشعرية ، ومن هنا يمكن القول إن الشاعر قد امتلك أهم مقومات القول الشعري ، مثلت تلك المقومات مهيمنات أسلوبية عكست فرادة النص فضلا عن أصالته ، ومن هنا يمكن القول إن فاعلية النص في شعر المهدي تحددت ضمن ثلاث فاعليات اسلوبية وهي (فاعلية الصورة) و(

فاعلية التكرار) و (فاعلية الانزياح) ، ومن خلال الترابط القصدي / الفني بين تلك المحددات الأسلوبية يتضح للمتلقي معالم الأداء الشعري وفاعليته .

الهوامش :

١-ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢ : ١٤

٢-ينظر : التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ،عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع ،مدينة نصر ،القاهرة ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م:٥٣.

٣-ينظر : فنون التصوير البياني ، د. توفيق الفيل ، منشورات دار السلاسل ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ : ٧١ .

٤-جدلية الخفاء والتجلي ، د. كمال أبو ديب : ٢٢.

٥-الديوان : ١٩٥

٦-الديوان : ٢٣٠-٢٣١

٧-ينظر : الشعر والغموض ولغة المجاز ، دراسة نقدية في لغة الشعر (بحث) ، احمد محمد المعتوق ، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج ١٦ ، ع٢٨، شوال ١٤٢٤هـ : ٩٦٦

٨-الديوان : ٢٥٢

٩-ينظر : التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ،عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع ،مدينة نصر ،القاهرة ،ط٢، ٢٠٠٠م:٥٣

١٠-الديوان : ٩٣

١١-الديوان : ٤٨

١٢-الديوان : ٩٤

١٣-الديوان : ١٦٨ -١٦٩

١٤-الديوان : ١٤٨

١٥-الديوان : ١٤٣

١٦-ينظر : التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ،عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع ،مدينة نصر ،القاهرة ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م:٥٣.

١٧-ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١ - ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

١٨-تكرار التراكم وتكرار التلاشي ، ظاهرة أسلوبية ، تطبيق على الشعر العراقي الحديث ، د. عبد الكريم راضي جعفر / ٩ ـ ١٠ ، بحث منشور.

١٩-التكرار في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة ، دراسة أسلوبية، ١٥.

٢٠- ظاهرة التكرار في القصيدة العربية الحديثة ، د. رحمن غركان، مجلة كلية التربية ، العدد

٣٢١في ٢٠٠٠م : ٧٩ ، بحث منشور.

٢١-ينظر : مقدمة في الشعر ، جاكوب كرج ، تحقيق : رياض عبد الواحد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ : ٧٥ .

٢٢-قضية الشعر الجديد ، محمد النويهي ، دار الفكر ، الطبعة الاولى ، ١٩٧١ : ٢٠ .

٢٣- الصورة والبناء الشعري، د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف ، مصر الطبعة الأولى ، ١٩٨٢: ٩.

٢٤- شمعة في العدم : ٧٦

٢٥- ينظر : ظاهرة التكرار في القصيدة المعاصرة ، د. رحمن غركان، مجلة كلية التربية ، العدد ٣٢١في ٢٠٠٠م : ٧٩ ، بحث منشور

٢٦-مقومات عمود الشعر الأسلوبية ، د. رحمن غركان منشورات اتحاد الأدباء العرب ،الطبعة الأولى،٢٠٠٤: ٣٣

٢٧-الديوان : ٦٤

٢٨-بنية القصيدة ، عبد الهادي زاهر ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد ٣ لسنة ١٩٨١ : ٢٢٢ .

٢٩-جماليات الاسلوب في رواية مجرد ٢ فقط، د. موسى ربابعة ، مجلة الاقلام ، العدد ٣ لسنة ١٩٩٨ : ٣٢ .

٣٠- السلام المباح في اقليم التفاح ضمن كتاب (الشعر والمستقبل)، د. بشرى البستاني : ١١٥ .

٣١-الافكار والاسلوب ، أ. ف. تشيشرون ، ترجمة : حياة شرارة : ١٨٤ .

٣٢-شمعة في العدم : ٨٠-٨١

٣٣-التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، موسى ربابعة ، جامعة اليرموك، الأردن، مؤتمر النقد الأدبي ١٠ ـ ١٣ تموز١٩٨٨ ، : ١٥.

٣٤-د. مصطفى سويف – الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – دار المعارف – ط٢ – ١٩٥٩م – ٢٩٤ .

٣٥- شمعة في العدم : ٢١٣

٣٦-ينظر : مقالات في الأسلوبية : ٨٣ .

٣٧-الأسلوبية (الرؤية والتطبيق) ، تأليف : الاستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧ : ١٧٥

٣٨-ينظر : الأسلوبية الأدبية (من لغة النص إلى مغزى الخطاب) د. محيي الدين محسب ،

إصدارات عبد العزيز المانع ، السعودية ، الطبعة الأولى ٢٠١١: ٥٥ .

٣٩-الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين اسماعيل : ٢٣٤.

٤٠-الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي : ٥٦.

٤١-ينظر : المصدر نفسه : ٥٧

٤٢- شمعة في العدم : ٢٣٦

٤٣-بلاغة الخطاب وعلم النص :١٧٩

٤٤- نظرية اللغة في النقد العربي ، د. عبد الحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٨٠ : ٢١٣ ، وينظر : البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، مصطفى السعدي ، منشأة المعارف المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ : ٢٠٧-٢٠٨ .

٤٥- شمعة في العدم : ٢٥٣

٤٦-ينظر : البلاغة والأسلوبية : ٣٤١ .

٤٧- ينظر : جواهر البلاغة : ٢٣١ ، وينظر : البلاغة والتطبيق : ٣٢٢ .

٤٨-الديوان : ٢٨١

٤٩- ينظر : البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، مصطفى السعدني ، منشأة المعارف ، مصر ، ١٩٨٧ : ٢٠٧ -٢٠٨ .

٥٠-الديوان : ٢٩٦

٥١-اللغة وبناء الشعر ، محمد حماسة عبد اللطيف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢: ١٨٦

٥٢- شمعة في العدم : ٢٩٦

٥٣-النقد و الحداثة ، عبد السلام المسدي ، دار الطليعة البيروتية ، لبنان ، ١٩٨٣ ، الطبعة الأولى : ٤٦ .

٥٤-شمعة في العدم : ٢٦٤

٥٥-شمعة في العدم : ٢٦٥-٢٦٦

٥٦-شمعة في العدم : ٨٦

٥٧-شمعة في العدم : ٨٧

٥٨-البلاغة الأسلوبية : ٢٥٥.

المصادر :

*الأسس الجمالية في النقد العربي ، (عرض وتفسير) ، د. عز الدين إسماعيل، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الطبعة الخامسة، بيروت ، ٢٠١٠م.

*الأسلوبية (الرؤية والتطبيق) ، تأليف : الاستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧

*الأسلوبية الأدبية (من لغة النص إلى مغزى الخطاب) د. محيي الدين محسب ، إصدارات عبد العزيز المانع ، السعودية ، الطبعة الأولى ٢٠١١

*الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي ، ، الدار العربية للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٢ .

*الافكار والاسلوب ، أ. ف. تشيشرون ، ترجمة : حياة شرارة ، ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٨٢ .

*بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٢

*البلاغة العربية – قراءة أخرى – محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر الطبعة الأولى ١٩٩٤م،

* البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، مصطفى السعدي ، منشأة المعارف المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ : ٢٠٧-٢٠٨ .

*التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، د. عدنان حسين قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع ،مدينة نصر ،القاهرة ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م

*تطور الشعر العربي الحديث في العراق ـ اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج، د. علي عباس علوان

*التكرار في الشعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، موسى ربابعة ، جامعة اليرموك، الأردن، مؤتمر النقد الأدبي ١٠ ـ ١٣ تموز١٩٨٨ .

*جدلية الخفاء والتجلي ، دراسة بنيوية في الشعر ، د. كمال أبو ديب ، مكتبة الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ .

*ديوان شمعة في العدم ، محمد المهدِّي ، نشر بيت الغاشم للصحافة والنشر والإعلان ، سلطنة عمان ، مسقط ، طبع بمطابع مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان ، د. ت .

*السلام المباح في اقليم التفاح ضمن كتاب (الشعر والمستقبل)، د. بشرى البستاني ، دار صادر ، بيروت .

*الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة .

❁الصورة والبناء الشعري ، ، د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف ،مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .
❁فنون التصوير البياني ، د. توفيق الفيل ، منشورات دار السلاسل ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧
❁قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، نازك الملائكة ، دار الملايين ، ط٥ ، ١٩٧٨ .
❁قضية الشعر الجديد ، محمد النويهي ، دار الفكر ، الطبعة الاولى ، ١٩٧١ .
❁معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، ١٩٨٦ .
❁مقالات في الأسلوبية . مقالات في الأسلوبية ، دراسة، د. منذر عياشي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٠
❁مقدمة في الشعر ، جاكوب كرج ، تحقيق : رياض عبد الواحد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤
❁نظرية اللغة في النقد العربي ، د. عبد الحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٨٠
❁النقد والحداثة ، د. عبد السلام المسدي ، دار الطليعة البيروتية ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ .

الدوريات :

❁بنية القصيدة ، عبد الهادي زاهر . مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد ٣ لسنة ١٩٨١
❁تكرار التراكم وتكرار التلاشي ، ظاهرة أسلوبية ، تطبيق على الشعر العراقي الحديث ، د. عبد الكريم راضي جعفر / ٩ ـ ١٠ ، بحث منشور.
❁جماليات الاسلوب في رواية مجرد ٢ فقط، د. موسى ربابعة ، مجلة الاقلام ، العدد ٣ لسنة ١٩٩٨ .
❁الشعر والغموض ولغة المجاز ، دراسة نقدية في لغة الشعر (بحث) ، احمد محمد المعتوق ، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج ١٦ ، ع٢٨، شوال ١٤٢٤هـ .
❁ ظاهرة التكرار في القصيدة العربية المعاصرة ، د. رحمن غركان، مجلة كلية التربية ، العدد ٣٢١في ٢٠٠٠م

دور الخرائط الذهنية في التعليم والتعلم
تعليم الخطبة الغراء من نهج البلاغة وتعلمها أنموذجاً

Role of Mind Mapping Method in Teaching and Learning
(Teaching and Learning of Al-Gharra Sermon in Nahj-al-Balaghah as an Example)

أ.م.د. آفرين زارع
Associate . Prof. Dr. Afarin Zare
الباحثة: راضية كريمي
Researcher. Radhiyah Karimi

دور الخرائط الذهنية في التعليم والتعلم
تعليم الخطبة الغراء من نهج البلاغة وتعلمها أنموذجاً

Role of Mind Mapping Method in Teaching and Learning
(Teaching and Learning of Al-Gharra Sermon in Nahj-al-Balaghah as an Example)

أ.م.د. آفرين زارع
جامعة شيراز / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية وآدابها

Associate . Prof. Dr. Afarin Zare
Shiraz University / College of Arts and Humanities / Dept of Arabic language and Literature

الباحثة: راضية كريمي
ماجستير لغة عربية وآدابها / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة شيراز

Researcher. Radhiyah Karimi
College of Arts and Humanities /Shiraz University

dr.afarin.zare@hotmail.com
raz.karimi@chmail.ir

تاريخ الاستلام: ١٧/ ٥/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ٨/ ١٢/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث

نظرا إلى أن التكيف مع المحيط، وتحقيق الأهداف والطموحات لأي فرد من أفراد المجتمع،ومن ثم نمو المجتمع وتطوره لايتسنى إلا بالتفكير، فتعد مهارة التفكير من الضروريات، لذا أوصى الباحثون بضرورة التدريب على نوعيه معا: التفكير المنطقي والتفكير الإبداعي، وقد ازداد الاهتمام بالتفكير الإبداعي في الآونة الأخيرة لفاعليته في مواجهة التقدم التكنولوجي، والانفجار المعرفي الذي يشهده العالم؛ إذ يساعد الإنسان على أن يفهم كيف تعمل أجزاء موقف أو موضوع ما معا في توافق وتكامل، ويكتشف الأنماط المتكررة عبر النسق أو الموقف محل الاهتمام على نحو أعمق مقارنة مع التفكير المنطقي الذي يمكّن الإنسان من تفتيت الأشياء إلى مكوناتها.

ومن هنا ونظرا إلى أن معظم طرائق التدريس يندر أن تستخدم النصف الأيمن من المخ الذي يهتم بالنغمة، والألوان، والخيال، والأبعاد، بجانب النصف الأيسر الذي يعالج الكلمات، والأرقام، والمنطق والتحليل، تظهر الحاجة إلى تخطيط مناهج تستخدم تقنيات تقوم بتشغيل قدرات كلا نصفي المخ بتوازن، ومن ثم تقلل من معاناة صعوبة التعلم والتذكر لكثير من الطلاب.

استراتيجية الخريطة الذهنية من استراتيجيات التفكير الإبداعي تقوم بتشغيل القوى المتنوعة للمخ في عملية التفكير، وتثير مهارات جانبيه الأيمن والأيسر فتوظف في عملية التعليم والتعلم أو في العمل، نبغي في هذا المجال تعريفها، وشرح قواعدها وكيفية رسمها عبر تقديم نموذج تطبيقي في تدريس الخطبة الغراء بصفتها نصا أدبيا مما يساعد القراء على معرفة كيفية توظيف هذا النموذج في تعليم مادة الأدب بغية إرشاد المدرسين والطلاب إلى طرق أسهل وأتقن للتعليم والتعلم في

هذه المادة خاصة؛ إذ تظهر نتائج البحث في المحركات العامة والتخصصية بأن البحوث المنجزة استخدمت استراتيجية الخرائط الذهنية في تعليم العلوم المختلفة غير الأدب.

وأهم نتيجة توصل إليه البحث أن الخرائط الذهنية بصفتها استراتيجية من استراتيجيات التفكير الإبداعي تكون بمنزلة تمثيلات بصرية للحقائق والمفاهيم، وهي أداة فعالة تنظّم، وتحفّز وتحثّ شقّي المخ؛ ولهذه الاستراتيجية فاعلية في تعليم مادة الأدب؛ إذ تعتمد على صور شكلية ولفظية تتشعب وتساعد الطلاب على تنمية تحصيلهم لدراسة هندسة نص أدبي، وتجزئته، وتحليله وفهمه.

الكلمات المفتاحية: الخرائط الذهنية، التفكير الإبداعي، التعليم، التعلّم

Abstract

When adapting a convenient environment and achieving goals and aspirations of each member of a community, the growth and development of such a community becomes quite possible through thinking. Here the thinking skills are a must. Therefore researchers are much recommended to trace the necessity of having both types of thinking; logical thinking and creative thinking. Quite recently, more attention is paid to creative thinking because of its effectiveness in the face of advances in technology and knowledge in the world. Such a type of thinking helps one understand how parts of a situation or topic work together in harmony , evolve and examine patterns repeatedly in the form or position of interest deeper than rational thinking which allows people to only fragment objects into their components.

Hence, the teaching methods rarely use the right hemisphere of the brain that deals with song, color, imagination, and dimension, along with the left hemisphere dealing with words, numbers, logic, and analysis, There is a need for planning approaches that employ techniques that enable the capabilities of both brain hemispheres to function in a balanced manner, thereby reducing the difficulty of learning and remembering for many students.

The mind map strategy is one of creative thinking strategies which employs diverse forces of the brain in the thinking process and evokes the skills of its right and left sides and employs the teaching and learning process at work.

In this field, we should define it, explain its rules and how to draw it by presenting an applied model in the teaching of Gharra Sermon as a literary text, which helps readers to know how to use this model in teaching literature to guide teachers and students to easier and more proficient ways of teaching and learning in this particular course.

The results of the research in general show that the conducted researches use the strategy of mental maps in teaching different sciences other than literature. The most prominent result of the study is the mind map, as a strategy of creative thinking, serves as visual representations of facts and concepts, as an effective tool that organizes and stimulates two parts of the brain. This strategy is effective in teaching literature, as it relies on formal and verbal images that help students develop their achievement to study, analyze and understand literary text.

Keywords: mind maps, reminding process, teaching, learning

المقدمة

من المصطلحات الحديثة في مجال التعليم مصطلح التعلم البصري visual learning الذي يتمثل في تقنيات تدريس تدخل الأشكال البصرية إلى عملية الدراسة والتدريس، و الخرائط الذهنية من هذه التقنيات التي تساعد الطلبة على النشاط وتحثهم على حفظ المعلومات وتشكيلها أكثر مقارنة مع الأساليب التي يلعب المعلم فيها الدور الوحيد في عملية التعليم والتعلم، وذلك بتوظيف الأشكال والرسوم البصرية: الألوان، والخطوط، والأسهم، والرموز، و...الخ.

فالخريطة الذهنية أسهل طريقة في ادخار المعلومات في الدماغ واستخراجها منه؛ إنها وسيلة إبداعية وفعّالة في تدوين الملاحظات التي تقوم حرفيّا بالتخطيط لأفكارك.[1]

تبيين المسألة

تستخدم الخرائط الذهنية موهبة دماغك للتعرف البصري بشكل كبير مع مزيج من الألوان، والصور، والفروع المنحنية، فهي أكثر تحفيزا بصريا من طرق أخذ الملاحظات التقليدية، والتي تميل إلى أن تكون خطية، وأخرى أحادية اللون، وهذا يجعل من السهل جدا استرجاع المعلومات من خريطة الذهن. تساعدك خرائط العقل على تعلم المعلومات التي تريدها، وتنظيمها وتخزينها، وتصنيفها بطرق طبيعية؛ هي تمنحك وصولاً سهلاً وفورياً إلى أي شيء تريده[2].

تعمل خرائط العقل على مبدأين: التخيل وتداعي الأفكار. فإن العقل في مثل هذا الأسلوب يبحث عن الروابط بين الأفكار، وبإظهار هذه الروابط بين الأفكار في الخريطة الذهنية وإبرازها تلفت انتباه القارئ باستمرار للموضوع المطلوب قراءته أو دراسته ومن ثم تساعد على التفكير في أي شيء بأسلوب يتسم بالإبداع[3].

مشكلة الدراسة

يسعى البحث الحالي إلى الكشف عن فاعلية الخرائط الذهنية في تنمية مهارات الأداء المعرفي لمقرر الأدب(النثر الإسلامي) تعليما وتعلما؛ إذ البحوث المنجزة سابقا درست فاعلية هذه الاستراتيجية في تعليم العلوم المختلفة كعلم الحاسوب، والعلوم، والاقتصاد، والجغرافيا، وعلوم الحياة والدراسات الاجتماعية، والعلوم الإدارية و...، أما تعليم الأدب وتعلمه من خلال استراتيجية الخرائط الذهنية فلم ينجز فيه بحث -أو لم يعثر على بحث- بعد بحث مضنٍّ في المحركات العامة والتخصصية؛ فتعليم خطبة بصفتها نصا أدبيا باستخدام استراتيجية الخرائط الذهنية وتقسيمها إلى أجزاء مختلفة كدراسة عمارتها(بأجزائها: الاستهلال، والمقدمة، والموضوع المستهدف، والربط الفني بين مقاطع الخطبة)، والصور الفنية وكذلك الإيقاع فيها(بنوعيه الداخلي والخارجي)، وأخيرا أسلوبها يعد إبداعا في هذه المقالة، ودراسة أثر هذه الاستراتيجية في تحصيل الطلاب في مادة الأدب تتطلب بحثا آخر في وقت لاحق.

والمنهج المتبع في هذا البحث وصفي تطبيقي.

فرضية الدراسة

نظرا إلى أن الخرائط الذهنية تعتمد على صور شكلية ولفظية لهندسة نص أدبي متشعبة تشعبا شجريا، فهي تفيد الأستاذ والطلاب في تنمية الإبداع، وتساعد الطلاب على تنمية تحصيلهم لدراسة هندسة نص أدبي وتحليله وفهمه.

أسئلة الدراسة

إن كانت غايتنا من هذه الدراسة تقديم استراتيجية تجعل التعليم والتعلم ممتعا، جذابا، وترشد المدرسين والطلاب إلى دليل عملي وعيني في توظيف استراتيجية الخريطة الذهنية في مواد دراسية مختلفة، فيجب أن نجيب عن هذه الأسئلة:

١. ما أهمية الخرائط الذهنية وما المجالات التي تفيدها؟

٢. كيف ترسم خريطة ذهنية؟

٣. ما أهمية الآثار الفعالة لاستراتيجية الخرائط الذهنية في الدراسة وعند التدريس؟

٤. ما فاعلية الخريطة الذهنية في تعليم مادة الأدب؟

الدراسات السابقة

إن أشهر وأقدم ما يمكننا تتبعه من دراسات سابقة لموضوع الخرائط الذهنية هي كتب توني بوزان، منها كتابه (١٩٨٤) الذي ينظر فيه نظرة شمولية إلى الوظائف المختلفة للعقل واستخدام العقل في مختلف مجالات التفكير، وكتابه (١٩٩٤) الذي يخص كل ما يمت بصلة إلى إعداد الخرائط الذهنية، وفوائدها، وميزاتها. وكتابه الآخر (١٩٩٦) الذي تحدث فيه عن العقل واستخدام طاقته القصوى، وكذلك كتابه (٢٠٠٦) الذي يختص بإبراز كيفية استخدام خرائط العقل عند العمل، وكتابه الآخر (لا.تا) الذي يعالج فيه مهارات تساعد على القراءة السريعة، منها استراتيجية الخرائط الذهنية.

والرفاعي (٢٠١٣) الذي يتابع أساليب إعداد الخرائط الذهنية ويعرفها خطوة بعد خطوة في كتابه.

ومن الرسائل الجامعية يمكن الإشارة إلى رسالة الردادي (٢٠٠٩) التي تدرس فاعلية استراتيجية الخرائط العقلية الحاسوبية في تنمية مهارات التعلم لطلبة العلوم

الإدارية بجامعة نايف، ورسالة صالح حوراني (٢٠١١) التي تعالج أثر استخدام استراتيجية الخرائط الذهنية في تحصيل طلبة الصف التاسع في مادة العلوم وفي اتجاهاتهم نحو العلوم في المدارس الحكومية في مدينة قلقيلية.

ورسالة محمد عبد الرحمن المهلهل(٢٠١٢) التي عالجت فيها الباحثة أثر استخدام استراتيجية الخرائط الذهنية على تنمية الإبداع وتحصيل المفاهيم العلمية لدى تلميذات الصف الخامس الابتدائي في المملكة العربية السعودية بمنهج شبه تجريبي؛ دلت النتائج على تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في متوسط درجة تحصيل المفاهيم العلمية، ووجدت فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجة الإبداع لدى المجموعة التجريبية مقارنة مع المجموعة الضابطة؛ تظهر النتائج أيضا فاعلية الخرائط الذهنية في متوسط درجة تحصيل المفاهيم ومتوسط درجة الإبداع لدى تلميذات المجموعة التجريبية بين القياسين القبلي والبعدي في الاتجاه البعدي.

ومقالة عوجان(٢٠١٣) التي تأتي بمقدمة تتناول فيها فاعلية الخرائط الذهنية في تنظيم المعلومات، وتحفيز قدرة التفكير، ومن ثم التخطيط والتعلم والتفكير البناء، ثم تبين الهدف من الدراسة وهو تصميم برنامج تعلمي يستخدم الخرائط الذهنية معالجا فاعليته في تنمية مهارات الأداء المعرفي لدى طالبات الإجازة لكلية الأميرة عالية في مساق تربية الطفل في الإسلام مقارنة مع استراتيجية المحاضرة؛ تدرس الباحثة في هذه المقالة بمنهج شبه تجريبي عينة تكونت من طالبات الفصل الصيفي في العام الدراسي ٢٠١٠-٢٠١١ ميلاديا قسمت بطريقة عشوائية إلى مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة؛ استخدمت المجموعة الأولى البرنامج المستخدم الخرائط الذهنية الذي يتكون من خمس خطوات، ودرست المجموعة الثانية مستخدمة استراتيجية

المحاضرة؛ أظهرت النتائج وجود فرق ذي دلالة إحصائية للمجموعة الأولى مقارنة مع المجموعة الثانية مما يثبت فاعلية استراتيجية الخرائط الذهنية في مراعاة قدرة المتعلم وسرعته الذاتية، وأدت إلى زيادة تفاعل الطلبة وفهمهم واستيعابهم لمحتوى المادة التعليمية.

وبتطور العلوم وتشعبها إلى فروع متنوعة تزداد رغبة الإنسان في تعلم ما هو جديد، إضافة إلى أن مواهب التلامذة والطلاب وقدراتهم أكبر وأكثر من كفاءات مدارسنا اليوم، فيجب أن تكون مدارسنا موضعاً لتنشيط الفكر وكشف المواهب وازدهارها، ومن هذا المنطلق تتبين لنا ضرورة التعرف إلى أحدث النظريات التعليمية وأتقنها والتي ظهرت فوائدها في سنوات من التجربة العلمية.

البحث

مفهوم الخريطة الذهنية وتاريخ توظيفها

توصّل العلماء حديثاً إلى أن الدماغ يتكون من ملايين الخلايا العصبية التي تعمل على تخزين المعلومات، وما يبرز من هذه الخلايا التي تم الكشف عن شكلها هو أنها تتكون من مركز رئيس تتشعب منه روابط فرعية على شكل انحناءات متدرجة الشدة، تتضاءل كلما ابتعدت عن المركز. وأثبت العلم أنه كلما أراد الدماغ تخزين معلومة جديدة تتيح تلك الخلايا رابطاً جديداً، ويتم وصله مع الموضوع الأساس الذي ترتبط معه تلك المعلومة، أو يتم ربط تلك المعلومات الجديدة مع المعرفة السابقة المخزنة. هذا ما يذكّر التربويين بنظرية التعلم ذي المعنى لأوزوبل Ausubel التي تؤكد أن كل متعلم يمتلك تسلسلا فريداً من خبرات العلم، وعند استقبال المعلومات الجديدة يتم الربط بين معلومات المتعلم الجديدة ومعرفته السابقة ليتكون تصور خاص ومعنى ذو دلالة في ذهنه[٤].

من هنا تنشأ استراتيجية الخريطة الذهنية التي تعتمد على نظرية التعلم ذي المعنى، إذ يرى أوزوبل أن التعلم يتوقف على إدراك العلاقات واستنتاج المبادئ والقوانين، وليس على الربط العشوائي بين المثيرات والاستجابات فقط. والمواد ذات المعنى أسهل في تذكرها من المواد عديمة المعنى، والمعلومات المرتبطة بسياق الموضوع سوف تدرك وتذكر أفضل من المعلومات غير المرتبطة بالسياق. فإدراك المفاهيم والعلاقات يجب أن يكون مبنياً على استراتيجيات منظمة لجعل هذه المفاهيم والعلاقات ذات معنى[٥].

وتقع الخريطة الذهنية تحت مجموعة المنظمات التخطيطية التي صنفها التربويون في ثلاثة أقسام:

١. الخرائط الذهنية التي تصنف بوضع مفهوم مركزي تتفرع منها الأفكار الرئيسة، تتميز بسهولة التعلم والتطبيق، وتشجيع الإبداع.

٢. خرائط المفاهيم التي ترتب فيها المفاهيم بحيث يوضع المفهوم الرئيس في قمة الهرم، والمفاهيم الأقل عمومية أسفل منه، تتكون من أربعة مكونات رئيسة هي المفهوم الرئيس، والمفاهيم ذات الصلة، وكلمات الربط، والأمثلة. وتتميز بسرعة تزويد القارئ بالمعلومات والروابط.

٣. والخرائط العنكبوتية التي تفيد في توصيف العلاقة بين المفهوم المركزي والتفاصيل المساندة، توضع فيها الفكرة المركزية في دائرة في مركز الخريطة والخصائص المهمة والأفكار المساندة تتفرع منها وتدور حول المحور الرئيس[٦].

ويبدو من الدراسات الحديثة ان الشق الأيمن من المخ يهيمن على جوانب فكرية خاصة كالإيقاع، والإدراك المكاني، والجشتالت أو الصورة الكاملة، والتخيل، وأحلام اليقظة، واللون، والبعد. أما الشق الأيسر فيبدو مهيمنا في نطاق مختلف وفي مجموعة مهارات عقلية كالكلمات، والمنطق، والأعداد، والتسلسل، والتنظيم الخطي، والتحليل، والقوائم[٧].

فخريطة العقل تعبير عن التفكير المشع، لذلك هي وظيفة طبيعية للعقل البشري؛ إنها تقنيّة رسومات قويّة توفّر مفتاحا عالميا لفتح إمكانات الدماغ؛ يمكن تطبيق الخريطة الذهنية على كل جانب من جوانب الحياة؛ ففي حقل التعلم إنها تجعل التعلم أكثر تطورا، والتفكير أكثر وضوحا مما يؤدي إلى تحسين الأداء البشري، لذلك فهي وظيفة طبيعية للعقل البشري[٨].

وأما بالنسبة إلى تاريخ توظيفها فلابد من القول: إن أقدم مايوجد من توظيف هذا الشكل من الخرائط هو ما روى عبد الله بن مسعود عن الرسول ﷺ أنه «خط خطاً مربعا، وخطا وسط الخط المربع، وخطوطا إلى جانب الخط الذي كان وسط الخط المربع، وخطاً خارجاً من الخط المربع، فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا الإنسان الخط الأوسط، وهذه الخطوط إلى جنبه الأعراض تنهشه من كل مكان، فإن أخطأه هذا أصابه هذا، والخط المربع الأجل المحيط، والخط الخارج الأمل[٩].

واستراتيجية الخريطة الذهنية حديثاً تعتمد على نظرية التعلم ذي المعنى لأوزوبل، لكن ما اشتهر هذا الأسلوب إلا سنة ١٩٨٤ ومع نشر كتاب «استخدم رأسك» وذلك باستخدام توني بوزان مصطلح خريطة العقل ، فقد ظهر مصطلح Mind Mapping أول مرة عند توني بوزان ومن أسمائها: خرائط العقل، خرائط الذهن، أو الخرائط الذهنية[١٠].

استعمالات الخرائط الذهنية وعيوب الطرق العادية لتدوين الملاحظات

يمكن توظيف الخرائط الذهنية في ما يلي:

التخطيط اليومي، والشهري، أو السنوي مسبقاً، تدوين الملاحظات واللقاءات، في العمل، في المراجعة والإعداد للامتحان

كل مجالات الحياة وكل نشاط يشتمل على التفكير أو التذكير، أو التخطيط، أو الإبداع والخلاقية[١١]المشاريع المختلفة، إعداد التقارير والمقالات، وحل المشاكل، للتركيز والتنظيم والتفتح الذهني[١٢].

الدراسة والتدريس، قراءة مختلف الكتب

فيمكن تطبيق هذه الاستراتيجية على استخدامات شخصية وفي التحليل الذاتي،

وحل المشكلات، أو على استخدامات عائلية كاستذكار عائلي، ورواية القصص، أو استخدامها في حقل التعليم للتفكير، والتدريس، والتلخيص، وتدوين الملاحظات والمذكرات، أو في العمل عند الحاجة إلى التخطيط، والتنظيم، وإدارة الاتصالات، والمحاسبة و.. إلخ[١٣].

هناك عيوب للطرق العادية لتدوين الملاحظات وإعداد الملخص، منها:

عدم وجود النظرة التمهيدية الشمولية بعد القراءة

عدم وجود تحليل نقدي موضوعي أوتقييم للمادة المقدمة

زيادة حجم ما تم تدوينه واستغراق الوقت الكثير عند المراجعة مرة أخرى

تضييع الوقت في كتابة موضوعات جانبية غير مهمة[١٤]

فوائد الخرائط الذهنية وميزاتها

ترتبط طبيعة الخرائط الذهنية بوظيفة العمل ارتباطا وثيقا، ويمكن استخدامها في كل نشاط تقريباً حيث يتم تضمين التفكير أو الاستذكار أو التخطيط أو الإبداع[١٥].

وفيما يلي فوائد الخريطة الذهنية:

- التعرف إلى الروابط بين المفاهيم الرئيسة بسرعة وسهولة بسبب قربها واتصالها
- استدعاء المعلومات ومراجعتها بسرعة وسهولة أكثر
- سهولة إضافة معلومات جديدة[١٦]
- توفير الوقت من خلال ملاحظة كلمات ذات صلة وقراءتها
- توفير الوقت من خلال مراجعة الملاحظات لخريطة العقل
- يجد الدماغ أنه من الأسهل قبول وتذكر خرائط العقل المدهشة بصريا والمتعددة الألوان والأبعاد، بدلا من الملاحظات الخطية الرتيبة المملة
- زيادة القدرة على التفكير وخلق إمكانية غير محدودة للإبداع[١٧]

- تنشيط كلا نصفي المخ - الأيمن والأيسر- وتحرر العقل من حالة الركود
- إبراز المعلومات المكتسبة وتكاملها وعدم فقدانها طوال الزمن
- التعرف إلى المساحات والمواقع المربكة فيها وتوضيح ملابسات أي موقف
- المساعدة على التخطيط، والتواصل، والتنظيم[١٨]
- ترسيخ المعلومات في ذهن الطالب
- حفظ المعلومات بسرعة وسهولة أكثر[١٩]
- تحقق التعلم النشط بدل التعلم السلبي
- تسهيل حل المشاكل
- تيسير المشاركة في الأفكار
- دعم أساليب تعلم مختلفة[٢٠]

كيفية رسم الخريطة الذهنية

لرسم خريطة ذهنية لابد من متابعة هذه المراحل:

١. وضع الموضوع الرئيس أو الفكرة الرئيسة في المركز بشكل أكثر وضوحا[٢١]

٢. رسم أقواس تتفرع من المركز كأغصان الشجر، تكتب عليها موضوعات فرعية، ولابد من وجود الربط بين الموضوعات الفرعية والمركز أو الفكرة الرئيسة، فإذا كانت الفروع مترابطة على الصفحة فإن الأفكار ستكون مترابطة أيضا داخل الرأس. ويفضّل أن توظَّف الكلمات لا الجمل لأن الكلمة في هذا الموقف أعمق أثرا من الجمل في إطلاق الأفكار. هذه الموضوعات الفرعية التي تشع من المركز هي الأفكار الرئيسة التي تتفرع منها الأفكار الثانوية أو التابعة[٢٢].

٣. رسم صور ورسوم خيالية مرتبة وجذابة للكلمات بتوظيف الألوان، والرموز الخاصة بك أو أي طرق أخرى لإظهار الترابط وبناء علاقات مرئية ومفيدة بين

الأفكار؛ هذا ما يضفي قدراً من الجمال على الخريطة ويزيد من القدرة على الفهم، والتذكر والاستذكار[٢٣].

٤. مراجعة الخريطة الذهنية بعد مدد زمنية مختلفة، وإصلاحها بارتقاء بعض النقاط أو تصويبها، وملء فراغ النقاط التي فتت، إضافة إلى أن المراجعة هذه تؤدي إلى تنشيط الذاكرة وتحقق نتائج جيدة لقوتك الترابطية اللانهائية، وسوف تتحول الخريطة بعدها إلى جزء من الذاكرة الطويلة المدى[٢٤].

في الجهود الخلاقة ينبغي ترك العقل حرّا قدر الإمكان؛ أي تفكير حول أين يجب أن تسير الأمور أو ما إذا كان تضمينها سيؤدي ببساطة إلى إبطاء عملية الإنتاج[٢٥]؛ وبترك العقل حرّا يمكن أن تكثر الأفكار المولدة وتقع اتوماتيكياً في مكانها المناسب والمترابط منطقياً[٢٦].

ما يجدر مراعاته في رسم الخريطة

- كتابة الخريطة بشكل أفقي
- استخدام صورة مركزية واستخدام ثلاثة ألوان أو أكثر فيها.
- استخدام صور، أشكال ورموز من خلال الخريطة الذهنية واستخدام البعد فيها.
- كون الأفكار الأكثر أهمية أقرب إلى المركز، والأفكار الأقل أهمية قريبة من الحافة.
- استخدام كلمة رئيسة واحدة فقط في كل سطر
- طبع الكلمات فوق الخطوط
- جعل طول الخط يساوي طول الكلمة ورسمه بشكل أقواس.
- جعل الخطوط المركزية أكثر سمكا
- استخدام اختلافات حجم الطباعة، والخط والصورة.
- جعل حدودك تشمل مخطّط الفرع الخاص بك.

– استخدام الأسهم عندما تريد إجراء اتصالات داخل وعبر نمط الفرع.

– مزج الحواس وربطها مع بعض.

– استخدام المسافات المنظمة والتباعد المناسب[٢٧].

– استخدام المساحات بشكل مناسب، واستخدام نظام في تنظيم المساحات.

– الخطوط التي تدون عليها الكلمات الرئيسة أكثر سمكا من الخطوط الثانوية مما ينبه العقل بشكل تلقائي على أهمية الأفكار المركزية ويلقي الضوء على مغزى المفاهيم الأساسية التي تطرأ على المخ[٢٨].

– رسم الخطوط بشكل مائل لأن العين تستسهل تتبع الخطوط المائلة

– الكتابة فوق الخطوط لأن ذلك يساعد على سرعة ترسيخ الخارطة في الذهن١٩.

– لابد من اختيار مفاتيح الكلمات المناسبة للأفكار التي تشع من المركز.

– الكتابة بخط كبير – ترك العمل مدة ثم مراجعة الخريطة مرة أخرى

– رسم الأشكال بجوار مفاتيح الكلمات

– استخدام رسومات غريبة ومضحكة للتذكر الأكثر[٣٠].

الأخطاء في رسم الخريطة

قد تحدث أخطاء في رسم الخريطة الذهنية بيد الطلاب ينبغي تركها، منها:

– أن يكون العنوان الأصلي في المركز كبيرا جدا.

– أن تكتب العناوين الفرعية بتفصيل كثير، مثلا خلال جمل توضيحية

– عدم وجود رسوم توضح المفاهيم وترسخها في الذهن بغرابتها وإثارتها للضحك

– استخدام الخريطة الذهنية بشكل عمودي، وليس أفقيا

– وضع العنوان في بداية الورقة وعدم وضعه في المركز

– عدم التناسق في الألوان ما بين الأقواس والكلمات مثلا استخدام اللون الأحمر،الأقواس والكلمات معا مما يؤدي إلى عدم وضوح الكلمات[٣١].

فوائد من استخدام الكلمات الدلالية، والألوان، والصور، والرموز في الخريطة الذهنية

كل كلمة رئيسة لها إمكانياتها الخاصة من ملايين من أجل تكوين العلاقات والترابط؛ الكلمات الرئيسة وحدها تعطي الدماغ حرية أكبر للتفرّع من تلك الكلمة[٣٢]، وتعطي الخريطة الذهنية المزيد من القوة والمرونة؛ كل كلمة رئيسة قادرة على إطلاق الآراء والأفكار الجديدة[٣٣].

أما اللون فإنه محفز رئيس لجميع أشكال التفكير، ويعزز بشكل خاص الإبداع والذاكرة؛ ويستهوي الحساسيات الجمالية التي تزيد من متعة الدماغ في بناء خريطة العقل.

وأوصى ليوناردو دافينشي بتدريب الدماغ المناسب: «تعلم علم الفن»، يمكن أن يؤدي استخدام الصور إلى رفع مستوى أداء الذاكرة إلى فعالية تفكير إبداعية شبه كاملة ومتقاربة بنسبة تصل إلى عشرة أضعاف، ويحسن حل المشكلات والترابطات وما إلى ذلك كما أنه بمضي الزمن يزيد من قدرات الفرد ومهاراته الإدراكية[٣٤].

اختيار ألوان محدّدة لأغراض الترميز أو لمناطق محدّدة من خريطة العقل سوف يمنحك سرعة الوصول إلى المعلومات، وسيحسن الذاكرة الخاصة بك من المعلومات، وسوف يزيد من عدد ونطاق الأفكار الإبداعية الخاصة بك[٣٥].

ومن فوائد الرسومات أنها تشجّع الجانب الأيمن والأيسر من الدماغ على التذكر وتحرك الجانب الأيسر من الدماغ لمزيد من التحليل في جو هادئ غير متوتر[٣٦].

تركّز الصورة تلقائياً على العين والدماغ؛ فهي تطلق العديد من الاتصالات، وفعّالة بشكل مذهل كمساعدات الذاكرة؛ فضلا عن ذلك تخلق الصورة توازنا محفّزا بين المهارات القشرية البصرية واللغوية وتعمل في تحسين الإدراك البصري [٣٧]، الصورة

تساوي ألف كلمة وتساعد على استخدام الخيال [٣٨] ، وبما أنها توظف كثيرا من مهارات الذهن كاللون، والشكل، والخط، والبعد، والملمس، والمنطق، والإيقاع، والإدراك المكاني، والإبداع البصري، والخيال، ولذلك تعد الصورة أكثر إيحاء من الكلمات عادة [٣٩]، ولذلك تعد الخريطة الذهنية-كما عرفها هلال محمد عبد الغني- استراتيجية مفيدة وفعالة في حقل التعليم تقوم بربط المعلومات المقروءة «بواسطة رسومات وكلمات على شكل خريطة، تحول الفكرة المقروءة إلى خريطة تحوي أشكالا مختصرة ممزوجة بالألوان والأشكال في ورقة واحدة حيث تعطي المتعلم مساحة واسعة من التفكير، وتمنحه فرصة مراجعة معلوماته السابقة عن الموضوع، وترسيخ البيانات والمعلومات الجديدة في مناطق المعرفة الذهنية» [٤٠] .

إضافة إلى أن الصور والرسوم تتيح للطلاب إنشاء نماذج ذهنية لفظية وتصويرية وبناء روابط بينها، بعكس التعليم بالكلمات وعرض المواد الدراسية عبر الجمل فقط مما يعطي الطلاب نموذجا ذهنيا فحسب، ولايسوقهم إلى بناء نموذج تصويري. ولذلك يؤكد ماير أن الطلاب يتعلمون من الكلمات والصور معا أفضل مما يتعلمون من الكلمات فقط [٤١].

وأما الرموز، فلا بدّ من القول: إن الرموز المخصصة التي تستخدم أشكالا مختلفة مثل الدوائر، والمثلثات أو ما يمكن أن تكون أكثر تفصيلا، تتيح لك إمكانية إجراء اتصالات فورية بين أجزاء مختلفة من خريطة العقل [٤٢]؛ إنها تعزّز إلى حد كبير قدرة من يعمل الخرائط الذهنية على التحليل، والتحديد، والبنية، والتنظيم والسبب [٤٣].

فاعلية استخدام الخريطة الذهنية في التدريس

أثبتت الكثير من التجارب في حقل التعليم والتدريس فاعلية استراتيجية الخريطة الذهنية عند التدريس. وهذه الأساليب الحديثة نحتاج إليها اليوم في مدارسنا وجامعاتنا التي تزخر بالتلاميذ والطلاب الأذكياء الموهوبين، وما نواجهه أحيانا من إطفاء ضوء مواهب التلاميذ وإخماد نائرة الشوق لدى طلاب العلم ظلم كبير وذنب لا يغفر، إذ المواهب التي يتمتع بها الطلاب هي من النعم الإلهية، ولا يتمكن أحد من شكر هذه النعمة إلا إذا سعى في سبيل كشف ما يطور هذه المواهب ويحرسها ويحفظها لنفسه وللآخرين.

وهذه مسؤولية كبيرة خاصة إذا كان سبيلها سهلا يسيرا، إذ يستطيع المدرس باستخدام سبورة كبيرة أو بتسليط الضوء على شاشة أن يرسم صوراً في أثناء شرح الدرس ويستخدم خريطة ذهنية تشتمل على النقاط الرئيسة. فهذا الانعكاس الخارجي لعملية التفكير سوف يساعد على وضوح البناء الخاص بالدرس، ويثير انتباه الطلاب ويدعم الذاكرة والفهم للمادة[٤٤].

ويمكن للمدرس أن يتابع طريقاً آخر في توظيف هذه الاستراتيجية وهو أن يطلب من تلاميذه أن يرسموا الخريطة الذهنية الخاصة بكل مادة قبل تدريس درس أو بعده، أو يعلّمهم كيف ينسخوا العنوان الرئيس في منتصف الصفحة ويرسموا منه فروعا بكلمات مرتبطة بالموضوع لكي يقوموا بتفصيل أفكارهم. وهذا ما يساعد الطلبة على معرفة الموضوع وفهمه وتثبيته في ذاكرتهم ويؤدي إلى أن يحرص الطلبة على المشاركة بأفكارهم في الدراسة ومن ثم في الاجتماعات الكبرى كالفصول الدراسية الكبرى والورشات التعليمية[٤٥].

وهذه الاستراتيجية أي خرائط العقل تساعد المدرسين في التدريس؛ إذ إنهم

يجدون طريقة تعليم أكثر كفاءة وفاعلية، ويمكنهم الحصول على فكرة جيدة للمعرفة السابقة للتلاميذ ومن فهمهم للموضوع من خلال ما رسموه في خرائط العقل، وتكشف لهم عن أخطاء الطلاب والنقاط التي يسيؤون فهمها، وهذا ما يمكّن المدرس أن يخطط دروسه حسب الاحتياجات المختلفة لكل فصل[٤٦].

فما تفعل الخرائط الذهنية هي أنها:

- تبث روح التشويق لدى الطالب بشكل فوري
- تجعل الدروس والعروض أكثر تلقائية وإبداعاً وإمتاعاً للمدرس وللطالب
- تبين العلاقات بين الحقائق وتمنح الطلاب فهما أعمق بالموضوع
- تجعل ملاحظات المعلم مرنة وقابلة للتكيّف بدلا من أن تبقى جامدة نسبيا مع مرور السنوات
- تقدّم موادّ ذات صلة بوضوح وأسلوب لاتُنسى لتساعد الطلاب على الحصول على علامات أفضل في الاختبارات [٤٧] ، ولذلك تعدّ الخرائط الذهنية من أفضل وسائل التعلم والحفظ والتذكر؛ إذ إنها تجمع ما بين الأشياء التي يعرفها المتعلم والأشياء التي يتعلمها بالإضافة إلى ما قد يحتاج إليه لاستكمال تصوره عن الموضوع، ثم تقوم الذاكرة بمعالجة هذه الصلات الجديدة وارتباطاتها الشبكية من أجل استرجاعها لاحقاً.[٤٨]

تحضير المحاضرة باستخدام الخرائط الذهنية

تحضير المحاضرة في شكل خريطة عقلية أسرع من تدوينها كتابياً؛ إذ تقدم للمحاضر والطالب صورة إجمالية كاملة للموضوع ويمكن تحديث الخريطة من زمن إلى آخر. وبما أنها تنشط الذاكرة فإنها تساعد على التذكر بمجرد إلقاء نظرة مختصرة عليها قبل المحاضرة وتمكّن المحاضر من توزيع الوقت بشكل سليم في أثناء المحاضرة[٤٩] .

فاعلية استخدام الخرائط الذهنية عند الامتحان

من المواضع التي تفيد فيها الخرائط الذهنية الطلاب توظيفها لحفظ المعلومات في الذاكرة عند الامتحان، وذلك لأن الطريقة التي تستخدم فيها الألوان والصور والروابط بين لأفكار ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمبادئ التذكر التي تتمثل في الخيال وتداعي الأفكار. إضافة إلى أنها تمكن الطلاب من مراجعة كل ما تعلّموه بحيث تكون كل المعلومات على صفحة واحدة بدلاً من مئات البطاقات المنفصلة أو الصفحات التي تدون عليها الملاحظات، وفي أثناء الامتحان يجد الطالب المعلومات بشكل ساحر على شاشة عقله[٥٠].

وإذا استخدم المعلم والأستاذ هذه الاستراتيجية بشكل دائم فهذا يحقق له وللطالب الوقوف المبكر على نواحي القوة والضعف في مستوى الطلاب وتقدير المعرفة الموجودة في عقل الطالب واتخاذ إجراءات مبكرة لرفع القصور وتصحيح الوضع، فلا ينتظر المعلم حتى الامتحان الذي لا يمكن عادة القيام بأي إجراءات تصحيحية بعده[٥١].

فإذا كان الهدف من الامتحان اختبار معرفة الطالب وفهمه وليس قدرته على الكتابة، فإن الخريطة الذهنية يمكن أن يثبت للمدرس في لمح البصر، ما إذا كان الطالب يعي المادة بشكل عام أو لا[٥٢].

نموذج للتعليم والتعلم بالخريطة الذهنية

هناك فكرة وقعت موقع القبول بين الباحثين هي أن التدريس الجيد يتحقق من طريق التفاعلات الفنية والتلقائية مع الطلاب في أثناء الدروس[٥٣]، ولكن المشكلة في مدارسنا وجامعاتنا عدم وجود السبل العينية والعملية التي تنير للطلاب والمدرسين مسير الدراسة و كيفية التدريس.

تساعد استراتيجية الخرائط الذهنية عند التدريس على إدخال الطلاب في عملية التعلّم والتعليم، وتحريضهم على لعب دور نشط فيهما، فهي تجعلهم يستخلصون المفاهيم ويستنتجون التعميمات، مما يثير انتباههم ونشاطهم الفاعل، ودافعيتهم نحو التعلم، وتبعد عنهم الملل، على العكس من التعليم بالطرق التقليدية التي تعتمد على أسلوب التلقين الذي يحد من نشاط الطلاب[٥٤].

وكذلك تساعد الخريطة الذهنية على رؤية النقاط المشتركة بين ما هو قيد الدراسة وبين ما تمت دراسته من مواضيع في السابق. وهكذا تضع الخرائط الذهنية الطالب في موضع إبداعي خلاق؛ إذ تساعده على التعلم من خلال التكامل، وتساعده على إدراك الصلات بين مختلف المساحات[٥٥]. ففي الخريطة الذهنية يمارس المتعلم جميع عمليات التفكير المهمة منها:

- فهم المحتوى لاختصار الأفكار
- اختصار الأفكار إلى أصغر وحدة أي كلمة واحدة
- تحليل المعلومات إلى أفكار منفصلة خلال وضع فكرة لكل فرع
- تقويم الأفكار لتمييز الأفكار الثانوية من الفرعية وتحديد المهم من غير المهم
- ترتيب الأفكار وإعادة تركيبها بشكل خريطة عقلية
- حفظ الخريطة من خلال ربطها بالصور والرموز والألوان
- تحديد مواقف يمكنه استخدامها فيها[٥٦].

الخطبة الغراء

الْحَمْدُ للهَ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ وَدَنَا بِطَوْلِهِ مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِياً وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجَالَ وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ وَأَحَاطَ بِكُمُ الْإِحْصَاءَ وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ وَدَارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا يُونِقُ مَنْظَرُهَا وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَضَوْءٌ آفِلٌ وَظِلٌّ زَائِلٌ وَسِنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ وَثَوَابِ الْعَمَلِ. وَكَذَلِكَ الْخَلَفُ بَعْقِبِ السَّلَفِ لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً يَحْتَذُونَ مِثَالًا وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا إِلَى غَايَةِ الِانْتِهَاءِ وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ .

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ وَأَزِفَ النُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلًا صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكَانَةِ وَضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ وَعَظُمَ الشَّفَقُ وَأُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ وَنَكَالِ الْعِقَابِ وَنَوَالِ الثَّوَابِ.

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً وَكَائِنُونَ رُفَاتاً وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً وَمَدِينُونَ جَزَاءً وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ وَرَوِيَّةِ الِارْتِيَادِ وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ.

فَيَا لَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً وَآرَاءً عَازِمَةً وَأَلْبَاباً حَازِمَةً فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَوَجِلَ فَعَمِلَ وَحَاذَرَ فَبَادَرَ وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ وَحُذِّرَ فَحَذِرَ وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ وَأُجَابَ فَأَنَابَ وَرَاجَعَ فَتَابَ وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى وَأُرِيَ فَرَأَى فَأَسْرَعَ طَالِباً وَنَجَا هَارِباً فَأَفَادَ ذَخِيرَةً وَأَطَابَ سَرِيرَةً وَعَمَّرَ مَعَاداً وَاسْتَظْهَرَ زَاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَوَجْهِ سَبِيلِهِ وَحَالِ حَاجَتِهِ وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.

و منها: جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا وَأَشْلَاءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا وَمُدَدِ عُمُرِهَا بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الْآمَالِ وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ وَأُزُوفِ الِانْتِقَالِ وَعَلَزِ الْقَلَقِ وَأَلَمِ الْمَضَضِ وَغُصَصِ الْجَرَضِ وَتَلَفُّتِ الِاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ

سَيِّئِ زَلَلِهَا أَ وَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ وَتَطَئُونَ جَادَّتَهُمْ فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا كَأَنَّ الْمُعْنِيَّ سِوَاهَا وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى وَرَاحَةِ النُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَآمَنِ يَوْمِهِ وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً وَقَدَّمَ زَادَ الْآجِلَةِ سَعِيداً وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالًا وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالًا وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً.

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً وَنَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيّاً فَأَضَلَّ وَأَرْدَى وَوَعَدَ فَمَنَّى وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقاً وَعَلَقَةً مِحَاقاً وَجَنِيناً وَرَاضِعاً وَوَلِيداً وَيَافِعاً ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِسَاناً لَافِظاً وَبَصَراً لَاحِظاً لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَاسْتَوَى مِثَالُهُ نَفَرَ مُسْتَكْبِراً وَخَبَطَ سَادِراً مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً لَمْ يُفِدْ عِوَضاً وَلَمْ يَقْضِ

مُفْتَرَضاً دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ وَسَنَنِ مِرَاحِهِ فَظَلَّ سَادِراً وَبَاتَ سَاهِراً فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ وَوَالِدٍ شَفِيقٍ وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ وَنِضْوَ سَقَمٍ تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ وَعَثْرَةِ الِامْتِحَانِ وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَعَذَابِ السَّاعَاتِ إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ. عِبَادَ اللهِ أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا وَسُلِّمُوا فَنَسُوا أُمْهِلُوا طَوِيلًا وَمُنِحُوا جَمِيلًا وَحُذِّرُوا أَلِيماً وَوُعِدُوا جَسِيماً احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ أَمْ لَا فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ قِيدُ قَدِّهِ مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ الْآنَ عِبَادَ اللهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ وَبَاحَةِ الِاحْتِشَادِ وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ وَإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

قال الشريف: وفي الخبر أنه ﷺ لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون ورجفت القلوب. ومن الناس من يسمي هذه الخطبة الغراء.

وإليك نموذج من الخرائط الذهنية في تعليم مقرر الأدب الدراسي (الخطبة الغراء

من نهج البلاغة)؛ وقد استلهم الباحثان في البناء العماري للخطبة من الفقيد المرحوم محمود البستاني.

تحليل الخطبة الغراء في نظرة

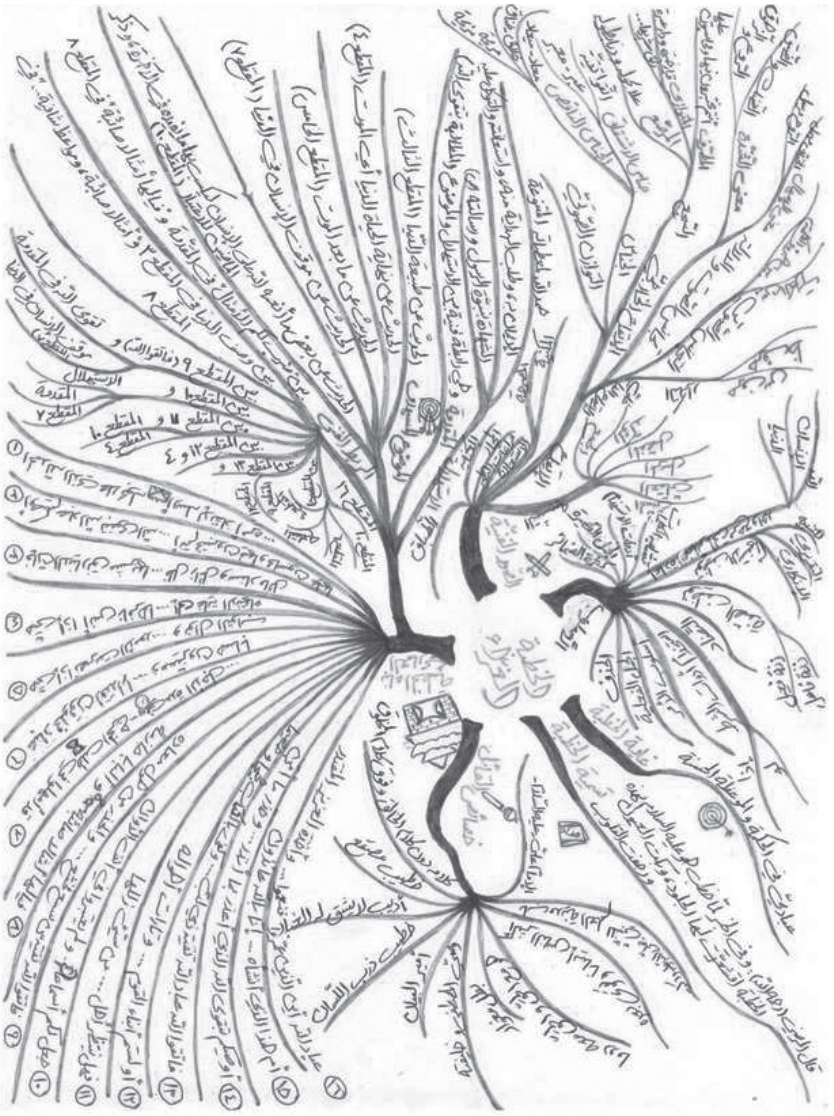

البناء العماري للخطبة الغراء

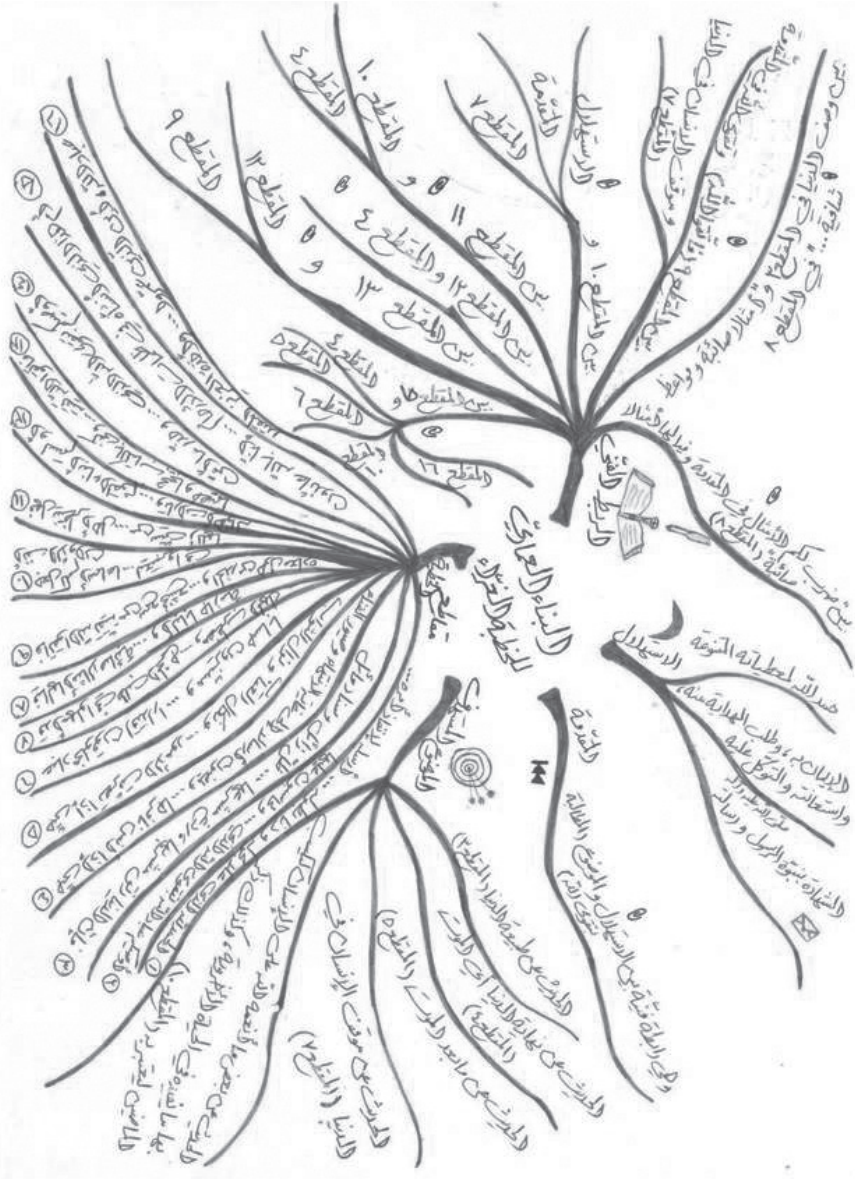

رموز الخريطة الذهنية للبناء العماري وتفسيرها

الرمز	تفسيره
	كما مفك البراغي يربط بين البراغي و شيء ما، ويحكمه به يربط الربط الفني بين مقاطع الخطبة ويجعلها متلاحمة محكمة البناء
	أوراق مبعثرة ترتبط بها، الوصل الفني يصل بين مقاطع الخطبة
	كما أن السهم يصيب الهدف، للخطبة هدف وغاية
	رمز للعودة إلى ماقبل؛ هناك ربط بين المقدمة والاستهلال
	رمز للإرسال؛ أرسل الله رسوله إلى بني آدم ليهديهم
	كما أن القمر هلال في بداية الشهر للخطبة استهلال تبدأ به

تتجلى فاعلية الخريطة الذهنية في مادة الأدب بأنها تستوعب أن تقوم بدراسة الخطبة الغراء وتحليلها بصفتها نصا أدبيا، فقامت بتجزئتها من عدة جوانب: غاية الخطبة، وتسميتها، وخصائص قائلها، وبنائها العماري، ودراسة الصور الفنية فيها وأخيرا أسلوبها.

درست الخريطة بناء الخطبة العماري المتكون من١٦ مقطعا يشمل الاستهلال، والمقدمة، والموضوع المستهدف والربط الفني بين المقاطع الذي يخضع الخطبة لتخطيط هندسي تتوازى وتتقاطع خطوطه وفقا لقواعد التدرج، والنمو والسببية التي تضاهي نمو النبات وتجعل الخطبة عمارة فنية محكمة البناء. إليكم ترقيم مقاطع

الخطبة على النحو الآتي:

الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله... وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، أرسله لإنفاذ أمره، وإنهاء عذره وتقديم نذره.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال... ووظف لكم مددا في قرار خبرة ودار عبرة أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها.

فإن الدنيا رنق مشربها، ردغ مشرعها،... ظل زائل وسناد مائل.

حتى إذا أنس نافرها واطمأن ناكرها، قمصت بأرجلها... ويمضون أرسالا إلى غاية الانتهاء وصيور الفناء.

حتى إذا تصرمت الأمور، وتقضت الدهور... ومقايضة الجزاء، ونكال العقاب ونوال الثواب.

عباد مخلوقون اقتدارا، ومربوبون اقتسارا... ومميزون حسابا.

قد أمهلوا في طلب المخرج، وهدوا سبيل المنهج... في مدة الأجل ومضطرب المهل.

فيا لها أمثالا صائبة، ومواعظ شافية... وألبابا حازمة.

فاتقوا الله تقية من سمع فخشع... واستحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده، والحذر من هول معاده.

جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها... لم يمهدوا في سلامة الأبدان ولم يعتبروا في أنف الأوان.

فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب إلا حواني الهرم... لاتستزاد من صالح عملها، ولا تستعتب من سيئ زللها.

أو لستم أبناء القوم والآباء... وأهاويل زلهَ وتارات أهواله.

فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه... وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما.

أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر... واستعظم ما هوّن وحذّر ما أمّن.

أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام... إنا بالله عائذون.

عباد الله! أين الذين عمروا فنعموا... وقبل قدوم الغائب المنتظر وأخذة العزيز المقتدر.

يتكون الاستهلال من ذكر الله تعالى والشكر لمعطياته، وطلب الهداية منه، واستعانته والتوكل عليه مقترنا بذكر النبي محمد ﷺ والشهادتين (التوحيد والنبوة) وتعود أهميتها إلى وقوفها ضد قاعدة الشعر التي كانت تستهل بمقدمة طللية حيث ينبه المتلقي على أهم معالم دينه؛ وهناك علاقة بين هذا الاستهلال وبين المقدمة وفرعين من فروع الموضوع الرئيس؛ فنلاحظ التحميد في الاستهلال يبدأ بخصوصية تعود إلى صلته (التحميد) بالمقدمة والموضوع: الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله، مانح كل غنيمة وفضل...، أحمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه... استهديه قريبا هاديا...؛ وعدّت المقدمة صفتين من صفات الله سبحانه وتعالى وهي كونه منعما هاديا فألبس عباده الرّياش وأرفغ لهم المعاش، وهداهم بإرسال رسوله، وإتمام حججه عليهم؛ وتكفل المقطعان ١٠ و١٥ بشرح أكثر لنعم المنعم على عباده: منحهم أسماعا، وأبصارا، وأشلاء، وقلوبا وألسنة... مع التطرق إلى الهدف من كل هذه النعم؛ والمقدمة -وهي المطالبة بتقوى الله سبحانه وتعالى- رابطة فنية بين الاستهلال والموضوع المستهدف، إذ الحياة في غرور حائل، وضوء آفل، وظل زائل وسناد مائل، في الدنيا الرنق المشرب، والردغ المشرب، والمونق المنظر، والموبق المخبر لايتيسر إلا بتقوى الله وأما الموضوع الرئيس المستهدف فهو حديث عن طبيعة الدنيا

(المقطع ٣)، ثم نهايتها وهو المنية (المقطع ٤)، ثم الحديث عن ما بعد الموت (المقطع ٥)، ثم الحديث عن موقف الإنسان في الدنيا (المقطع ٧)، ثم الحديث عن بعض ما أنعمه الله على الإنسان ليستخدمها في حياته الدنيوية ويكسب بها ما يفيده في حياته الأخروية، و كذلك ذكر الماضين ليعتبر به (المقطع ١٠).

والربط الفني يربط بين:

«ضرب لكم الأمثال» في المقدمة و «فيا لها أمثالا صائبة» في المقطع ٨؛ إذ الأمثال الصائبة انعكاس ونمو فني للأمثال التي ضربها الله وتحدث عنها الإمام علي ﷺ في المقدمة؛ بعبارة أخرى "ضرب الأمثال" في المقدمة مُجمَل ففصّل الإمام علي ﷺ الحديث عنه في المقطع ٨ وهكذا طوّره وتمّاه.

وصف الدنيا في المقطع ٣ و«أمثالا صائبة ومواعظ شافية لو صادفت قلوبا زاكية، وأسماعا واعية، وآراء عازمة وألبابا حازمة» في المقطع ٨؛ إذ الذي يملك قلبا زاكيا، وسمعا واعيا ، ورأيا عازما ولبا حازما يعاف رَنَقَ الدنيا ورَدَغَها.

التسلسل الزمني في المقطعين ٤ و٥ (الحياة، والممات والنشور) و "عباد مخلوقون اقتدارا... مضمنون أجداثا ومبعوثون أفرادا" في المقطع ٦.

بين «فاتقوا الله» في المقطع ٩ وموقف الإنسان في الدنيا (المقطع ٧)؛ إذ الذين عُمِّروا في الدنيا وهُدوا فيها لو اتقوا الله تقية من سمع فخشع، ووجل فعمل، سعدوا ونجوا.

بين تقوى الله في المقدمة والتقوى في المقطع ٩؛ إذ دعا الإمام الناس إلى تقوى الله وجاء بصفات لله في المقدمة لكن في المقطع ٩ يصف للناس كيف يتقون هذا الإله: اتّقوا الله تقية من سمع فخشع، واقترف فاعترف... كما يربط أميرالمؤمنين الإمام علي ﷺ بين تلك الصفات لله (وقّت لكم الآجال، وأرصد لكم الجزاء وأنذركم

بالحجج البوالغ) وأمره الناس بتقوى هذا الإله نفسه الذي حذّرهم من نفسه وأعدّ لهم ميعاده وحذّرهم من هول معاده.

بين المقطع ١٠ والاستهلال، والمقدمة، والمقطع ٧؛ إذ عدّ الإمام علي ﷺ عددا من نعم الله المنعم على الإنسان ذاكرا الهدف من كل واحدة في المقطع ١٠ مؤكدا ما قاله من واجب الإنسان تجاه هذه النعم في حياته قبل مماته في المقطع ٧، والاستهلال والمقدمة يحتويان أيضًا على صفة من صفات الله سبحانه وتعالى وهو كونه مصدر كل نعمة، وغنيمة وفضل.

بين المقطع ١١ والمقطعين ١٠ و ٤؛ يتحدث أمير المؤمنين ﷺ عن النعم التي لايعرف قدرها الإنسان حتى يفقدها بقرب الزيّال، وأزوف الانتقال ويغادر في محلة الأموات، دون أن يكون قد مهّد في سلامة بدنه و اعتبر في أُنُف الأوان؛ لأنه أنس بالدنيا ومنظرها المونق...

بين المقطع ١٢ والمقطع ٤؛ يؤكد أمير البيان ﷺ أن الخلف يحتذون أمثلة السلف في انخداعهم بالدنيا والاشتغال بها، ومباغتهم بالمنية، ماضين إلى غاية الانتهاء وصيّور الفناء محشورين ليوم الجزاء.

بين المقطع ١٣ والمقطعين ١٢ و ٩؛ وصف الخطيب المصقع ﷺ في المقطع ١٢ القلوب قاسية عن حظها، لاهية عن رشدها فيدعوهم إلى تقية ذي لب شغل التفكر قلبه لا الدنيا في المقطع ١٣ مؤكدا ما قاله في المقطع ٩ من تقية من سمع الأمثال التي ضربها الله في أحوال الماضين فخشع قلبه.

بين المقطع ١٤ والاستهلال والمقدمة؛ إذ كما قال الإمام علي ﷺ في الاستهلال، أرسل الله رسوله لإنفاذ أمره، وإنهاء عذره وتقديم نذره، وأعاد هذا في المقدمة فقد أشار إلى أن الله أنذر عباده بالحجج البوالغ، و هنا في المقطع ١٤ يوصي عباد الله بتقوى الله

الذي أعذر بما أنذر؛ إذن الإنذار هو الوصل الفني بين هذه المقاطع الثلاث.

بين المقطع ١٥ والمقطع: ٤، و٥، و٦، و١٠، و١٦؛ إذ أشار الإمام علي ﷺ في هذا المقطع إلى بعض المراحل التي يمرّ بها الإنسان في خلقته؛ إذ كان فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقاً ثم صار عَلَقَةً مِحَاقاً ثم جَنِيناً ثم رَاضِعاً وَوَلِيداً ثم صار يافعا... وهذا تفصيل ل"عباد مخلوقون اقتدارا..." في المقطع ٦، ثم عدّ ثلاث نعم أنعمها الله سبحانه على الإنسان وهي القلب، والبصر واللسان، ذاكرا الهدف من كل واحدة، وهذا يماثل ما ذكر في المقطع ١٠، ثم يعود ﷺ إلى التسلسل الزمني (الحياة، والممات والنشور) مثلما فعل في المقاطع الماضية: ٤، و٥ و٦ ممهدا الأرضية ليعظ الناس في اغتنام الفرص: فرصة الإرشاد، وراحة الأجساد، وأنف المشية وإنظار التوبة قبل الضنك والمضيق وقدوم الغائب المنتظر في المقطع ١٦.

وهكذا نلاحظ تنامي الموضوعات وتلاحمها بالربط الفني الذي يصل بين مقاطع الخطبة ويخضع الخطبة لوحدة عضوية وخطوط هندسية جاعلا إياها عمارة فنية محكمة البناء بالغة الإثارة والدهشة والجمال.

التكرار الصوتي، والتجانس الصوتي بين المفردات المتتابعة، والمفردات المزدوجة، وبين الفواصل وحتى بين ثلاث فواصل فصاعدا، وتكرار الكلمات والتوازن بين الجمل يخلق هذا كله الإيقاع بنوعيه الداخلي والخارجي الذي له دور فاعل في التصعيد العاطفي للجمهور واستثارتهم نحو أفكار الخطبة وهدفها، ويبلغ هذا التصعيد ذروته عندما يوظَّف الصوت في خدمة الدلالة.

في الخريطة الذهنية التالية تم الإتيان بنماذج من الإيقاع بنوعيه الداخلي والخارجي، والجدول بعدها يبين دلالة الرموز المستخدمة:

الإيقاع في الخطبة الغراء

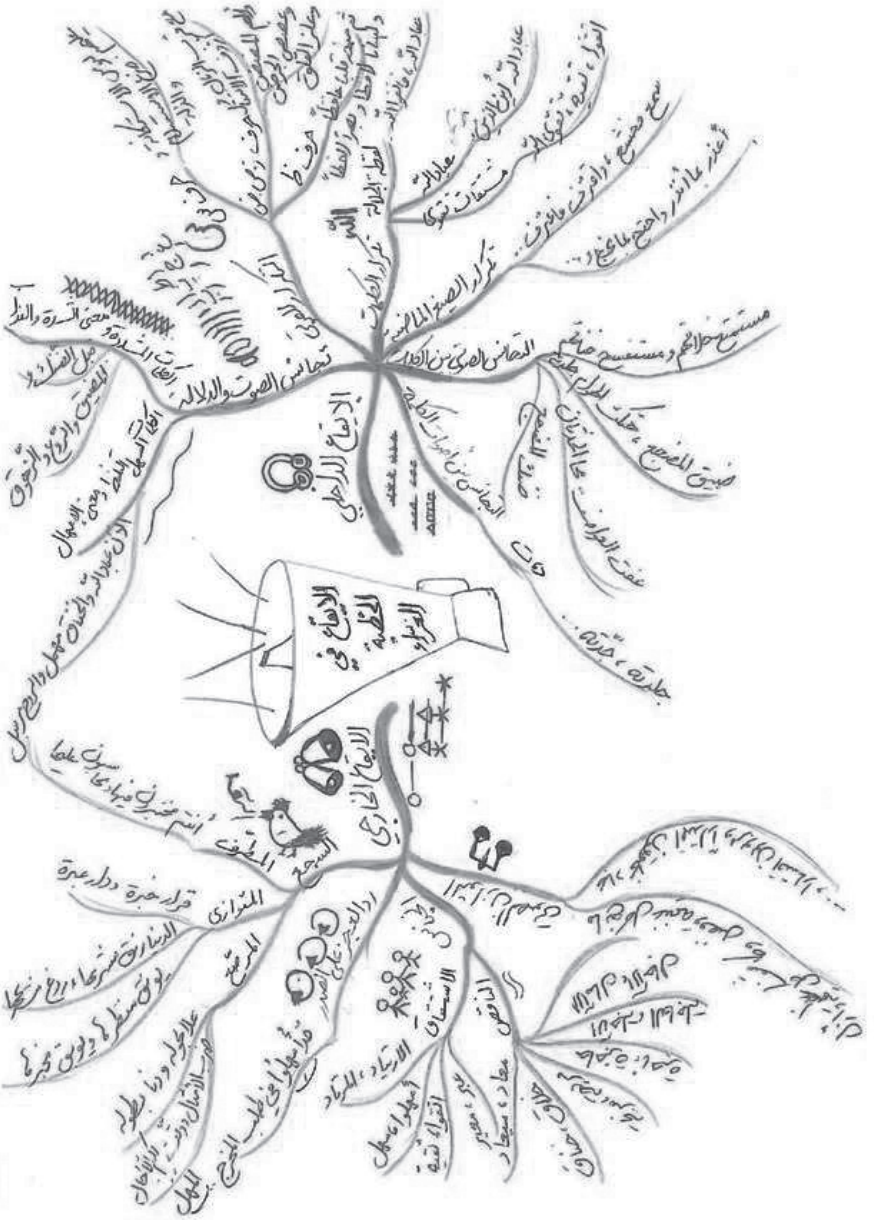

رموز خريطة الإيقاع الذهنية وتفسيرها

الرمز	تفسيره
	مكبرة الصوت؛ رمز لتوصيل الفكرة عبر توظيف الإيقاع في الكلام
	وسيلة للاستماع إلى الموسيقى وغيرها دون انتشار الصوت في الفضاء، تجعل على الرأس وتلتصق السماعتان بالأذنين؛ هي رمز للإيقاع الداخلي.
	رمز لتجانس الصوت والدلالة، مثل الأصوات التي يسهل تلفظها ومعنى "الإمهال": "الآن عباد الله، والخناق مهمل والروح مرسل".
	رمز لعلامة الشدة (ـّـ) ودلالة الشدة والعذاب في كلمات: العنكبوت، الرّوع، والزّهوق.
	رمز للتجانس بين أصوات الكلمة، مثل: د، ت في: جلدته و جَنته
	رمز للإيقاع الخارجي؛ رنين الجرس ينتشر في الفضاء ثم يسمع.
	رمز للسجع؛ سجعت الحمامة والناقة ـــ سجعا: رنّدت صوتها على طريقة واحدة (أنيس، إبراهيم وآخرون، ١٤٠٨ ق، مادة سجع).
	رمز لصنعة ردّ العجز على الصدر البلاغية
	رمز للاشتقاق؛ كما يولد الطفل من والديه تشتق الكلمة من كلمة أخرى.
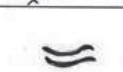	رمز للنقص؛ إذ الجناس الناقص يعني اتفاق الكلمتين في أكثر الحروف مع اختلاف المعنى؛ فهناك نقص في حروف كلمة مقارنة مع كلمة أخرى.
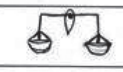	رمز للتوازن الصوتي بين الجمل

الصور الفنية في الخطبة الغراء

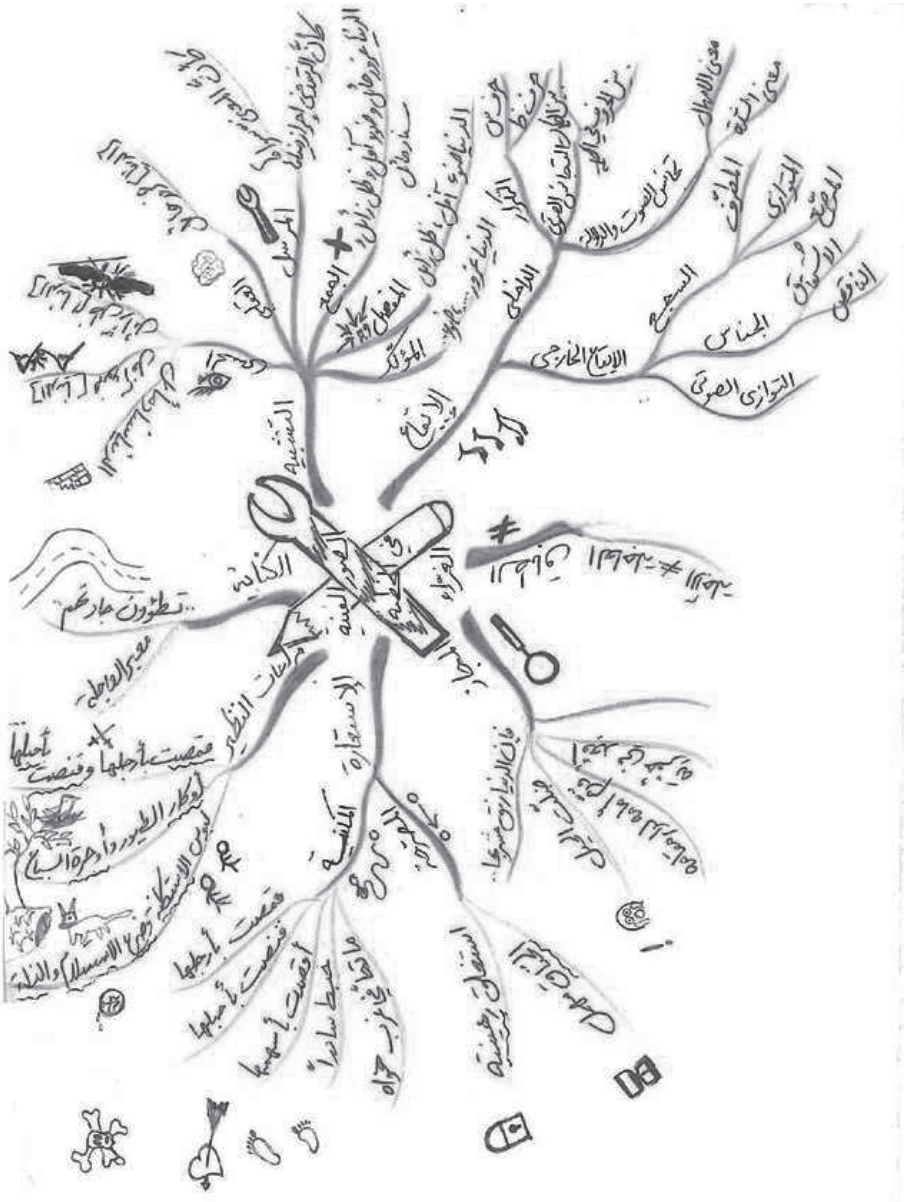

رموز الخريطة الذهنية للصور الفنية وتفسيرها

الرمز	تفسيره
	رمز للفن؛ من الأدوات التي يعمل بها الميكانيكي؛ صاحب قلمَ رصاص ليدل على أن الخطيب استخدم الأدوات الفنية المتنوعة المتجانسة مع موضوع الخطبة وبدائها لإثارة أهدافه الفكرية.
	تبصر الأشياء والأشخاص بالبصر؛ رمز للتشبيه الحسي
	رمز للتشبيه العقلي مقابل التشبيه الحسي
	الجدار المائل رمز لسداد مائل لابقاء له؛ تنتهي الدنيا ولن تستمر
	الشمس وراء الجبال رمز لأفول الضوء؛ كما يأفل ضوء الشمس عندما تغرب وتختفي وراء الجبال، تفنى الدنيا.
	الجادة رمز للمسير الذي سار فيه السلف ويسلك طريقهم الخلف.
	السيفان المتقاطعان رمز لقضاء الدنيا على طالبها بعد أن اصطادته بشباكها.
	عند النشور يخرج الله الموتى من ضرائح القبور، وأوكار الطيور وأوجرة السباع.
	الموتى يحشرون وعليهم ليوس الاستكانة وضرّع الاستسلام.
	رمز للخوف والبكاء من أهوال يوم القيامة.
	إن الموت نهاية هذه الحياة.
	الدنيا ترمي الإنسان بأسهمها وتُعلقه أوهاق المنية.
	رمز للسّير في طريق الضلالة
	رمز لسدّ الطريق (طريق الهداية) على من يتّبع الشيطان ويكون رهينته
	رمز للإمهال
	رمز لتحير كثير؛ وهذا حال الموتى عندما يُسمعهم الداعي: ضلّت حيلهم وانقطع أملهم.
	رمز للاستعارة المكنية؛ إذ هي تشبيه حذف فيه المشبه به وأشير إليه بذكر لازمه.
	رمز للاستعارة المصرحة؛ إذ هي تشبيه حذف فيه المشبه.
	رمز للمجاز؛ كما أن العدسة المكبّرة تُري الأشياء في غير قياسها الحقيقي، يستعمل اللفظ في المجاز في غير ما وضع له.

تدرس الصور الفنية الصنائع البلاغية التي استعملها القائل ﷺ في خطبته من التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية وغيرها، والإيقاع بنوعيه الداخلي والخارجي، وتمثل هذه الصور العنصرين العاطفي والجمالي اللذين يستثمرهما الخطيب لاستثارة الجمهور وحثهم على عمل ما ينسجم مع غرضه من الخطابة.

وتظهر لنا الأمثلة، الصور ذات عنصر إيقاعي كما كان الإيقاع ذا عنصر صوري؛ والصور متجانسة مع بناء الخطبة كما الإيقاع متجانس معه؛ وتوكأت الخطبة على لغة محتشدة بهذين العنصرين (الإيقاع والصورة) بشكل مكثف ومنتظم لتترك أثرا متعمقا وفاعلا في المتلقي؛ إذ هما بجمالهما اللفظي والدلالي يساهمان في بلورة الموضوع، آخذَين بمجامع قلوب المتلقين ومثيرَين عاطفتهم، وهذا ما يميز الخطبة عن سائر الأشكال النثرية.

أما الأسلوب فيتطرق إلى طريقة الخطيب والمنهج الذي اتبعه في كلامه ليعبّر عما يجول في خاطره من استخدام أدوات الشرط، والاستفهام، وأساليب النداء، والأمر والحذف، وكثرة توظيف الجمل الفعلية، والجمل القصيرة، كذلك كثرة توظيف الضمائر والنعوت إلخ.

في الخريطة الذهنية التالية تم شرح الأسلوب، ونظرا إلى سهولة فهم الرموز المستخدمة لم نأت بتفسيرها:

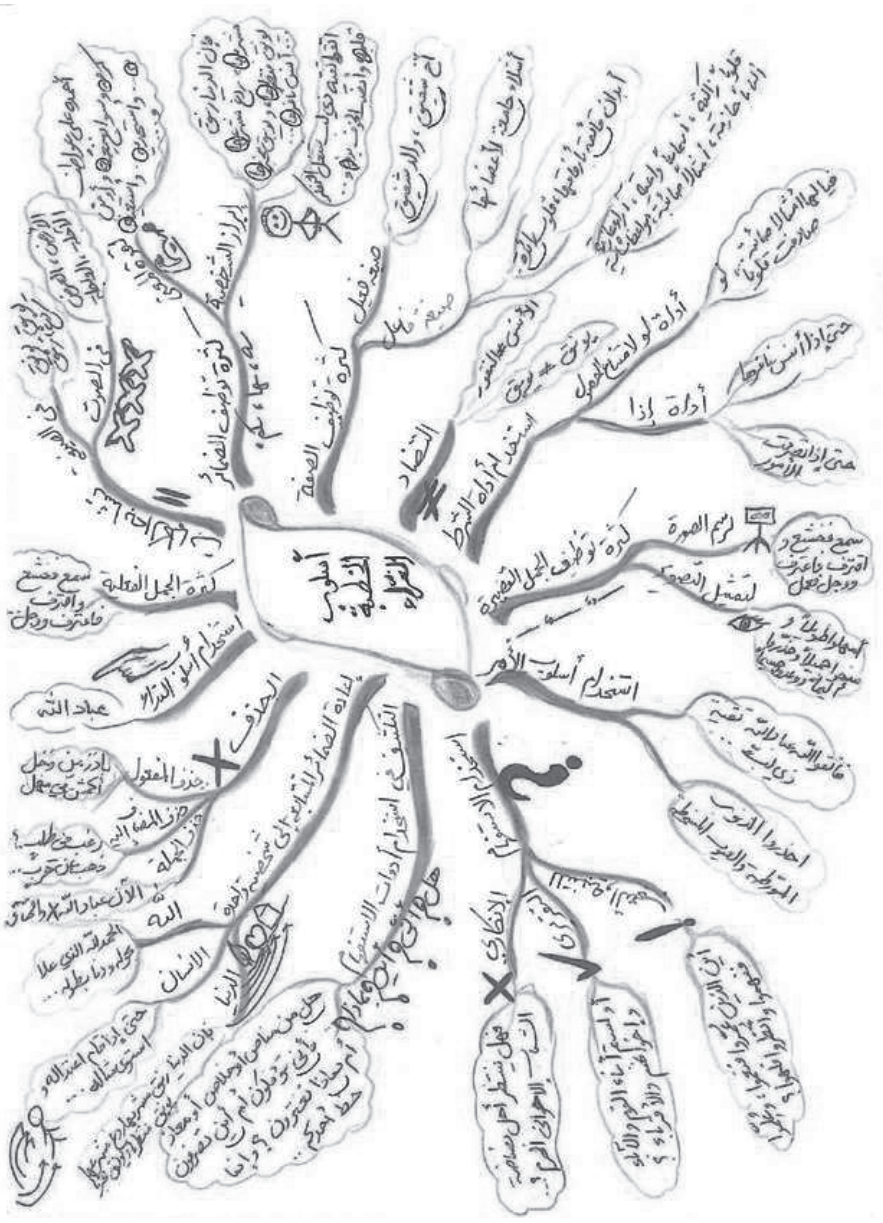
أسلوب الخطابة
الحذف
التكرار
الاستفهام
التشبيه
الاستعارة
الكناية
الطباق
المقابلة
الجناس
السجع
الترصيع
التقسيم
الموازنة
الاقتباس
التضاد
أداة إذا
أداة لو
أداة لولا
أداة حتى
أداة هل
أداة ما
أداة من
أداة كم
أداة كيف
أداة أين
أداة متى
أداة أي
أداة أنى
أداة أيان
أداة ألا
أداة أما
أداة إما
أداة إن
أداة لن
أداة لم
أداة لما
أداة لا
أداة ليت
أداة لعل
أداة كأن
أداة لكن
أداة بل
أداة أم
أداة أو
أداة ثم
أداة الواو
أداة الفاء
أداة ثم
أداة حتى
أداة إلا
أداة غير
أداة سوى
أداة عدا
أداة خلا
أداة حاشا
أداة ليس
أداة لا يكون
أداة ما زال
أداة ما برح
أداة ما فتئ
أداة ما انفك
أداة ما دام
أداة ما دمت
أداة ما دمنا
أداة ما دمتم
أداة ما دمتن
أداة ما دمتما

تحيطنا الخريطة الذهنية علما بأن أسلوب التخاطب، والاستفهام بأنواعه التقريري، والإنكاري والاستفهام للتنبيه والتعجب، كذلك الطلب، والحذف (حذف المفعول به، والمضاف إليه وحذف الجملة)، وتكثيف استخدام الجمل الفعلية القصيرة، والضمائر، والصفة المشبهة، واستخدام أدوات الشرط، والتضاد وتشابه الكلمات في الصيغة والصوت كل هذا ينسجم مع موضوع النص وبنائه، وموظف للتصعيد العاطفي هاديا إلى هدف الخطبة؛ وقد نجح الخطيب في تحقيق هدفه كل النجاح؛ إذ ورد في الخبر لما خطب هو-عليه السلام- بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون ورجفت القلوب.

ويفيدنا التخطيط الهندسي للخطبة مدى تلاحم العنصر العاطفي الفني (الصورة والإيقاع) والأسلوب اللذين يتجانسان مع الموضوع، مع الهدف العبادي وينصبان في الهيكل الفكري للخطبة.

فيُقتَرح استخدام استراتيجية الخرائط الذهنية لكل من ينوي التعلم أو التعليم لأنها «لا تتطلب المهارات اللغوية والكتابية في تنفيذها، وهو ما يجعل تركيز الطالب والأستاذ يتجه نحو تمثيل المعرفة وتقييمها، وبذلك تقل الضغوط عليهما» .

وأخيراً يمكنك أن تفكر في خرائط العقل عندما تحتاج إلى أن تفكر تفكيرا إبداعياً أو متألقاً في العمل أو عند الدراسة لأن ذلك تساعدك على الخروج من نطاق التفكير المحدود .

النتائج

الخرائط الذهنية بصفتها استراتيجية من استراتيجيات التفكير الإبداعي تكون بمنزلة تمثيلات بصرية للحقائق والمفاهيم، هي أداة فعالة تنظّم، وتحفّز وتحثّ شقّي المخ؛ وتستخدم هذه الاستراتيجية جميع قدرات الدماغ البشري المتعلقة بالإبداع خاصة الخيال، والترابط والمرونة المعرفية؛ وتستخدم خرائط العقل لعرض المفاهيم الخفية التي تدور في الذهن، وتفيد كل مجالات الحياة وكل نشاط يشتمل على التفكير أو التذكير، أو التخطيط، أو الإبداع والخلاقية وتساعد المعلمين والمتعلمين وغيرهم على تطوير تفكيرهم، وانتقاء الأفكار عامة، واستيعاب الأفكار المعقدة، وتلخيصها وتركيبها خاصة، وتتيح لهم فرصة استكشاف معلومات مفقودة، وعلاقات مبهمة، وهكذا تمنحهم فرصة لممارسة الإبداع.

لهذه الاستراتيجية فاعلية في تعليم مادة الأدب؛ إذ تعتمد على صور شكلية ولفظية تتشعب وتساعد الطلاب على تنمية تحصيلهم لدراسة هندسة نص أدبي، وتجزئته، وتحليله وفهمه.

الهوامش :

١ . Buzan، T. The ultimate book of mind maps [E- reader Version].2005. P.4.

٢ . المصدر نفسه: ٩ و١٢

٣ . بوزان، توني. استخدام خرائط العقل في العمل، مكتبة جرير.٢٠٠٦. ط١. ص ١٦.

٤ . العبادي، حامد مبارك، ويونس أحمد جرادات. «أثر استخدام الخريطة الذهنية الإلكترونية في تنمية الاستيعاب القرائي في مادة اللغة الإنجليزية لدى طلاب الصف التاسع الأساسي»، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد ١١، عدد ٤، ٢٠١٥. ص٤٧١.

٥ . المصدر نفسه: ٤٧١، و وقاد، هديل أحمد إبراهيم. فاعلية استخدام الخرائط الذهنية على تحصيل بعض موضوعات مقرر الإحياء لطالبات الصف الأول الثانوي الكبيرات بمدينة مكة المكرمة، رسالة الماجستير، ٢٠٠٩، ص٢٨.

٦ . صالح حوراني، حنين سمير. أثر استخدام استراتيجية الخرائط الذهنية في تحصيل طلبة الصف التاسع في مادة العلوم وفي اتجاهاتهم نحو العلوم في المدارس الحكومية في مدينة قلقيلية، أطروحة الماجستير، نابلس، فلسطين. ٢٠١١. ص١١-١٣.

٧ . بوزان، توني وبوزان، باري. كتاب خريطة العقل، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠، ط٦، ص ٣٤ ، و Buzan، T. & Buzan، B. The mind map: how to use radiant thinking to maximize your brain's potential. Dutton. New York. 1994. P 32

٨ . المصدر نفسه: ٥٩ والمصدر نفسه: ٦٩

٩ . القزويني، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، رياض، ١٤١٧. ط١، ص ٧٠١، ٧٠٢.

١٠ . عوجان، وفاء سليمان، «تصميم ودراسة فاعلية برنامج تعلمي باستخدام الخرائط الذهنية في تنمية مهارات الأداء المعرفي في مساق تربية الطفل في الإسلام لدى طالبات كلية الأميرة عالية الجامعية»، المجلة التربوية الدولية المتخصصة، المجلد ٢، العدد ٦ ، ٢٠١٣، ص ٥٤٨.

١١ . بوزان، ٢٠٠٦: ٨، و Buzan، ١٩٨٤: ١١٢

١٢ . عوجان، ٢٠١٣: ٥٤٨

١٣ . الردادي، هشام محمد ، فاعلية استراتيجية الخريطة العقلية الحاسوبية في تنمية مهارات التعلم لطلبة العلوم الإدارية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، جامعة نايف، الرياض، (٢٠٠٩)، ص ٢٧.
١٤ . بوزان، توني، كتاب القراءة السريعة، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، (٢٠٠٧)، ط٦، ص ٢٠٨.
١٥ . Buzan، ١٩٨٤: ١١٢
١٦ . المصدر نفسه: ٩٢
١٧ . Buzan ، ١٩٩٤: ٨٩،٩٠
١٨ . بوزان، توني، استخدم عقلك، ترجمه: عبد الله مكّي، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،(١٩٩٠)، ط١، ص ١٧٨ و١٧٩ ، وبوزان، ٢٠٠٦: ٩ و١٨.
١٩ . الرفاعي، ٢٠١٣: ٤٨ و١٢٤
٢٠ . الردادي، ٢٠٠٩: ٣٠ نقلا عن Peterson and Dundee، ١٩٩٨: ٩
٢١ . Buzan،T. Use your head. Book Club Associates by arrangement with BBC Publication. ١٩٨٤. P ٩١.
٢٢ . بوزان، ٢٠٠٦: ١٣، و بوزان، توني، العقل واستخدام طاقته القصوى، ترجمة: إلهام الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦، ط١، ص١٤٣، و Siwczuk، E. "Mind maps– a creative thinking tool in information technology–". Technical Sciences. No.٨، ٣١٣–٣٢٦. و الرفاعي، نجيب عبد الله ، الخريطة الذهنية خطوة ... خطوة . الكويت. ٢٠١٣ ، ط ٣، ص٢٤.
٢٣ . بيتي، جيوقري ، كيف تنمي قدرتك على التفكير الإبداعي، ترجمة سامي تيسير سلمان، بيت الأفكار الدولية. عمان، (١٤٢٢)، ص١٦١، و: ٢٠٠٥ : ٥. Siwczuk،E
٢٤ . بوزان، ٢٠١٠: ١٤٢ و١٤٥، و، ١٩٩٤: Buzan،Buzan١٠٦،١٠٧
٢٥ . Buzan، ١٩٨٤: ٩٢
٢٦ . بوزان، ١٩٩٦: ١٤٣
٢٧ . Buzan، Buzan، ١٩٩٤: ٩٦–١٠١، Buzan،١٩٨٤: ٩٢.
٢٨ . بوزان، ٢٠١٠: ٩٨ و١٣٤
٢٩ . صالح حوراني، ٢٠١١: ٨٩
٣٠ . الرفاعي، ٢٠١٣: ٢٤و٤٢

٣١ . الرفاعي، ٢٠١٣: ١٥٢-١٥٤
٣٢ . Buzan،T. Super – Creativity. Los Angeles: Audio Renaissance Tapes، Inc. ١٩٩٨ :p. ١١.
٣٣ . Faizel، M. The Mind Map Tutor Hand book. Published by www. using Mind Maps.Com. (٢٠١٠). p ٢٠.
٣٤ . Buzan، ١٩٨٨: ١٢
٣٥ . Buzan، Buzan، ١٩٩٤: ١٠٠
٣٦ . الرفاعي، ٢٠١٣: ٣٤
٣٧ . Buzan، Buzan، ١٩٩٤: ٩٧
٣٨ . Buzan، T. The ultimate book of mind maps [E- reader Version]. ٢٠٠٥: ٢٥.
٣٩ . بوزان، ٢٠٠٦: ١٣ وبوزان، ٢٠١٠: ٨٨ و١٣٥
٤٠ . يوسف، إيمان مصطفى محمد إبراهيم، فاعلية استخدام استراتيجيات التعلم النشط في تنمية مهارات التعبير الكتابي لدى عينة من طلبة الصف الثاني الأساسي في إمارة دبي ، بحث مقدم إلى مبادرة تنمية مهارات التعلم، مدرسة الإبداع النموذجية، دولة إمارات. (٢٠١٥)، ص١١.
٤١ . الردادي، ٢٠٠٩: ٢٤
٤٢ . Buzan، Buzan، ١٩٩٤: ١٠٠
٤٣ . Buzan، ١٩٨٨: ١٢
٤٤ . Buzan، Buzan، ١٩٩٤: ٢٢٥، وبوزان، ٢٠١٠: ٢٨٩
٤٥ . بوزان، ٢٠٠٦: ٦٧
٤٦ . المصدر نفسه: ٦٧
٤٧ . Buzan، Buzan، ١٩٩٤: ٢٣٤-٢٣٥، وبوزان، ٢٠١٠: ٢٩٦.
٤٨ . يوسف، ٢٠١٥: ١١، نقلا عن Budd،J.٢٠٠٤ .
٤٩ . Buzan، Buzan، ١٩٩٤: ٢٢٤،٢٢٣، وبوزان، ٢٠١٠: ٢٨٥.
٥٠ . بوزان، ٢٠٠٦: ٧٤
٥١ . الردادي، ٢٠٠٩: ٣١
٥٢ . بوزان، ٢٠١٠: ٢٨٩، و Buzan، Buzan، ١٩٩٤: ٢٢٥

٥٣ . جابر، عبدالحميد جابر، الذكاءات المتعددة والفهم تنمية وتعميق، دار الفكر العربي. القاهرة، (٢٠٠٣)، ط١ ، ص٤٦٥، نقلا عن Stifler & rtHerbe، ١٩٩٧: ٢٠

٥٤ . طلافحة، حامد عبد الله، «أثر استخدام استراتيجية خرائط المفاهيم في التحصيل المباشر والموجل لطلاب الصف السادس الأساسي في مبحث جغرافيا»، مجلة دراسات العلوم التربوية،المجلد ٣٩، العدد ٢،(٢٠١٢)، ص ٣٤٤.

٥٥ . بوزان، ١٩٩٠: ١٧٩

٥٦ . الردادي، ٢٠٠٩: ٣٤

٥٧ . المصدر نفسه: ٣١

٥٨ . بوزان، ٢٠٠٦: ٢٠

❁المصادر والمراجع

❁ نهج البلاغة

❁ البستاني، محمود؛ تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت ،(١٩٩٠).

❁ بوزان، توني، استخدم عقلك، ترجمه: عبدالله مكّي، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (١٩٩٠) ط١.

❁ بوزان، توني ، العقل واستخدام طاقته القصوى، ترجمة: إلهام الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، (١٩٩٦) ط١.

❁ بوزان، توني ، استخدام خرائط العقل في العمل، مكتبة جرير(٢٠٠٦)، ط١.

❁ بوزان، توني، كتاب القراءة السريعة، المملكة العربية السعودية: مكتبة جرير(٢٠٠٧)، ط٦.

❁ بوزان، توني وبوزان، باري، كتاب خريطة العقل، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية (٢٠١٠) ط٦.

❁ بيتي، جيوقري، كيف تنمي قدرتك على التفكير الإبداعي، ترجمة سامي تيسير سلمان، بيت الأفكار الدولية عمان، (١٤٢٢).

❁ جابر، عبدالحميد جابر، الذكاءات المتعددة والفهم تنمية وتعميق، دار الفكر العربي، القاهرة: (٢٠٠٣) ط١.

❁ الردادي، هشام محمد، فاعلية استراتيجية الخريطة العقلية الحاسوبية في تنمية مهارات التعلم لطلبة العلوم الإدارية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، جامعة نايف، الرياض(٢٠٠٩).

❁ الرفاعي، نجيب عبد الله، الخريطة الذهنية خطوة ... خطوة. الكويت (٢٠١٣) ط ٣.

❁ صالح حوراني، حنين سمير، أثر استخدام استراتيجية الخرائط الذهنية في تحصيل طلبة الصف التاسع في مادة العلوم وفي اتجاهاتهم نحو العلوم في المدارس الحكومية في مدينة قلقيلية، أطروحة ماجستير، نابلس، فلسطين(٢٠١١).

❁طلافحة، حامد عبد الله ، «أثر استخدام استراتيجية خرائط المفاهيم في التحصيل المباشر والموجل لطلاب الصف السادس الأساسي في مبحث جغرافيا»، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد ٣٩، العدد ٢،(٢٠١٢)، ٣٣٢-٣٥٠ .

❁العبادي، حامد مبارك، ويونس أحمد جرادات، «أثر استخدام الخريطة الذهنية الإلكترونية في تنمية الاستيعاب القرائي في مادة اللغة الإنجليزية لدى طلاب الصف التاسع الأساسي»، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، المجلد ١١، عدد ٤، (٢٠١٢)، صص ٤٦٩-٤٨٠.

❁عوجان، وفاء سليمان، «تصميم ودراسة فاعلية برنامج تعلمي باستخدام الخرائط الذهنية في تنمية مهارات الأداء المعرفي في مساق تربية الطفل في الإسلام لدى طالبات

كلية الأميرة عالية الجامعية»، المجلة التربوية الدولية المتخصصة، المجلد ٢، العدد ٦ ،(٢٠١٣)، ٥٤٤ – ٥٦٠ .

❁القزويني، محمدين يزيد، سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، رياض،(١٤١٧) ط١.

❁المهلهل، غادة محمد عبدالرحمن، أثر برنامج الخرائط الذهنية على تحصيل المفاهيم العلمية وتنمية الإبداع لدى تلميذات الصف الخامس الابتدائي في المملكة السعودية، رسالة الماجستير، جامعة الخليج العربي، مملكة البحرين، (٢٠١٢).

❁ وقاد، هديل أحمد إبراهيم، فاعلية استخدام الخرائط الذهنية على تحصيل بعض موضوعات مقرر الأحياء لطالبات الصف الأول الثانوي الكبيرات بمدينة مكة المكرمة، رسالة للحصول على درجة الماجستير، المملكة العربية السعودية(٢٠٠٩).

❁يوسف، إيمان مصطفى محمد إبراهيم، فاعلية استخدام استراتيجيات التعلم النشط في تنمية مهارات التعبير الكتابي لدى عينة من طلبة الصف الثاني الأساسي في إمارة دبي ، بحث مقدم إلى مبادرة تنمية مهارات التعلم، مدرسة الإبداع النموذجية، دولة إمارات(٢٠١٥).

المصادر الإنجليزية

❁ Buzan،T. Use your head. Book Club Associates by arrangement with BBC Publication.(١٩٨٤).

❁ Buzan،T. Super - Creativity. Los Angeles: Audio Renaissance Tapes، Inc. (١٩٨٨).

❁ Buzan، T. & Buzan، B. The mind map: how to use radiant thinking to maximize your brain's potential. New York: Dutton. (١٩٩٤).

❁ Buzan، T. The ultimate book of mind maps [E- reader Version]. (٢٠٠٥).

❁ Buzan،T. The Speed Reading Book. Poole: Buzan Centres Ltd.

❁ Faizel، M. The Mind Map Tutor Hand book. Published by www. using Mind Maps.Com. (٢٠١٠).

❁ Siwczuk، E. "Mind maps-

a creative thinking tool in information technology-". Technical Sciences (٢٠٠٥). No.٨، ٣١٣-٣٢٦.

الصلة بين الأخلاق و الدين
(مقاربة فلسفية في ضوء عقائد الإمامية)

Philosophical Approach in the Light of Imamate Doctrines

م.د. حسام علي حسن العبيدي
Lectur.Dr. Hussam Ali Hassan Al-Obaidi

الصلة بين الأخلاق و الدين
(مقاربة فلسفية في ضوء عقائد الإمامية)

Philosophical Approach in the Light of
Imamate Doctrines

م.د. حسام علي حسن العبيدي
جامعة الكفيل / قسم الشريعة

Lectur.Dr. Hussam Ali Hassan Al-Obaidi
University of Al-Kafeel / Sharia Department

Dr.hussam.ali@alkafeel.edu.iq

تاريخ الاستلام: ١٥/ ١/ ٢٠٢٠
تاريخ القبول: ٥/ ٢/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

إن مسألة الصلة بين الأخلاق والدين من المسائل الشائكة التي تُبحَث في الفلسفة وعلم العقائد ، وكانت مورد اهتمام الفلاسفة على مرّ العصور لاسيما أصحاب الأنساق الفلسفية التي تهدف إلى تفسير شامل ومتكامل للظواهر الكونية والإنسانية ، وربط الطبيعة بما وراءها ، وتجعل القيم والمبادئ الأخلاقية غاية لفلسفتها . وعن طبيعة الصلة بين الأخلاق والدين يمكن أن نجد في البحث الفلسفي اتجاهات ثلاثة : اتجاه يذهب إلى تبعية الأخلاق إلى الدين ، والثاني يعكس الأمر ، أما الثالث فيذهب إلى استقلال كلّ منهما عن الآخر ، أما في البحث العقائدي فالمسألة تصاغ بصياغة أخرى هي: إلى أيّ مدى تكون القيم الأخلاقية مستقلة عن التعاليم الدينية والنص الشرعي؟ فهل يمكن للعقل أو للعقلاء إدراك تلك القيم الإيجابية وتمييز السلبية عنها ، بقطع النظر عن إخبار النص الديني عنها وورود آمراً بها أو ناهياً عنها؟ وتُعرف المسألة في علم الكلام بـ « التحسين والتقبيح العقليين» .

وعلى الرغم من مقولة الشيعة الإمامية بالتحسين والتقبيح العقليين ، والذي يعني في ما يعنيه من استقلال العقل أو العقلاء في معرفة المبادئ والقيم الاخلاقية ـ وهو إلى حدّ ما نظير ما تذهب إليه نظرية الإلزام الخلقي ـ لا يمكن القول إنهم من حيث التصنيف السابق للاتجاهات الفلسفية يعتقدون بتبعية الدين للإخلاق ، وفي الوقت نفسه أيضاً فإن الإعتقاد باستقلال معرفة القيم الأخلاقية لا يعني الإعتقاد باستقلال كلّ من الأخلاق والدين عن الآخر .

الكلمات المفتاحية : الأخلاق ، الدين ، عقائد الشيعة الإمامية .

Abstract:

The nexus between both ethics and religion is a very debatable issue in philosophy in general, and theology in particular and the salient concern of philosophers throughout history, especially those whose endeavor was to present a comprehensive explanation of the world and human life and to yoke altogether the world with the world beyond. In other words, such an issue was the concern of these phosphors whose main point of focus is moral principles in their philosophies. As for the nexus between ethics and religion, there are three attitudes in this regard: the first direction believes that ethics is one category of religion and belongs to it, the second does in the opposite direction and the third does in that each is independent from the other. However, in theology, the issue is perceived from a different angle. The question to be stirred is that how detached are moral principles from religious instructions? Is it possible for reason to understand these positive factors and diagnose the negative ones, independent from religious instructions, 'rational approval and condemnation' in theology? Though the Shia claim to maintain the rational approval and condemnation, indicating the neutral unbiased judgment in recognizing moral principles, runs in line with the theory of 'moral obligation'; they do not believe in the dependency of religion on ethics. However, it should be notified that this also does not indicate that each one functions totally independently. In this specific sense, one may claim that Shiism represents the fourth attitude in dealing with ethics and religion. Its belief in the Hereafter motivates its adherents to elevate moral attitudes into perfection through religious instructions. Thus, the relationship between ethics and religion is a complementary one providing each other philosophically.

Keywords: ethics, religion, Imami Shi'a beliefs.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الأخلاق علامة فارقة للإنسان عن سائر خَلقه في هذه المعمورة ، والصلاة والسلام على من بعثه متمماً لمكارم الأخلاق ، فكان على خُلق عظيم ، وعلى أعلام الهداية آله ذوي الأصل الكريم .

وبعد ...

إن مسألة الصلة بين الأخلاق والدين من المسائل الشائكة التي تبحث في الفلسفة وعلم العقائد ، وكانت مورد اهتمام الفلاسفة على مرّ العصور لاسيما أصحاب الأنساق الفلسفية التي تهدف إلى تفسير شامل ومتكامل للظواهر الكونية والإنسانية ، وربط الطبيعة بما وراءها ، وتجعل القيم والمبادئ الأخلاقية غاية لفلسفتها .

ولما كان لكلّ من الأخلاق والدين تعلق بالجانب العملي عند الإنسان ، فستظهر جليّاً أهمية البحث في الصلة بينهما ليس على المستوى النظري وحسب ، بل أهميته في توجيه العمل والسلوك الإنساني نحو ما يناسب التنظير في المسألة .

ولا تخفى أيضاً أهمية تحديد طبيعة الصلة بينهما لتكون منطلقاً للحوار بين الحضارات والأديان المختلفة ، آخذين بالحسبان أن أهم المشتركات هي من الأصول الأخلاقية العامة ، فالأخلاق توفّر قواعد إشتراك ينطلق منها الحوار الإنساني القادر على استيعاب التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية .

وسيكون البحث في محاور ثلاثة لكلّ محور يُعقد مبحث ، فالمباحث ثلاثة تتلو تمهيد لبيان المفاهيم العامة الواردة في العنوان ، الأول يتناول وصف الاتجاهات الفلسفية المصنفة عند الحديث عن الصلة بين الأخلاق والدين ، والثاني يتناول بيان مسألة « التحسين والتقبيح العقليان» لما لها أثر واضح في تحديد ورسم ملامح العلاقة بين الأخلاق ومعاييرها من جهة ، والدين والحقائق الدينية من جهة أخرى ، أما المبحث

الثالث فسيكون مخصصاً لبيان أثر الدين في التكامل الأخلاقي، ومن خلال هذه الصلة المعبّرة عن تلازم بين الأمرين ، وبيان أهمية هذا التلازم للسلوك الإنساني ، وأخيراً ستكون خاتمة تُبين أهم الاستنتاجات التي توصّل إليها البحث على إيجازه .

تمهيد : في مفاهيم عامة

أولاً ـ الأخلاق لغة واصطلاحاً

الأخلاق جمع خُلُق (بضمتين) ، والذي يكون معناه اللغوي السجية والطبع أو العادة التي يعتاد الإنسان أن يفعلها، سواء أكانت عادة حسنة أم قبيحة سيئة . ويغلب استعماله بمعنى المروءة أو الأدب ، ومنه ما ورد في قوله تعالى مدحاً لنبيه الأكرم ﷺ: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[1] بمعنى الأدب العظيم على بعض التفاسير[2].

أما في الاصطلاح فالخُلُق عبارة عن هيأة في النفس أو كيفية نفسانية راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة وتلقائية لا تحتاج إلى مزيد تمعن ، فإن كانت الأفعال الصادرة عنها تستحق مدح العقلاء وثناءهم ، فهي ـ أي الهيأة ـ خُلُق حسن ، وإن كان ما يصدر عنها أفعال تستحق الذم والتقريع من العقلاء ، فهي خُلُق سيء[3].

ثانياً ـ الدين لغة واصطلاحاً

الدين لغة يعني الجزاء أو الطاعة والخضوع والانقياد ، ويمكن أن يكون الأصل اللغوي للفظ الدين هو بمعنى العادة ثم صار يطلق على معنى الطاعة لأنها اعتياد وتوطن للنفس عليها . وقد يستعار لفظ الدين ويقال للشريعة دين اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة التي هي طريقة ومنهاج وتعاليم معينة يفرضها من له حق الطاعة والانقياد بنظر الأتباع[4].

أما تعريف الدين في الاصطلاح فإنه يُعد من المشاكل التي يشوبها التعقيد ، وذلك

لأسباب منها كثرة التعاريف المذكورة في مجالات عدة ، وكلّ يلحظ الدين من زاوية معينة ، وبعضها يحاول أن يعرف المشترك بين الأديان المعروفة [٥] .

ومهما يكن الأمر ، فلابد هاهنا من تعريف اصطلاحي يناسب وجهة النظر الإسلامية تجاه الدين ، فقد ذكر التهانوي :((ويقال الدين هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل . وهذا يشتمل العقائد والأعمال.))[٦] ، ويفهم من قوله أن الدين منهج مخصوص وضعه الله سبحانه للإنسان الذي يمتاز عن سائر الكائنات الحية بعقله وحرية الإرادة والاختيار ، ويتكفل هذا المنهج الإلهي بتحقيق الصلاح في الحياة الدنيا والفوز والفلاح في الحياة الآخرة . وهذا هو أشهر تعريف للدين وأكثره تداولاً بين الكتّاب المسلمين .

ومن الواضح أن مفهوم الدين وحقيقته يرتكزان على رؤية كونية تدور حول حقائق ثلاث كبرى ، وهي : الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون ، وجود حياة أخرى غير هذه الحياة للإنسان فهو كائن يختلف عن سائر الكائنات الحية ، ولا تنتهي حياته بالممات ، وإن الله سبحانه جعل له طريقة تنظم شؤونه في هذه الحياة مؤدية إلى تحصيل السعادة في الحياتين[٧].

وتتضمن تلك الطريقة تعاليم وأحكاماً عملية تمثل التعاليم الأخلاقية جانباً مهماً منها ، وأغلب الطقوس العبادية تكون ذات غايات اخلاقية تسمو بنفس الإنسان في طريق تحصيل الفضيلة الأخلاقية ، قال تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾[٨] .

ثالثاً ـ من هم الإمامية ؟

الإمامية علم لأولئك المسلمين من أتباع أهل البيت عليهم السلام ، فهم الشيعة الإثنا عشرية الذين يتفقون مع سائر الاتجاهات والمذاهب الكلامية للمسلمين بالاعتقاد بأصل التوحيد وبالنبوة وبالمعاد ، ويفترقون عنهم بأهم ما يميزهم ويجعل تسميتهم مستندة إلى اعتقادهم به أصلاً من أصول الدين ، ألا وهو الاعتقاد بوجوب الإمامة ووجودها في كلّ زمان ، فالإمامة عندهم امتداد للنبوة ، وهي منصب ووظيفة إلهية تكون بالتعيين والنص الجليّ في السنة الشريفة[٩] ، و الأئمة إثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثم ابنه ووصيه الحسن عليه السلام ثم الحسين بن علي عليهما السلام ، ومن بعده تسعة من ذريته الواحد تلو الآخر ، وآخرهم هو الإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بقيامه بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

ومن الجدير بالذكر أن الإمامية وإن كانوا يتفقون مع غيرهم من المسلمين بأصول ثلاثة (التوحيد ، النبوة ، المعاد) ، إلا أنهم يختلفون معهم في بعض تفاصيل تلك الأصول ، وهناك أمر جدير بالإلتفات يميّز الإمامية من غيرهم ، إذ لم يكن مذهبهم كلامياً وحسب ، بل هو منظومة متكاملة من الأصول (العقائد) ومن فروع الدين (الأحكام والتعاليم الشرعية) .

والعدل الإلهي يُعد أصلاً خامساً من أصول الاعتقاد عند الإمامية ، لإظهار أهمية مباحثه ومسائله التي تشكل أساساً مهماً تقوم عليه بقية الأصول ، ومسألة الحسن والقبح العقليين هي الدعامة الأساس لأصل العدل وقاعدة مهمة لكثير من اعتقادات الإمامية[١٠] وفي ضوئها يمكن بيان مدى الصلة بين الأخلاق والدين وطبيعتها .

المبحث الأول ـ الاتجاهات في تحديد الصلة بين الأخلاق والدين

إن الصلة الوثيقة بين الأخلاق والدين من الأمور الواضحة التي لا تحتاج إلى كثير مؤونة في البيان والبرهان ، لذا قيل إن الأخلاق والدين في مرتبة واحدة ولا يمكن الفصل بينهما ، والدين عامل أساسي في تنمية الأخلاق وإنعاشها ، وقيل إن الأخلاق من غير دين عبث ، إذ العقيدة الدينية تعطي للأخلاق فاعليتها وتأثيرها الإيجابي ، وللدين أثر في تربية الفرد و المجتمع . والعقيدة الدينية هي المصدر الأساسي الذي يدفع الإنسان إلى عمل الخير وإلى الإحساس بقدسية القيم الأخلاقية ، وفي الوقت نفسه تكون العقيدة الدينية رادعاً قوياً للإنسان عن انغماسه في الملذات والشهوات المؤدي إلى الرذيلة الأخلاقية[١١].

فإذا كان الأمر كذلك فما المقصود بالصلة بين الأخلاق والدين في هذا البحث ؟

المقصود هاهنا بيان مدى الإعتماد في تشخيص القيم الأخلاقية أو الأصول العامة للأخلاق على التعاليم والنصوص الدينية ، وبعبارة ثانية : هل يمكن للإنسان أن يدرك الأصول العامة والقيم الأخلاقية ويشخصها حتى لو لم يرد فيها نص ديني ؟ ، وإذا كان بإمكانه أن يدركها ويشخص الفعل القبيح والفعل الحسن ، فأيّ أثر سيكون للدين حينئذ في السلوك الأخلاقي ؟ وما طبيعة الصلة بين الأخلاق والدين آنذاك ؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات هي التي ستحدد طبيعة الصلة بينهما ، وبحسب الاتجاهات المختلفة في ذلك .

وفي الواقع فإن أشهر الاتجاهات التي تُطرح على بساط البحث الفلسفي والأخلاقي بهذا الصدد اتجاهات ثلاثة[١٢] :

١-القول بتبعية الدين للأخلاق .

٢-القول بتبعية الأخلاق للدين .

٣-القول باستقلالية كلّ من الدين والأخلاق عن الآخر .

الإتجاه الأول يمثله ـ وبامتياز واضح ـ الفيلسوف الألماني إمانوئيل كانت[١٣] (Kant)(١٧٢٤ – ١٨٠٤م) فقد ذهب إلى أن الأخلاق لا تحتاج أبداً إلى الدين ، لأن الإنسان لا يحتاج إلى كائن آخر فوقه يعرّفه واجبه الأخلاقي ، مادامت القوانين الأخلاقية قائمة بطبيعة العقل ، وبفضل العقل العملي المحض تكون الأخلاق مكتفية بذاتها ، ويرى أن الأخلاق هي التي تؤدي إلى الدين ، فإن مفهوم الألوهية والاعتقاد بوجود الإله لا يصدر إلا عن الوعي بالقوانين الأخلاقية ثم يتوسع هذا الإدراك والوعي ليقبل بوجود قوة خارجة عن الإنسان تكمن في إرادتها الغاية الأخلاقية النهائية . ومن هنا يرى كانت أن الإعتقاد بالإلوهية ضرورة أخلاقية لابدّ منها[١٤].

أما الاتجاه الثاني الذي يرى تبعية الأخلاق للدين ، فيتمثل عند أوغسطين[١٥] (Augustinus) (٣٥٤ – ٤٣٠ م) ، وثلة من رجال اللاهوت المتأخرين . فقد ذهب أوغسطين إلى أن المباديء الأخلاقية حقائق أبدية ترتبط بالوجود الإلهي ، وأن القانون الأخلاقي هو قانون إلهي لأن مصدره هو الله[١٦] ، إلا إن مجموع من اللاهوتيين (في القرن الرابع عشر للميلاد) كان موقفهم أوضح في بيان طبيعة هذه التبعية ، عندما قالوا بأن المقياس الأخلاقي خارج عن طبيعة العقل البشري ، والخير مرده إلى الله ، وهو خير لأن الله أمر به ، وليس من الصواب أن نعتقد بأن الله أمر به لأن طبيعته خير[١٧].

ويمكن أن نصنف مذهب متكلمي الأشاعرة[١٨] في ضمن الاتجاه القائل أيضاً بتبعية الأخلاق للدين ، باعتبار موقفهم من الحسن والقبح واعتقادهم بأنهما أمران

تابعان للأوامر الإلهية ، وكلّ ما أمرت به الشريعة فهو حسن وكلّ مانهت عنه فهو قبيح[١٩].

وأما الاتجاه الثالث القائل باستقلالية كلّ من الأخلاق والدين عن الآخر فيمكن أن نلتمس له تمثيلاً في فلسفة ديفيد هيوم[٢٠](Hume) (١٧١١ - ١٧٧٦ م) وموقفه من الأخلاق والدين ، أعني بالدين هاهنا ، الدين الغيبي الذي يؤمن بإله شخصي ذي عناية بالكون والمخلوقات ، ويؤمن بخلود الروح ، وحيث إنه يرى الأحكام الخلقية لا تستند أبداً إلى أحكام العقل ، كما إنه ينفي عمل الدوافع الدينية دائماً وباستمرار كحافز أخلاقي ، ويلتمس الدافع الحقيقي للسلوك الإنساني في النزعة الطبيعية للإنسان ، والتي يعبر عنها بـ « العواطف » [٢١] . وعليه لا نجد في مذهبه صلة بين الأخلاق والدين الغيبي بالمعنى المتقدم .

الآن يمكن التساؤل : أين يكون موقف الإمامية من هذه الإتجاهات استناداً إلى عقيدتهم ورؤيتهم تجاه المباديء الأخلاقية وأحكام مقاييسها ؟ ، هذا ما سنتعرض له في المبحث الثالث ، وبعد أن نبين قاعدة التحسين والتقبيح العقليين في المبحث القادم .

المبحث الثاني ـ التحسين والتقبيح العقليان

كانت وما زالت مسألة قابلية العقل على أن يدرك حسن أو قبحها الأفعال تشغل حيّزاً من البحث الكلامي والأخلاقي ، وغيرهما من المجالات كأصول الفقه ، عند علماء المسلمين بشكل عام ، والإمامية بشكل خاص ، وقد ذهب الأشاعرة إلى القول بأنه لا حكم للعقل في حسن الأفعال وقبحها ، بل الحاكم بهما هو الشريعة والتعاليم الدينية ، وليس الحسن والقبح أمرين لهما واقع حقيقي قبل ورود النص الديني والأمر الإلهي ، فكلّ ما ورد به الأمر الإلهي بحسنه فهو حسن ، وكذا القبيح[٢٢] .

على حين يذهب علماء الإمامية إلى تأسيس قاعدة « التحسين والتقبيح العقليين » ، إذ يرون أن للأفعال حسناً أو قبح بغضّ النظر عن الحكم الشرعي ، فمنها ما يتصف بالحسن في نفسه ، ومنها ما يتصف بالقبح في نفسه ، فالصدق ـ مثلاً ـ هو حسن بحدّ ذاته ولأنه فعل خير حسن أمر به الله تعالى ، لا أنه صار حسناً بعد ورود الأمر الإلهي به ، وكذا يقال في قبح الكذب[٢٣].

ويبدو أن الخوض في تفاصيل هذه القاعدة أمر لا يلائم إيجاز هذا المبحث ولكن لابدّ من بيان موجز لأهم مايساهم في تقريب كيف للعقل أن يدرك الحسن والقبح ، وضمن المحاور الآتية :

أولاً : معاني الحسن والقبح (لغرض تحديد المعنى محل النقاش)

تذكر على طاولة البحث معانٍ محتملة لكلّ من الحسن والقبح ، وهي ثلاثة :

١-قد يقع الحسن والقبح وصفين للأفعال ويراد بهما كمال للنفس أو نقص فيها ، فيقال مثلاً : العلم حسن بمعنى أنه كمال للنفس ، وأن ترك العلم يؤدي إلى الجهل وهو نقصان فيها .

٢-وقد يراد بهما الملاءمة للنفس والمنافرة لها ، فيقال مثلاً : الأكل عند الجوع حسن

، والنوم على الشبع قبيح ، فكلّ ما يلائم النفس هو حسن ، وكلّ ما لا يلائمها أو تنفره النفس هو قبيح ، و الإنسان بتجاربه الطويلة وبقوة تمييزه العقلي يستطيع أن يحكم على الأفعال ويميّز الملائم من غيره .

٣-وقد يراد بهما وصف للأفعال التي يستحق فاعلوها المدح أو الذم ، فالحسن ما استحق عليه فاعله المدح عند العقلاء ، والقبيح ما استحق عليه فاعله الذم عندهم ، ومثالهما الإحسان إلى الآخرين أو العدوان عليهم .

والمعنى الثالث هو محل النقاش والنزاع بين المثبتين والنافين لإمكانية إدراك العقل لحسن الأفعال أو قبحها[٢٤].

ثانياً : أسباب حكم العقل العملي بالتحسين والتقبيح

لابدّ للعقل العملي من أسباب لأجلها يحكم بالحسن والقبح ، ويذكر لذلك ملاكات أربعة :

١-موافقة الطبع ويحتمل فيه إما موافقة الطبع الحيواني المشترك بين أنواع الحيوانات جميعها ، أو يراد من الطبع البعد العلوي (الروحي) من الإنسان الذي به تناط إنسانية الإنسان .

٢-موافقة الأغراض والمصالح ، ويمكن تصوره في وجهين : الأول هو موافقة الأغراض والمصالح الشخصية ، والثاني هو الموافقة مع المصالح والأغراض النوعية التي يدور عليها بقاء النظام العام .

٣-موافقة الكمال النفسي ، وهذا الملاك ربما يعود إلى القسم الثاني من الملاك الأول للحكم بحسن الفعل ، أي موافقة البعد العلوي للطبع الإنساني .

٤-موافقة العادات والتقاليد ، فالحسن ما كان موافقاً لعادات وتقاليد القوم والجماعة ، والقبح بخلافه .

ومن بين هذه الملاكات الأربعة يبدو أن الأنسب للمراد من حقيقة التحسين والتقبيح أن يكون المناط في الحسن موافقته للطبع العلوي (الروحي) للإنسان ، وبسب تلك الموافقة ربما يحصل المدح عند العقلاء عقب الفعل ، فلا يكون المدح منوطاً في تشخيص الفعل الحسن ، إنما المناط بالموافقة نفسها للطبع العلوي للإنسان[٢٥] .

ثالثاً : حقيقة التحسين والتقبيح العقليين

يمكن القول إن حقيقة التحسين والتقبيح العقليين هو حكم العقل العملي بأن هذا الأمر مما ينبغي أن يُفعل أو يُترك ، وليس هناك معنى لهذا الحكم العقلي غير إدراك ما ينبغي أن يكون ، وليس للعقل أن يُنشيء أمراً أو نهياً ـ ولكنه يدعو إلى العمل ، أي يكون سبباً لحدوث الإرادة للعمل على ما ينبغي أن يكون ، والمقصود من الحكم العقلي على الأفعال هو مدركات العقل العملي ليس إلا[٢٦].

وقد يقال إن الأحكام العقلية ـ للعقل العملي ـ بالحسن والقبح ما هي إلا الاراء المحمودة والقضايا المشهورة والتي تسمى (التأديبات الصلاحية) ، وهي التي تطابقت عليها آراء العقلاء ، والقضايا المشهورة ليس لها واقع غير هذا التطابق الحاصل عند العقلاء في آرائهم[٢٧] .

و لكن يبدو أن هذا الرأي لا يخلو من مناقشة ، إذ الحسن والقبح من الأمور الواقعية التي لا يتوقف ثبوتها على إدراك العقلاء أو تطابق إدراكاتهم ، والظاهر أن حكم العقل بكون هذا الشيء مما ينبغي فعله أو تركه مستند إلى إدراكه أولاً حسن الشيء أو قبحه مثلما يدرك الأمور الواقعية في غير ذلك ، وبعد هذا الإدراك يدعو العقل إلى فعل الحسن وترك القبيح ، وقابلية العقل هذه في تحريك الداعي يستقل بها كلّ إنسان بنفسه ، ولا تكون ناشئة من تطابق آراء العقلاء ، فهي نابعة من صوت

الوجدان و الضمير الذي وهبه الله سبحانه للإنسان[٢٨] .

وعليه فإنه لا مدخلية لتطابق آراء العقلاء في ثبوت الحسن أو القبح للفعل ، ولا في إيجاد الداعي للفعل أو تركه (ما ينبغي أن يكون أو ينبغي أن يُترك) ، غاية ما في الأمر أنه يمكن أن يكون كاشفاً ودليلاً على الحسن والقبح الثابتين في عقل كلّ أحد[٢٩] .

رابعاً : أدلة القول بالتحسين والتقبيح العقليين

من أهم ما تمّ تقريره في الاستدلال على أن التحسين والتقبيح عقليان ، دليلان :

١-الوجدان والبداهة : إن وجدان الإنسان المجرد عن الشبهات والأوهام يرى بالبداهة أن هناك أموراً حسنة ينبغي فعلها كالصدق والوفاء بالوعد والإيثار والكرم والإحسان للآخرين ، وأخرى تكون قبيحة لا ينبغي أن يفعلها كالكذب والخيانة والعدوان على الآخرين ، وهذا الوجدان لا يختص بالمجتمعات الدينية بل نجد ذلك حتى في الأمم والشعوب التي لا تؤمن ولا تعتقد بشريعة إلهية فضلاً عن عدم الاعتقاد بدين من الأساس . فكيف والحال هذه يقال إن مقياس حسن الأفعال أو قبحها شرعي وليس عقلياً ؟![٣٠].

٢-إنه لو كان الحسن والقبح شرعيين فإنهما لم يثبتا لا شرعاً ولا عقلاً ، بمعنى أنه لو لم نعلم بقبح الكذب عقلاً ، فهذا يؤدي بنا إلى القول بجواز وقوعه من الله (تعالى سبحانه ويُجلّ عن ذلك إجلالاً كبيراً) ، وعندها سوف لن نستطيع التصديق والجزم بما يخبرنا به عن حسن شيء أو قبحه ، فلا تنفع آنذاك التعاليم الشرعية في بيان حسن الأفعال وقبيحها ، والمبلغة إلينا من طريق الأنبياء ﷺ، وما ذلك إلا لاحتمال عدم الصدق فيها ما دمنا لا نعلم قبح الكذب عقلاً ، وبهذا سوف لن يتحصل لنا علم بقبح شيء أو حسنه لا من طريق العقل ولا من طريق الشرع[٣١] .

المبحث الثالث ـ أثر الدين في التكامل الأخلاقي للإنسان

بعد أن اتضحت عقيدة الإمامية بمسألة التحسين والتقبيح يمكننا القول إن تلك العقيدة تقتضي أن تكون الأصول الأخلاقية العامة حقيقة ثابتة يدركها العقل ولا تتوقف في ثبوتها على الأحكام والتعاليم الدينية ، يتضح جليّاً عدم إمكانية تصور تبعية الأخلاق للدين على وفق هذه العقيدة .

كما إنه لا يمكن القول بأن عقيدة الإمامية تفضي إلى تبعية الدين للأخلاق بوصف الحقيقة الدينية المحورية والأساس في إثبات خالق حكيم للكون هي محض ضرورة أخلاقية ، مثلما يبدو من مذهب « كانت » . ومقولة أن العقل هو المعيار الأخلاقي وليست التعاليم الدينية لا تكفي أبداً لتصنيفها ضمن الإتجاه القائل بتبعية الدين للأخلاق .

ولم يبقَ من الإتجاهات الثلاثة ـ التي تُذكر عادة في تحديد الصلة بين الأخلاق والدين ـ إلا الإتجاه الثالث القائل باستقلالية كلّ منهما عن الآخر ، فهل العقيدة الإمامية تتبنى هذا الإتجاه على وفق مبتنياتها العقائدية الآخرى ؟! .

من المؤكد جداً أن الأمر ليس كذلك ، بل ما يعتقده الإمامية هو الإتصال الوثيق بين الدين والأخلاق ، بنحو يبدو لي من الممكن تصنيفه إتجاهاً رابعاً في المسألة ، وإيجازه بالعبارة الآتية : « إن الأخلاق والدين أمران متلازمان ومتكاملان في التأثير بارتقاء الإنسان وإظهار إنسانيته ، التي يتميّز بها عن سائر الكائنات الحية ، بمعنى أنهما متعاضدان متآزران يتبادلان التأثير في عملية الرقي الإنساني ووصوله إلى الغايات السامية » .

إن الدين يُنمي منظومة الأخلاق الفاضلة ويتكامل معها[٣٢] ، آخذين بالحسبان أن طبيعة هذه الصلة والعلاقة التكاملية لا تتحدد فقط بالنظر إلى كون المعايير الأخلاقية عقلية ، بل ترسمها جملة إعتقادات أخرى تتعلق بالرؤية الدينية تجاه

الكون أو العلاقة بين الحقائق الكونية الثلاث (الله ، العالم ، الإنسان).

ويمكن أيضاً في توضيح هذه العلاقة التكاملية ملاحظة جانبين : الأول هو انتفاع الأخلاق الفاضلة بالدين ، والثاني هو انتفاع الدين بهذه الأخلاق[٣٣] .

ففي الجانب الأول نرى ابتناء التعاليم الدينية على رعاية الحسن المعروف وتجنب القبيح المنكر المفهومين بحسب الفهم العام ، وهذا يعني موافقة الدين للذوق العقلائي العام وللقيم الأخلاقية المرتكزة بالوجدان والفطرة الإنسانية والمدركة بالعقل العملي ـ كما تقدم في المبحث الثاني ـ ، وعليه فإن المنظومة الأخلاقية ستنتفع من هذا الدعم والتعزيز من جانب الدين لتلك القيم بعدما كان الأساس والارتكاز في التشريع يستند إليها[٣٤] .

ومن جهة أخرى فإن طبيعة الرؤية الدينية للإنسان بوصفه يحيى حياة أخرى غير هذه الحياة ، ويمكن له تحصيل السعادة من طريق بناء أخلاقي فاضل في حياته الأولى ، فهذه الرؤية إذا ما اعتقدها الإنسان وآمن بها ستعطيه بعداً عميقاً للفضيلة الأخلاقية في داخله ، وتبعث فيه الحافز والدافع والرجاء ، بل تجعله يتذوق معنى الفضيلة ويشعر باحتياجه إليها[٣٥] .

ويلاحظ أيضاً إهتمام الدين بالتربية الأخلاقية للنفس الإنسانية وتأكيده أن أحكامه مستمدة من المفاهيم الأخلاقية ومتعلقة بها ، وهذا له أثره في تنمية الشعور الأخلاقي عند الإنسان[٣٦] .

وبهذا يتضح أن الدين وتعاليمه يشكلان دعامة أساس ذات أهمية بالغة في التكامل والرقي الأخلاقي للسلوك الإنساني نحو الفضيلة والمثل العليا .

أما الجانب الثاني من العلاقة التكاملية ، أي انتفاع الدين بالأخلاق ، فيمكن تصويره بأن الأخلاق والقيم الأخلاقية هي من الأمور المعنوية قطعاً ، ولا يمكن

بأية حال من الأحوال أن تكون ناشئة من الظاهرة المادية ، والتغييرات المادية في الإنسان لا تُفسر صفاته الأخلاقية ، وهذا يؤكد الرؤية الدينية تجاه الإنسان من أنه كائن يتألف من أمرين: مادي ، وروحاني معنوي ، وعليه تتأكد الحقيقة الدينية التي تقتضي وجود كائن روحاني خالق للإنسان هو المبدأ الأول والأعلى للكون بأكمله ، وهكذا يتضح أن الإقرار بالأخلاق حالةً وجدانيةً جليّةً أمر يعزز الاستدلال على حقيقتين دينيتين : الأولى حقيقة أن للإنسان جنبتين (مادية وروحانية) ، والثانية هي أن هناك كائناً روحانياً خالقاً حكيماً يمنح الوجود والحياة للإنسان ، إذ لا يمكن تفسير النشأة الإنسانية بعوامل وعلل مادية محضة ما دام هذا الوجود الإنساني مؤلفاً من المادة والروح ، ولم يكن مادياً محضاً[٣٧] .

ولا يخفى أن التصديق بالحقيقة الإنسانية بوصفها عبارة عن وجودين (روحاني ومادي) يمهد للتصديق بعقيدة المعاد وبوجود نشأة أخرى تلك التي تحدّثت عنها النصوص الدينية[٣٨] .

وثمة أمر آخر ينبغي ملاحظته عند الحديث عن انتفاع الدين بالأخلاق ، ألا وهو أن المجتمع الإنساني كلما كان متصفاً بالأخلاق الفاضلة كان أكثر استقبالاً للدين وأنسب وعاء للتعاليم الدينية وفهمها وأطوع للعمل بأحكام الشريعة ، بل يمكننا القول إن الجماعات البعيدة عن الفضيلة الأخلاقية ليست أقل استيعاباً للدين وحسب ، بل قد تكون سبباً في تشويه الفهم الديني ، فالأخلاق و العقلانية صنوان متلازمان ، ومثلما تُشكل العقلانية عاملاً مهماً في تهيئة بيئة مناسبة لتلقي الدين فكذلك البيئة الأخلاقية الفاضلة[٣٩] .

ومن الجدير بالذكر أن حملة الدين الذين اختارهم الله سبحانه لأداء رسالته إلى الناس كانوا أمثل الناس في الأخلاق وسلامة الفطرة ، مما له أثره الواضح في نفوس الناس لكونه منبهاً فطرياً على التصديق والاعتقاد بحقانية الدين[٤٠] .

ولكن من زاوية أخرى ، يمكننا اعتبار مسألة اصطفاء حملة الدين وقياداته أمراً تنتفع به الأخلاق الفاضلة ، ما دام الإصطفاء أمراً إلهياً ، وما دام أولئك المصطفون يحظون بالتسديد الإلهي ـ وبشكل خاص حسب عقيدة الإمامية بعصمة الأنبياء الأئمة (عليهم السلام) ، فالدين على هذا الأساس يوكل أمر التربية الأخلاقية للإنسان وتنمية ميوله الروحية إلى هذه القيادة المعصومة والمسددة تسديداً إلهياً ، ويكون الدين أيضاً قد وفّر نماذج القدوات الحسنة ، ولا تخفى أهمية القدوة الصالحة في الموضوع الأخلاقي ، فمن هذه الجنبة وبهذا اللحاظ تكون الأخلاق الفاضلة قد انتفعت من الدين[٤١] .

ويبدو لي أن قضية القدوة الصالحة هي أبرز القضايا التي يتضح معها ذلك التلازم القوي بين الأخلاق والدين ، كما يتضح معها تبادل الأدوار بينهما ، وتكامل تأثيرهما في بناء الأخلاق الفاضلة سواء أكانت في الفرد أم في المجتمع .

الخاتمة

إن البحث في طبيعة الصلة بين الأخلاق والدين وتخريجها على وفق اعتقادات تُشكل ركائز مهمة في البناء العقائدي الديني للإمامية ، يُوضّح اتساق منظومتهم الفكرية في نسق يُعطي للإنسان محورية مهمة في الخطاب الديني بوصفه الكائن الحرّ بإرادته والمعني الأول بالعناية الإلهية في إيصاله إلى الغاية السامية .

وقد اتضح من سطور هذا البحث كيف تكون المبادئ والقيم الإخلاقية منوطة بالإدراك العقلي للإنسان مستعيناً بفطرته الإنسانية التي وهبها الله سبحانه له ، ويمكن ذكر أهم الاستنتاجات:

١-قاعدة التحسين والتقبيح العقليين عقيدة مهمة عند الإمامية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصياغة مسائل العدل الإلهي وتتداخل معها .

٢-الأخلاق والدين تحكمهما علاقية تكاملية تبادلية ، بمعنى أن أحدهما يكمّل الآخر ويبادله المنفعة في طريق تحصيل الرقي الإنساني .

٣-لم تكن تلك العلاقة والصلة محددة في ضوء قاعدة التحسين والتقبيح العقليين وحسب ، بل هناك جملة من الاعتقادات الأخرى التي ترسم لنا طبيعة التكامل بينهما ، منها عقيدة أن للإنسان حياة أخرى يحياها ، وأنه بالنهاية يلقى جزاء أعماله في الحياة الأولى ، ومنها أيضاً عقيدة عصمة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ، والإيمان بأنهم أمثلة ومصاديق حقيقية لمفهوم الإنسان الكامل ، ومفهوم الأسوة الحسنة .

٤-يمثل الاعتقاد بالصلة بين الأخلاق والدين بهذا النحو عند الإمامية اتجاهاً رابعاً للاتجاهات الفلسفية المشهورة في هذا المجال .

وأخيراً يبدو لي أن تسليط ضوء البحث والدراسة على بيان هذه المسألة يفتح الأفق المعرفي لإمكانية صياغة نظرية أخلاقية خاصة تكون شاملة متكاملة تتبلور حول طبيعة هذه الصلة التي يمكن عدّها نواة لنظرية الإمامية في الأخلاق .

الهوامش :

١. القلم ، ٤

٢. ينظر : العسكري ، أبو هلال ، معجم الفروق اللغوية ، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٢ هـ ، ص٢٢٤ ، وأيضاً : الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب ، مفردات غريب القرآن ، ط٢ ، ١٤٠٤ هـ ، ص١٥٨ ، وأيضاً : الطريحي ، فخر الدين ، تحقيق أحمد الحسيني ، مجمع البحرين ، ج١، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ ، ص٦٩٢ ، وأيضاً : المدني ، أبو ضيف ، الأخلاق في الأديان السماوية ، ط١ ، دار الشروق ، ١٩٨٨ ، ص١٠ .

٣. ينظر : المدني ، أبو ضيف ، الأخلاق في الأديان السماوية ، ص٩ ـ ١٠ وأيضاً: الطريحي ، فخر الدين ، مجمع البحرين ، ج١ ، ص٦٩٣ .

٤. ينظر: العسكري ، أبو هلال ، معجم الفروق اللغوية ، ص٥١٠ ، وأيضاً : الأصفهاني ، الراغب ، مفردات غريب القرآن ، ص١٧٥ .

٥. ينظر : النشار ، أ . د. مصطفى ، مدخل جديد إلى فلسفة الدين ، ط٢ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ص١٩ وما بعدها .

٦ التهانوي ، محمد علي ، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج ، ط١ ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٦ ، ص٨١٤ .

٧. ينظر : السيستاني ، محمد باقر ، حقيقة الدين ، ط٢ ، ١٤٣٨ هـ ، ص ٢٣ و ٤١ .

٨. العنكبوت ، ٤٥ .

٩- ينظر : المفيد ، محمد بن محمد النعمان ، أوائل المقالات ، ط٢ ، دار المفيد ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٣ ، ص ٣٨ ، وأيضاً : المظفر ، محمد رضا ، عقائد الإمامية ، مؤسسة أنصاريان ، قم ـ إيران ، ص ٦٥ و ٧٦ .

١٠-ينظر : السبحاني ، جعفر ، رسائل ومقالات ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم ، ١٤١٩ هـ ، ص ٣٣ ، وأيضاً : السبحاني ، جعفر ، ترجمة جعفر الهادي ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ط١ ، مؤسسة الصادق (عليه السلام) ، قم ، ١٩٩٨ ، ص ٩٦ .

١١-ينظر : حلمي ، د . مصطفى ، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٤ ، ص٢٧ـ٣٠ .

١٢-ينظر : عبد الرحمن ، د . طه ، سؤال الأخلاق ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، الدار

البيضاء و بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٣١ .١٣ .

١٣- هو من أكابر فلاسفة العصر الحديث ، لم يكن ذا منهج تجريبي خالص ولا ميتافيزيقي خالص ، بل مزيج من كليهما ، وأراد أن يقيم الميتافيزيقا على أساس عقلي قابل للتحقق التجريبي ، لكنه لم يستطع الإبقاء عليها إلا من طريق الأخلاق . (راجع : بدوي ، د . عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج٢ ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ .) .

١٤- ينظر : كانت ، إمانوئيل ، الدين في حدود مجرد العقل ، ترجمة فتحي المسكيني ، ط١ ، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠١٢ ، ص ٤٥ و٤٨ و٤٩ و١٧٧ .

١٥- لاهوتي وفيلسوف مسيحي وأحد كبار آباء الكنيسة الكاثوليكية ، وُلد من أب وثني وأم مسيحية ، ولم يكن هو مسيحياً في بداية حياته ، وفي عام ٣٨٦ م تم تحوّله الروحي نهائياً واعتناقه المسيحية ، ثم تلقى تعميده سنة ٣٨٧ م (راجع : بدوي ، د . عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج١ ، ص ٢٤٧ ومابعدها .)

١٦- ينظر : حلمي ، د . مصطفى ، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ، ص١٩ ، وأيضاً : بدوي ، عبد الرحمن ، فلسفة العصور الوسطى ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٣٥ .

١٧- ينظر : الطويل ، د . توفيق ، أسس الفلسفة ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٣٥٧.

١٨-الأشاعرة هم المتكلمون الذين ذهبوا مذهب أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) ، وهو مذهب كلامي أسس له وأعلنه عام (٣٠٠ هـ) بعد أن كان معتزلياً ، وأصبحت الأشعرية اليوم مذهباً عقائدياً يتبناه طيف واسع من المسلمين . (راجع : مشكور ، د . محمد جواد ، ترجمة علي هاشم ، موسوعة الفرق الإسلامية ، ط١ ، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٥ ، ص ١٠٩) .

١٩- ينظر : السبحاني ، جعفر ، بحوث في الملل والنحل ، ج٢ ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ص ٣٦٠ وما بعدها .

٢٠- فيلسوف ومؤرخ إنكليزي ، كان ذا نزعة حسية مغالية تنتهي إلى الشك ، ويعتقد هيوم أننا لا نستطيع أن نؤسس الواجب الأخلاقي على مباديء موجودة في ذاتها . (راجع : بدوي ، د . عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج٢ ، ص ٦١١ و٦١٤ و٦١٧ .) .

٢١- ينظر : الخشت ، د . محمد عثمان ، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، ص٢٥ و٣٦ ، وأيضاً : مدين ، د . محمد محمد ، فلسفة هيوم الأخلاقية ، دار التنوير ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٨ ، ص١٠١ وما بعدها

٢٢-ينظر : القوشجي ، علاء الدين علي بن محمد ، شرح تجريد الكلام للمحقق الطوسي ، طبعة حجرية سنة ١٢٨٥ ، ص٣٣٢

٢٣-ينظر : المظفر ، محمد رضا ، أصول الفقه ، تحقيق صادق المراغي ، ط٢ ، منشورات العزيزي ، قم ،٢٠٠٧ ، ص ١٥٨ .

٢٤- ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٦١ وما بعدها .

٢٥-ينظر : السبحاني ، جعفر ، رسالة في التحسين والتقبيح ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم ، ١٤٢٠ هـ ، ص٢٧ ـ ٣٢ .

٢٦- ينظر : المظفر ، محمد رضا ، أصول الفقه ، ص ١٦٤ .

٢٧- ينظر : المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، وأيضاً : المظفر ، محمد رضا ، المنطق ، ط٣ ، دار التعارف ، ص٢٩٤ وما بعدها .

٢٨-ينظر : الحكيم ، محمد سعيد الطباطبائي ، المحكم في أصول الفقه ، ج٢ ، ط١ ، مؤسسة المنار ، ١٩٩٤ ، ص١٦٧ ـ ١٧١ .

٢٩-ينظر : المصدر نفسه ، ص١٦٩ .

٣٠- ينظر : المصدر نفسه ، ص١٦٣ ، وأيضاً : السبحاني ، جعفر ، رسالة في التحسين والتقبيح ، ص٤٨ .

٣١-ينظر : السبحاني ، جعفر ، رسالة في التحسين والتقبيح ، ص٥٢ .

٣٢ -ينظر : السيستاني ، محمد باقر ، إتجاه الدين في مناحي الحياة ، ط١ ، ١٤٣٨ هـ ، ص٩٧ .

٣٣ - ينظر : المصدر نفسه ، ص٩٠ .

٣٤-ينظر : المصدر نفسه ، ص٩١ .

٣٥-ينظر : المصدر نفسه ، ص٩٢ و٩٣ .

٣٦-ينظر : المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

٣٧-ينظر : المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

٣٨ . ينظر : المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

٩٢٣٩-ينظر : المصدر نفسه ، ص ٩٥ و ٩٦ .

٣٠-ينظر : المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

٣١ينظر : الصدر ، محمد باقر ، المدرسة الإسلامية ، ط١ ، ١٢٤١ هـ ، ص ٨٧ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب ، مفردات غريب القرآن ، ط٢ ، ١٤٠٤ .

٢. بدوي ، د . عبد الرحمن :

٣. فلسفة العصور الوسطى ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٤. موسوعة الفلسفة ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٥. التهانوي ، محمد علي ، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج ، ط١ ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٦ .

٦. الحكيم ، محمد سعيد الطباطبائي ، المحكم في أصول الفقه ، ط١ ، مؤسسة المنار ، ١٩٩٤ .

٧. حلمي ، د . مصطفى ، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٤ .

٨. الخشت ، د . محمد عثمان ، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم ، دار قباء للطباعة ، القاهرة .

٧. السبحاني ، جعفر :

٩. بحوث في الملل والنحل ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم .

١٠. رسائل ومقالات ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم ، ١٤١٩ ه .

١١. رسالة في التحسين والتقبيح ، ط١ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم ، ١٤٢٠ هـ .

١٢. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ترجمة جعفر الهادي ، ط١ ، مؤسسة الصادق عليه السلام ، قم ، ١٩٩٨ .

١٣. السيستاني ، محمد باقر :

١٤. إتجاه الدين في مناحي الحياة ، ط١ ، ١٤٣٨ هـ .

١٥. حقيقة الدين ، ط٢ ، ١٤٣٨ هـ .

١٦. الصدر ، محمد باقر ، المدرسة الإسلامية ، ط١ ، ١٤٢١ هـ .

١٧. . الطريحي ، فخر الدين ، تحقيق أحمد الحسيني ، مجمع البحرين ، ج١ ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ .

١٨. . الطويل ، د . توفيق ، أسس الفلسفة ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

١٩. . عبد الرحمن ، د . طه ، سؤال الأخلاق ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء و بيروت ، ٢٠٠٦ .

٢٠. . العسكري ، أبو هلال ، معجم الفروق اللغوية ، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٢ هـ .

٢١. . القوشجي ، علاء الدين علي بن محمد ، شرح تجريد الكلام للمحقق الطوسي ، طبعة حجرية سنة ١٢٨٥ .

٢٢. . كانت ، إمانوئيل ، الدين في حدود مجرد العقل ، ترجمة فتحي المسكيني ، ط١ ، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠١٢ .

٢٣. . المدني ، أبو ضيف ، الأخلاق في الأديان السماوية ، ط١ ، دار الشروق ، ١٩٨٨ .

٢٤. . مدين ، د . محمد محمد ، فلسفة هيوم الأخلاقية ، دار التنوير ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٨ .
٢٥. . مشكور ، د . محمد جواد ، ترجمة علي هاشم ، موسوعة الفرق الإسلامية ، ط١ ، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٥ .
٢٦. . المظفر ، محمد رضا :
٢٧. أصول الفقه ، تحقيق صادق المراغي ، ط٢ ، منشورات العزيزي ، قم ، ٢٠٠٧ .
٢٨. عقائد الإمامية ، مؤسسة أنصاريان ، قم ـ إيران .
٢٩. المنطق ، ط٣ ، دار التعارف .
٣٠. . المفيد ، محمد بن محمد النعمان ، أوائل المقالات ، ط٢ ، دار المفيد ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٣ .
٣١. . النشار ، أ . د. مصطفى ، مدخل جديد إلى فلسفة الدين ، ط٢ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ٢٠١٥ .

تقويم منهاج المواد الاجتماعية للمرحلة الابتدائية في ضوء التنمية المستدامة

Primary Social Textbooks Assessment in the Light of Sustainable Development

م.د. حسن محمد كاظم الجذيلي

Lectur. Dr. Hassan Mohammad Kadhim Al-Jatheili

م.د. علاء صالح عبيد

Lectur. Dr. `Ala Salh `Abeid

تقويم منهاج المواد الاجتماعية للمرحلة الابتدائية في ضوء التنمية المستدامة

Primary Social Textbooks Assessment in the Light of Sustainable Development

م.د. حسن محمد كاظم الجذيلي
المديرية العامة للتربية / كربلاء المقدسة

Lectur. Dr. Hassan Mohammad Kadhim Al-Jatheili
General Education Directorate of Karbala

م.د. علاء صالح عبيد
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية / قسم الدراسات القرآنية

Lectur. Dr. `Ala Salh `Abeid
University of Karbala / College of Islamic Sciences / Dept of Quranic Studies

Hassenaljadhili@gmail.com
alaa.alasady83@gmail.com

تاريخ الاستلام: ١٤/ ٣/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ٧/ ١/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق مبدأ التنمية المستدامة في المجتمع، وهذا أمر لا يتم إلّا بتعريف المجتمع بهذه المفاهيم وأقرب الطرق إلى هذا وأوسعها هي المناهج الدراسية . وقد أُعدّت هذه المناهج في الحقب الماضية على نحو لا يراعي هذا المبدأ، وهذا ما سعى البحث إلى بيانه بتحديد مدى تضمين مفاهيم التنمية المستدامة والمجالات المرتبطة بها في كتب الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية في العراق.

ولتحقيق هدف البحث اتبع الباحثان المنهج الوصفي من طريق أسلوب تحليل المحتوى لكتب الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية عينة الدراسة، كتب (الصف الرابع والصف الخامس، والصف السادس)، على وفق المعيار المعتمد (مبدأ التنمية المستدامة ومجالاته) في عملية تحليل المحتوى الذي تم التحقق من صدقه من خلال عرضه على مجموعة من الخبراء في مجال طرائق تدريس العلوم الاجتماعية والقياس والتقويم، وكذلك تم التحقق من ثبات تحليل المحتوى عبر إعادة التحليل فبعد تحليل كتب الاجتماعيات للصفوف الرابع والخامس والسادس وظهور النتائج الأولية، جاءت نتائج الثبات من تحليل الكتب نفسها للمرة الثانية بعد مرور مدة أربعة عشر يومًا على الإجراء الأول، وكانت درجة التطابق كبيرة إذ وصلت إلى (٩٣٪) بين نتائج التحليل الأول والتحليل الثاني، وهذه نسبة جيدة ويمكن الوثوق بها من حيث قبول النتائج.

وبعد ترتيب البيانات وتبويبها ومعالجتها إحصائيًا توصل الباحثان إلى الآتي:

- لم يرد في كتب العينة مصطلح التنمية المستدامة على نحو مباشر، على الرغم من أن موضوعاتها غنية بأبعاد هذا المبدأ.
- وردت الأبعاد في موضوعات هذه الكتب بنسبة تضمين (٩ , ٥٪)؛ إذ كشف عن (٥٣) مفهومًا، بارتباط غير مباشر لكن بصلة علاقة معرفية متداخلة مع مبدأ التنمية

في ثلاث مصفوفات ترتبط بأبعاد مبدأ التنمية المستدامة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية (الطبيعية).

وتبيّن أن كتاب الصف الخامس يشتمل على٢٣ مفهومًا بطريقة غير مباشرة بنسبة ٦ , ٨٪ من جملة مفاهيم الكتاب، على حين تضمن كتاب الصف الرابع ٢٠ مفهومًا بنسبة ٣ , ٥٪ من المفاهيم الواردة في الكتاب، اما كتاب الصف السادس فقد تضمن ١٠ مفاهيم بنسبة ٧ , ٣٪ من جملة المفاهيم الواردة فيه.

وفي ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، أوصى الباحثان بالآتي:

١-اعتماد مبدأ التنمية المستدامة في إعداد المناهج الدراسية.

٢-مراجعة هذه المناهج دوريًا بما يوافق التطورات الحاصلة في مبدأ التنمية المستدامة.

٣-اعتماد مبدأ التنمية المستدامة في انتقاء موضوعات محتوى المناهج الدراسية فيُثبّت منها ما يحقق هذا المبدأ، ويُستَبعد منها ما لا يحققه (اختيار ما يمكن توظيفه من الموضوعات فقط).

٤-معالجة أبعاد التنمية المستدامة ضمن المناهج الدراسية على نحو متساوٍ وملائم للفئة العمرية المستهدفة، ومستوفٍ لكل هذه الأبعاد.

٥-إعداد القائمين على تدريس المناهج الدراسية إعدادًا يحقق الأهداف المرجوة.

٦-البحث في التراث الإسلامي ولا سيّما في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة، وروايات أهل البيت (ع)، واستخلاص مواطن الحث على مفاهيم التنمية المستدامة وأبعادِها.

٧-النظر في منهجية القرآن الكريم، واستجلاء الطريقة التي يعرض فيها الأخبار والأحكام والتشريعات وهي طريقة لا تخفى عنايتها بمبدأ التنمية المستدامة.

٨-الإسهام الفاعل في تطوير الفهم العالمي لمبدأ التنمية المستدامة بما ينتج عن البحث في تراثنا الإسلامي الثرّ.

Abstract

The present research study aims to achieve the principle of sustainable development in a society and not as defined by the community in the broadest way. The curricula that is developed in the past periods does not take into account such a principle, and this is what the research study seeks to determine; the concepts of sustainable.

To achieve the objectives of the study , the researchers follow a descriptive approach in analyzing the content of the social textbooks for the elementary stage to be the study sample ; grade 4, grade 5 and grade 6 according to the approved criterion (principle of sustainable development and its fields) in analyzing the content . The results are consistent with the analysis of the same books for the second time after fourteen days of the first procedure. The degree of congruence is significant, 93%, in the results of the first analysis and the second analysis. This is a good and reliable percentage in terms of acceptance.

After arranging, categorizing and processing the data statistically, the researchers reach the following points:

The sample does not mention the term sustainable development directly, although its themes are rich in the dimensions of this principle.

The dimensions of the topics of these books are included by (5.9%); 53 concepts are revealed, but indirectly related to the relationship of knowledge with the principle of development in three matrices linked to the dimensions of the principle of sustainable social, economic and environmental development.

The fifth grade book contains 23 indirect concepts by 8.6% of the concepts of the book, while the fourth book contains 20 concepts of 5.3%, while the sixth grade book includes 10 concepts; 3.7%.

In light of the findings of the study, the researchers recommend:

1. Adopting the principle of sustainable development in the preparation of curricula.
2. Reviewing these curricula periodically to reflect the developments in the principle of sustainable development.

3. Adopting the principle of sustainable development in the selection of subjects with curriculum that proves the achievement of this principle, and excluding what does not achieve (select what can be employed from the topics only).
4. Addressing the dimensions of sustainable development in the school curricula in an equal and appropriate manner for the control group, age.
5. Preparing those who teach the curriculum to achieve the desired goals.
6. Searching the Islamic heritage, especially the Qur'an, the noble prophetic traditions, and the legacy of Ahlalbayt to draw the attention to the concepts and dimensions of sustainable development.
7. Considering the methodology of the Glorious Quran, and clarifying the way in which the narratives, judgments and legislation are quite manifest to show the principle of sustainable development.
8. Contributing effectively a global understanding of the principle of sustainable development to the Islamic heritage.

الفصل الاول

التعريف بالبحث

المقدمة:

إنَّ ما تقاسيه الشعوب اليوم، ولا سيّما في البلدان النامية، من تدهور اقتصادي وسياسي وصحي واجتماعي، يضع على عاتق المؤسسات التربوية والتعليمية عبئًا كبيرًا، لا تستطيع أن تعتذر عن النهوض به؛ ذلك أن كثيرًا من أسباب هذا التدهور إنما ينتج عن قصور هذه المؤسسات عن القيام بواجبها على النحو الأمثل في مرحلة ما، إذ كان همّها تزويد المتعلّم بأكبر قدر ممكن من المعلومات التي وإن نجح في حفظها لا يستطيع الاستفادة منها في حياته اليومية وبناء شخصيته وتكوين فكرة كلية للحياة من حوله؛ فلا المنهج المقرر معدّ بطريقة تمكن المتعلم من هذه الاستفادة، ولا المعلم القائم بعملية التعليم ملاحِظ لها، فهو، أي المعلم، لم يُعدَ الإعداد الصحيح، وفي خضم كلّ ذلك صارت الأجيال مسطّحة ساذجة لا تميز الخطأ من الصواب، وصار استغلالها في تحقيق مكاسب شخصية وسياسية واقتصادية أمرًا في غاية البساطة.

إنّ على المؤسسات التربوية والتعليمية، إذا ما أرادت القيام بواجبها المحوري، أن تعتمد مبدأ التنمية المستدامة في إعداد المناهج الدراسية، وأن تقوم بتأهيل المعلمين لتدريس هذه المناهج على الوجه الذي يحقق الأهداف المرجوة بما يضمن إكساب المتعلم معرفة تمكّنه من الاستفادة القصوى من الموارد المتاحة دون المساس بحق الأجيال القادمة(harris،١،٢٠٠٢-١٠).

وإن كانت التنمية المستدامة جديدة على المجتمعات العربية في اصطلاحها فهي أثيلة فيها بمفهومها؛ إذ تواترت، في تراثنا الإسلامي، الإشارات التي تدعو إلى الإفادة كل

الإفادة ممّا وهب الله تعالى ولكن على نحو منظّم يكفل للجميع الإفادة منه، فآيات كتاب الله الكريم ذكرت هذه المفاهيم مثلما في قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف٣١)، وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأنعام١٤١)، وقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (يوسف:١١١)، وأقوال رسول الله (ص) تشير إلى هذا السلوك الإنساني الممدوح؛ إذ قال (ص): «كلوا واشربوا وتصدّقوا في غير إسراف ولا مخيلة»، وكذلك الأمر في الروايات الواردة عن أهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين).

أولا: مشكلة البحث:

يجد الراصد للأوضاع السياسية والاجتماعية بضمنها الدينية والاقتصادية بل حتى البيئية خللًا بيّنًا يجعل من فكره معتركًا لأسئلة جوهرية تبحث عن إجابات علمية عملية ناجعة ربما تجتمع جميعها في جواب واحد هو قصور مناهج التربية والتعليم عن القيام بوظيفتها التي تتمثل في بناء المجتمع وإعداد أفراده على نحوٍ يضمن انخراطهم في حياة سليمة تتصف بالالتزام بالأعراف والقوانين والمبادئ يُترجم في التعايش السلمي والاستثمار الأمثل للموارد والحفاظ على ثروات البلد وحق الآخرين في الاستفادة منها، وضمان ديمومتها للأجيال القادمة.

بإزاء هذا نحن مطالبون اليوم ـ إذا ما رُمنا تصحيح المسار وتحقيقة التنمية الشاملة ـ بإعادة النظر في المناهج التربوية وتحديد مواطن الخلل فيها واقتراح الحلول الرصينة التي لا تقدح في تراث الأمة وتواكب ما انتهى إليه العلم والتطور التكنلوجي.

كل ذلك يتحقق من وجهة نظرنا في اعتماد مبدأ التنمية المستدامة في بناء وإعداد المناهج الدراسية عامّة ومناهج الاجتماعيات على وجه الخصوص.

إذ إنّ منهج الاجتماعيات الخاص بالمرحلة الابتدائية (الصفوف الرابع والخامس والسادس) يفتقر إلى توظيف مفاهيم التنمية المستدامة وأبعادها، للتأكد من إكساب التلاميذ الاتجاهات الإيجابية تجاه الحياة لينتهي بنا الأمر إلى مجتمع متكامل متماسك متعاون.

ومن ثمّ فإن مشكلة البحث تتجسد في سؤال ديناميكي هو ما مدى تحيقيق مناهج الاجتماعيات لمفاهيم التنمية المستدامة وأبعادها؟

وهو سؤال تتطلب الإجابة عنه الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١ ـ ما المفاهيم والأبعاد الملائمة لمنهج الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية؟

٢ ـ ما نسبة تضمين هذه المناهج لمفاهيم التنمية المستدامة وأبعادها؟ وما أسباب التفاوت في هذه النسبة إن كان ثمة تفاوت؟

٣ـ ما الطريقة المعتمدة لتضمينها؟ وما الطريقة الأمثل لذلك ؟

ثانيا–أهمية البحث:

تتحمل المؤسسات التربوية مسؤولية تأهيل الأجيال لمواجهة التحولات المتواصلة في حياة الإنسان (عطية، ٢٠٠٩: ٢٧٤)؛ فالتربية هي الأداة الفاعلة في تنمية المجتمع وتطوير سلوك أفراده وتفكيرهم وتكوين الاتجاهات الايجابية نحو الحياة بوجه عام (زيدان، ٢٠٠٧: ٢٧).

ومن ثم فهي التي تصنع الحياة والحضارة وتعدّ الإنسان وتبني مجتمعه، فمن طريقها يستلهم أبناء المجتمع مصادر معارفهم، وتنمية شخصياتهم للوصول بهم في مراحل التعليم والمستويات المعرفية جميعها إلى أعلى درجة من التحصيل الدراسي والقدرة على التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي (نصر الله ،٢٠٠٨: ١٥).

وقد أكدت الدراسة التي أعدتها اليونسكو (تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين) التي عُرفت بتقرير (JACQUES DELOR) تحت عنوان (التعلم! ذلك الكنز المكنون) موقع التربية الرائد والأساسي في تقدم المجتمعات ورقيها في المجالات التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ولا سيما بناء القوى البشرية والتنمية الذاتية والمستمرة والمستدامة (العبد لله،٢٠٠٤ :٢١) (التميمي، ٢٠١٠:٢).

لذا يجب علينا أن نتأمل في واقعنا التربوي؛ فنتساءل: ماذا نريد أن نحقق؟ هل نريد حقاً نظاماً تعليمياً يواكب متطلبات العصر ويرسم المستقبل باعتماد مبدأ التنمية المستدامة؟ أو نظاماً تعليمياً يؤهل التلاميذ للنجاح في الامتحانات؟

ولا يُتوقع أن يكون الجواب بالشق الثاني من السؤال، من ثمّ فنحن ملزمون بالنهوض بالمناهج وتخطيطها وتطويرها فهي عملية جوهرية تتم في ضوء قيم فلسفية واجتماعية وسياسية وحضارية مستمدة من المجتمع الذي تخدمه المؤسسة التربوية ومن تطلعات البيئة وحاجتها ومتطلبات تنميتها ومن علاقة المجتمع بالمجتمعات الأخر والعالم (العبد لله ،٢٠٠٤ :٣٥).

فالمناهج الدراسية هي الترجمة العلمية لأهداف التربية وخططها واتجاهاتها في كل مجتمع، ولما كانت التربية قد تطورت من حيث مفهومها وأهدافها ووظيفتها فلابد أن يمتد التطور إلى وسائلها التي يعد المنهج أهمها.

وفي ضوء التغيرات السريعة، التي تمثل الاستهانة بالروح البشرية وإزهاقها واستعبادها، بقصد القربة إلى الله، وهدر الموارد وتبديد الثروات، وإحداث إضرار بالبيئة أهم سماتها، لا نجد بدًّا من الاهتمام بالمواد الدراسية عامّة والاجتماعية منها ـ على وجه الخصوص ـ لأثرها المفصلي في مساعدة الأجيال على مواجهة هذه التغيرات وعدم الانجرار إلى مثيلاتها، ومنع تكرارها؛ فمواد الاجتماعيات تمثل محورًا تتمحور حوله حياة الإنسان وما ينتابها من أحداث (Khan،٢٠٠٤;٢٢٥).

ومن ثم فلا يمكن الوصول إلى الأهداف المرجوة إلّا بتضمين المناهج المفاهيم التي تكسب التلميذ المهارات الحياتية السليمة (Kaushik ،٢٠٠٢:٧٥)، وهذا بحسب اعتقاد الباحثين عين ما تتكفله التنمية المستدامة بمفاهيمها وأبعادها.

وتتجلى أهمية الدراسة بالآتي:

١-إلفات النظر إلى هذا الجانب المغيب في إعداد المناهج؛ فهي دراسة جديدة في موضوعها وطرحها على مستوى القطر.

٢-إيجاد حيز دراسي يمكّن الباحثين من قراءة التراث الديني والمعرفي في ضوء مفاهيم التنمية المستدامة وأبعادها.

٣-وضع يد المتخصص بإعداد المناهج على مواطن الخلل فيها.

٤-تحفيز الباحثينَ وإثارة اهتمامهم بإجراء دراسات منهجية تتمثل بتضمين مفاهيم التنمية المستدامة في مناهج معينة.

٥-تقديم جملة من مفاهيم التنمية المستدامة بحسب أبعادها بما يتلاءم مع المرحلة العمرية لتلاميذ المرحلة الابتدائية.

٦-تقديم نماذج تطبيقية تتعلق بدمج مفاهيم التنمية المستدامة في منهج الاجتماعيات.

٧-أهمية مادة الاجتماعيات لتلاميذ المرحلة الابتدائية لأنها تمثل مرحلة بناء الشخصية.

ثالثاً: أهداف البحث:

الهدف الديناميكي للبحث هو التعرف إلى مدى تحقيق مناهج الاجتماعيات لمفاهيم التنمية المستدامة وأبعادها؟

وتتفرع منه الأهداف الفرعية الآتية:

١ ـ تحديد المفاهيم والأبعاد الملائمة لمنهج الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية؟

٢ ـ التعرف إلى نسبة تضمين كتب الاجتماعيات للصف الرابع والخامس والسادس الابتدائي لمفاهيم التنمية المستدامة وأبعادها؟ وأسباب التفاوت في هذه النسبة إن كان ثمة تفاوت؟

٣ـ التعرف إلى الطريقة المعتمدة لتضمينها؟ وما هي الطريقة الأمثل؟

رابعاً: تحديد المصطلحات:

أولاً: التقويم: هو عملية اصدار حكم على مجموعة من البيانات بعد تحليلها وتفسيرها بخصوص موضوع معين. (Bigg;١٩٩٢،p٦)

التعريف الإجرائي: إصدار حكم على محتوى كتب المواد الاجتماعية للصفوف الرابع، والخامس، والسادس من المرحلة الابتداتية في ضوءالتنمية المستدامة.

ثانياً: مناهج المواد الاجتماعية: هي الترجمة العلمية لأهداف التربية وخططها واتجاهاتها في كل مجتمع، أي مجموعة الخبرات التربوية العلمية والاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية التي تهيئها المدرسة لطلابها ليقوموا بتعلمها داخل المدرسة او خارجها بهدف مساعدتهم على النمو الشامل، ومواكبة عالم متغير وإكسابه القدرة والمهارة ومده بالدافعية التي تجعله يستزيد من المعارف في عصر اتساع المعرفة (الجاويش ،٢٠٠٨ :٩).

التعريف الإجرائي: وسيلة تربوية تعليمية يمكن من خلالها نقل الخبرات إلى الناشئة

وإكسابهم المعارف والمهارات الحياتية في ضوء التنمية المستدامة وأبعادها بما يحقق رؤية السياسة التربوية في بلدنا العراق الحبيب.

ثالثاً: المرحلة الابتدائية: وهي المرحلة التي تتكون من ستة صفوف ابتداءً من (الصف الأول –الصف السادس) ويتم فيها تسجيل التلاميذ في سن السادسة. (وزارة التربية العراقية،٢٠٠٩)

رابعاً: تعريف التنمية المستدامة:

«عملية متكاملة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية، تهدف إلى تحقيق التحسن المتواصل لرفاهية كل السكان وكل الأفراد، والتي يمكن عن طريقها إعمال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية» (الأمن والحياة: ٥٧)

وتعدّ أساسًا تبنى عليه السياسة التربوية للبلد ابتداءً بعملية إعداد المناهج وانتهاءً بعملية توظيف عامل الحديقة في المدرسة، مع الحرص على المواكبة والمسايرة لتطور الفهم العالمي للتنمية المستدامة ومجاراته وتعزيزه بما انطوت المنظومة الفكرية الإسلامية وأبعادها القيمية.

التعريف الاجرائي: مفاهيم مباشرة وأبعاد محددة ترتبط بها، يُختار في ضوئها محتوى مناهج المواد الاجتماعية وصياغته على نحوٍ يضمن تحقيق الاستفادة الكاملة من هذه المفاهيم وترجمة حقيقية لهذه الأبعاد بما يتلاءم مع بيئتنا العراقية.

خامساً: حدود البحث:

١ – كتب مادة الاجتماعيات للصفوف الرابع والخامس والسادس في المرحلة الابتدائية في جمهورية العراق التي تدرس للعام ٢٠١٧–٢٠١٨م. والجدول (١) يوضح محتوى كتب عينة البحث.

٢ – قائمة تشتمل على عدد من مفاهيم التنمية المستدامة والابعاد المرتبطة بها على وفق العلاقة بين التعليم والتنمية المستدامة وابعادها.

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

اولاً: مفهوم التنمية المستدامة:

تمثل التنمية المستدامة في بعدها الابستمولوجي رغبة جامحة لدى الأمم لضمان أمرين: أحدهما استمرارية الجنس البشري، والآخر: توفير حياة أفضل للأجيال القادمة؛ ذلك أنّها ـ أي التنمية المستدامة ـ تنمية اقتصادية وبيئية واجتماعية على نحو يلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الرئيسة، مثلما قدمها تقرير اللجنة العالمية الذي نُشر عام ١٩٨٧م الذي حمل عنوان «مستقبلنا المشترك (Ourcommon future)».

هذه الرغبة في تحقيق العدالة بين الأجيال أصابها الفتور ولم يتم إنعاشها إلا بعد انعقاد مؤتمر ريو دي جانيرو المصطلح (ريو + ٢٠) الذي أكد أهمية التنمية المستدامة وضرورة وضعها نصب أعين صناع القرار السياسي والاقتصادي والبيئي بأن يجعلوا العلاقة بين الطبيعة والمجتمع في الاعتبار، وأن يراعوا الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والبيئية في رسم السياسات وسن القوانين.

في إطار ذلك حددت الأمم المتحدة الأهداف الرئيسة لتحقيق التنمية المستدامة في خطتها التي قدمتها في ٢٠١٢م ويستمر تطبيقها حتى عام ٢٠٣٠م التي استهلتها بعقد مؤتمر (ريو +٢٠) واستتبعته بجملة إجراءات منها هذه الأهدالف التي تتمثل في:

١ـ البشر: رفاهية كل إنسان.

٢ـ الكوكب: حماية نظم الأرض الايكولوجية.

٣ـ الرخاء: النماء الاقتصادي والتكنولوجي المستمرين.

٤ـ السلام: حفظ السلام.

٥ـ الشراكة: تنمية التعاون الدولي.

وأكدت أهمية أن تكون سمة الاستقلالية هي السمة الغالبة على آلية تحقيق هذه الأهداف الخمسة، وأن توضع في بوتقة واحدة وتُقدم في مناهج شاملة لتكون نتائجها متكاملة.

وقد ظهر مفهوم «التنمية المستدامة» على نحو صريح في بلدنا العراق بعد عام ٢٠٠٣ وكان يتداول في إطار ضيق يقتصر على جملة من المثقفين والتكنوقراط الذين لم يحسنوا الترويج له فهولوا هذا المفهوم، على نحو غير مدروس، في وسائل الإعلام وبعض الوثائق الرسمية كوثيقة «استراتيجية تطوير القطاع الخاص(٢٠١٤-٢٠٣٠) الصادرة عن هيأة المستشارين في مجلس الوزراء.

ولحداثة هذا المفهوم ولعدم تقديمه على نحو علمي ولربما المعرفة السطحية لهؤلاء المتصدين لتسويقه؛ لم تكن النتائج توازي الحاجة الماسة لتطبيق هذا المنهج في الحياة العملية.

العلاقة بين التربية والتعليم والتنمية المستدامة:

لما كانت التنمية المستدامة تعني فيما تعنيه تحقيق معدلات من التنمية في الموارد المتاحة بما يتجاوز معدل النمو السكاني على نحو يؤدي إلى توفير الاحتياجات الرئيسة للأجيال القادمة من هذه الموارد، وأنّ هذا يستدعي أن يكون المجتمع على معرفة دقيقة بأهمية هذا الأمر وخطورة تجاهله، وجب أن تتكفل المؤسسات التربوية والتعليمية في البلد بمهمة توعية الأجيال عبر إعداد مناهج قائمة على تبني هذا المفهوم بوصفه أسلوبًا تربويا يوجه المتعلمين باتجاه تحقيق أهداف هذا المفهوم(علي، ٢٠٠٧: ١١).

والشكل القمعي في الأسفل، شكل(٣) يبين العلاقة بين التربية والمجالات الأخر التي تظهر في صورة حتمية تأتلف في العقل الجمعي للمتعلمين بما يضمن تحقيق أهداف التنمية المستدامة:

العلاقة بين التربية ومجالاتها

ولعل ما يُحزن أن المطالبة بتحقيق التنمية المستدامة ممثلة بأهدافها الرئيسة لم تصدر عن المنظرين الاجتماعيين وراسمي السياسات التربوية، وإنما صدرت عن رجال أعمال وسياسيين في مؤسسات مثل: (الأمم المتحدة، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، ومنظمة الولايات الأمريكية) تنبهوا على خطورة المسلك الذي تسلكه البشرية الذي يمكن أن ينتهي إلى نهاية أخف ما يقال عنها أنها غير متوقعة النتائج.

ويرى الباحثان أننا إذا ما أردنا أن نحقق أهداف التنمية المستدامة فإننا سنضطر إلى المواءمة بين كيان قائم له أسسه ومبانيه وينتهي إلى معطيات ومخرجات ونعني به هنا النظام التربوي التعليمي السائد، ورغبة عارمة في تحقيق العدالة الإنسانية بضمان تمتع الأجيال القادمة بالموارد المتاحة من دون المساس بحاجة الشعوب الحالية، ونعني بها التنمية المستدامة.

هذه المواءمة تستدعي أن يكون المتصدي على درجة من المعرفة والقدرة التي تمكنه من إعادة بناء المناهج التربوية في ضوء هذا المفهوم والأبعاد التي تمثله، وإن كانت المناهج التربوية عامة تمثل ميدانا لمن يريد أن يحقق التنمية المستدامة في المجتمع، فإن مناهج الاجتماعيات تمثل نقطة الانعطاف في مسار التربية بهذا الاتجاه (دويكات،٢٠٠٠ :١).

ولتفادي الوقوع في الإشكاليات التي قد تنتج عن هذه المواءمة إن صدرت على نحو مرتجل أو عشوائي وجب على المتصدي أن يجري كشفًا يتعرف من خلاله

مدى تمثل المناهج القائمة الآن لهذه الأبعاد والأهداف؛ ليتمكن من بناء يستند إلى قائمة من المعطيات التي تشمل الإخفاقات والآليات والبدائل الممكنة.

دمج مفاهيم التنمية في منهاج الاجتماعيات

أبعاد التنمية المستدامة

يجد دارس مفهوم التنمية المستدامة مصطلحات من مثل أهداف وأبعاد، ولعل الفرق بينهما بيّنٌ، فالهدف في أبسط تعريفاته يتمثل في عبارات تصف الأداء المتوقع الذي يسعى واضعه إلى تحقيقه في ضوء الإمكانيات المتاحة أو المرصودة، أما مصطلح الأبعاد فيعني: التمظهرات المتنوعة للمفهوم المعيّن، ومن ثمّ

فمثلما أن للتنمية المستدامة أهدافا فإن لها أبعادا تشكل كينونتها المفهومية. وقد كانت لجنة التنمية المستدامة المنبثقة عن قمة الأرض قدمت مؤشرات للتنمية المستدامة وصلت إلى ١٣٠ مؤشرًا صنفتها في أبعاد أربعة رئيسة: اقتصادية واجتماعية وبيئية وتقنية، وسنقتصر هنا على الأبعاد التي يمكن تضمينها في مناهج الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية، وذلك عبر ذكر مؤشراتها، التي حددها الباحثان استنادا إلى الأسس المعرفية المتمثلة بأعمال اليونسكو بشأن التنمية المستدامة، والتراث الإسلامي.

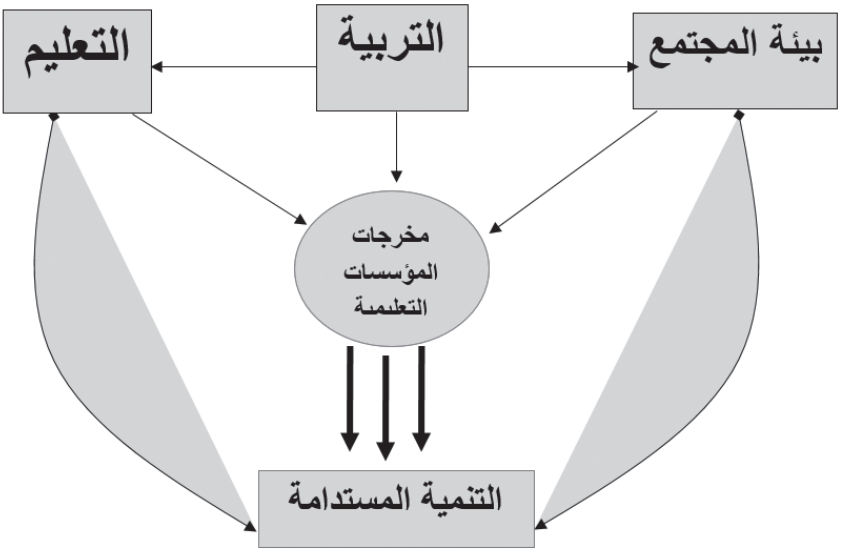

البعد الاجتماعي:

١ـ تحسين نوعية الحياة في الأحياء المتخلفة.

٢ـ التخفيف من أوضاع الفقر وحدوثه.

٣ـ تحقيق المساواة والعدالة في توزيع الموارد بين الأجيال.

٤ـ الاستثمار في القدرات البشرية.

٥ـ تثبيت مكارم الأخلاق والسلوك الحسن.

٦ـ المشاركة الشعبية في التخطيط للتنمية.

٧ـ تنمية الريف للحد من هجرة السكان إلى المدن.

٨ـ تأكيد الروابط الأسرية، والاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة وطاعة الوالدين.

٩ـ الحروب والجرائم وما يترتب عليها من تدهور اجتماعي واستخلاص العبر منها.

١٠ـ الحد من المنازعات الدينية والعرقية، ودعم التعايش السلمي والأمن المجتمعي.

١١ـ احترام حقوق الإنسان.

١٢ـ توفير الرعاية الصحية.

١٣ـ احترام القوانين والتشريعات.

١٤ـ حماية التراث الحضاري والطبيعي.

١٥ـ غرس روح حبّ الوطن والدفاع عنه.

١٦ـ نشر الوعي الثقافي.

١٧ـ بيان أهمية العلم وأثره البالغ في تقدم الشعوب وتطورها (الهيتي،٢٠٠٩ :٢١).

البعد الاقتصادي:

١ـ تغيير أنماط الإنتاج والنمو لصالح البيئة.

٢ـ إتقان العمل يؤدي إلى وفرة الإنتاج وغزارته.

٣ـ تحقيق التكامل بين برنامج التصنيع المحلي وبرنامج التصدير.

٤ـ الاستهلاك غير الرشيد لمصادر الطاقة غير المتجددة يعمل على إنهائها.

٥ـ قيمة أي مورد من الناحية الاقتصادية تتحدد في ضوء العرض والطلب في المجتمع.

٦ـ انتشار المصانع في الأماكن السكنية يؤدي إلى تلوث الهواء والتلوث السمعي والبصري.

٧ـ التوسع في مجال الاعتماد على الطاقة النظيفة المتجددة كالطاقة الشمسية والطاقة المائية وطاقة الرياح.

٨ـ التنمية السياحية.

٩ـ استثمار الموارد الطبيعية في البيئة يسمح باستمرار استخدامها لمنفعة أكبر عدد ممكن من الأجيال.

١٠ـ اقتصاد المعرفة.

١١ـ استثمار مدخرات الناس في المشروعات المنتجة.

١٢ـ تشجيع ودعم عمليات إعادة تدوير النفايات.

١٣ـ استخلاص منتجات النسق البيئي كما في الزراعة، والصيد، والاحتطاب بدون الإضرار برأس المال الطبيعي (فطائي،٢٠٠٦: ١٥).

البعد البيئي:

١ـ دور التربية البيئية والوعي البيئي في الحث على الالتزام بالسلوك البيئي الصحيح.

٢ـ استثمار الموارد الطبيعية في البيئة يسمح باستمرار استخدامها لمنفعة أكبر عدد ممكن من الأجيال.

٣ـ النظام البيئي وحدة بيئية متكاملة متفاعل بعضها مع بعض.

٤ـ البيئة الطبيعية نادرا ما تعوض عند تعرضها للاعتداء والتخريب.

٥. ينشأ اختلال التوازن البيئي نتيجة لتدخل الإنسان المباشر

في تغيير ظروف البيئة.

٦ـ معدلات استخدام الموارد المتجددة يجب أن لا تتجاوز معدل إعادة تجديدها وبنائها ثانية.

٧ـ المحميات الطبيعية من أنجح الأساليب المتخذة للحفاظ على الحياة البرية من الانقراض.

٨ـ عوامل التلوث البيئي وأسبابه.

٩ـ التغير المناخي.

١٠ـ تنظيم عملية الصيد والمحافظة على الكائنات البرية والبحرية.

١١ـ محاربة إزالة الغابات.

١٢ـ محاربة التصحر والجفاف.

١٣ـ دورة الغذاء تتشكل من التفاعل بين الكائنات الحية وبيئتها غير الحية.

١٤ـ حرق النفايات ومنشآت تربية الدواجن والأبقار يؤثر سلبا على الإنسان.

١٥ـ البيئات عديدة ومتنوعة.

١٦ـ تعتبر وسائل النقل المختلفة التي تستخدم الوقود مصدرا رئيسا في تلوث هواء

المدن والتلوث الضوضائي.

١٧ـ التطور الصناعي يؤدي إلى إلقاء الكثير من المخلفات الضارة على الأرض والماء والهواء.

١٨ـ إنشاء وحدات تابعة لكل مصنع تقوم بمعالجة النفايات.

١٩ـ تمويل حماية البيئة (عبود،٢٠١٣: ١٦٢).

ثانياً: الدراسات السابقة

●دراسة (طويل، ٢٠١٣)

أجريت هذه الدراسة في الجزائر \ جامعة محمد خضير \ كلية العلوم،» وهدفت إلى تحليل محتوى كتب التعليم المتوسط لمعرفة ما تتضمنه من توجيهات قيمة ومنطلقات الجاجة الملحة لمفاهيم التربية البيئية من اجل التنمية المستدامة».

استعمل الباحث منهج تحليل المضمون لمعرفة المواد المقروءة في الكتب المدرسية لمرحلة التعليم المتوسطة، وتوصلت الى النتائج الاتية:

▪لا وجود لتخطيط في ادماج القيم في مجالات المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والبيئية للتنمية المستدامة.

▪لم تراع الأولوية في تضمين مفاهيم تناول التوجيهات القيمية لمفاهيم التنمية المستدامة في مناهج التعليم المتوسط.

▪ظهور مفاهيم التنمية المستدامة بصورة متناقضة، يتوقع انه لا يخدم المتعلم والمجتمع في المستقبل، لانه سيعجز في توظيف حصيلته المعرفي في حياته الاجتماعيةو حل مشكلاته (طويل،٢٠١٣).

●دراسة (إبراهيم ،٢٠١٤):

طبقت الدراسة في السودان في كلية علوم الجغرافيا والبيئه، جامعة الخرطوم،

وهدفت إلى تعرف مدى تضمين كتب الجغرافيا في التعليم العام الثانوي مفاهيم التنمية المستدامة، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي باستعمال أسلوب تحليل المحتوى. وتوصلت للنتائج الآتية:

- هنالك قصور واضح في محتوى كتب الجغرافيا بالمرحلة الثانوية من حيث تضمين مفاهيم التنمية المستدامة والسبب يعود لضعف تخطيط الكتب أساسا وفق مرئيات تسهم في ادراج تلك المفاهيم.
- يجب ان تكون مناهج المرحلة الثانوية بعيدة عن التلقين وامتلاك المعرفة الثابتة. (إبراهيم، ٢٠١٤).

ثالثا: مناقشة الدراسات السابقة والإفادة منها

هدفت الدراسات السابقة الى تحليل محتوى كتب المرحلة المتوسطة على وفق مبدأ التنمية المستدامة، ومن اهداف البحث الحالي تحليل كتب الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية في ضوء التنمية المستدامة ومجالاتها، واستعملت الدراسات السابقة المنهج الوصفي باستعمال أسلوب تحليل المحتوى وهو الأسلوب نفسه المتبع في البحث الحالي، أفاد الباحثان من الدراستين السابقتين في وضع تصور لإجراءات تطبيق البحث والافادة من مصادرها في تحقيق اهداف البحث الحالي.

الفصل الثالث

منهج البحث وأدواته:

منهج البحث:

في ضوء ماهية البحث وأهدفه لم يجد الباحثان بُدًا من اعتماد المنهج الوصفي من طريق أسلوب تحليل المحتوى (Content analysis) وهو أسلوب بحثي يستهدف وصف المحتوى الظاهر لمادة دراسية وصفا كميا وموضوعيا ومنظما نوعيا وفق معايير محددة مسبقاً من خلال البحث الكمي الذي يعنى بجمع البيانات باستعمال أدوات قياس كمية يجرى تطويرها بحيث يتوافر فيها الصدق والثبات وتطبق على مجتمع البحث أوعينة منه وتعالج البيانات احصائيا للوصول الى نتائج يمكن تعميمها بدرجة من الثقة (سمارة والعديلي،٢٠٠٨).

وقد حدِّد واقع تضمين مفاهيم التنمية المستدامة والأبعاد المعرفية المرتبطة بها في محتوى كتب الاجتماعيات في الصف الرابع والخامس والسادس الابتدائي بحسب الفصول والوحدات لكل منها.

ومن أجل الإحاطة الكاملة ولضمان دقة النتائج عدّ الباحثان كل مفهوم من مفاهيم التنمية المستدامة وحدة للعدِّ، وكل فقرة من فقراتها تمثل بعدًا من أبعادها، ومن ثم مطابقتها مع واقع المفاهيم الموجودة في الكتب عيّنة البحث.

أداة البحث:

مرّ بنا في سياق هذا البحث جملة المفاهيم والأبعاد الممثلة للتنمية المستدامة التي ستعتمد بوصفها محكّا للحكم على وجودها؛ ما تطلّب إعداد قوائم تشتمل أو تتضمن مفاهيم التنمية المستدامة المباشرة وغير المباشرة، استنادًا إلى هدف البحث في ضرورة توفر هذه المفاهيم ضمن محتوى منهاج المواد الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية.

واعتمد الباحثان أداة انموذج التقدير الخاص بالمحتوى للوصول إلى افتراض تقدير الوزن النسبي الخاص بتضمين مفاهيم التنمية المستدامة وأبعادها.

جدول (١)

الفصل او الوحدة	الصف	موضوع الفصل أو الوحدة	العناصر	الصفحات	النسبة ٪
الأول/ ى	الرابع	البيئة المحلية	٤	١٩	٣٢,٢
	الخامس	جغرافية وطننا العراق	٢	٣٧	٣٨,١
	السادس	محافظات وطننا العراق جغرافياً و تأريخياً	١٨	١٠٢	٨٧,١
الثاني/ ـة	الرابع	البيئات الجغرافية	٢	١٠	١٦,٩
	الخامس	تاريخنا.. حضارتنا.. هويتنا	٣	٤٠	٤١,٢
	السادس	مجتمعنا العراق	٥	١٥	١٢,٨
الثالث/ ـة	الرابع	مفاهيم تأريخية	٣	٩	١٥,٢
	الخامس	التربية الوطنية والاجتماعية	٢	٢٠	٢٠,٦
الرابع	الرابع	العراق بلد الحضارات	٣	٥	٨,٥
الخامس	الرابع	المدرسة		٧	١١,٩
السادس	الرابع	الوطن		٩	١٥,٢

خطوات عملية تحليل المحتوى:

قام الباحثان باجراء عملية تحليل محتوى كتب الاجتماعيات للصفوف الرابع والخامس والسادس الابتدائي في العراق، لغرض معرفة مفاهيم التنمية المستدامة وما يتصل بها من المجالات وتحديدها من طريق قراءة الكتب قراءة مركزة وتحديد كل عبارة وفق الخطوات الآتية:

١ – البحث عن توافر مفاهيم التنمية المستدامة في كتب الاجتماعيات.

٢ – القراءة المستفيضة للمراجع المعنية بتحليل المحتوى للكتب على نحو عام. François ٢٠٠٨)) (التربية من أجل التنمية المستدامة في الميدان اليونسكو- قطاع التربية ،٢٠١٢)، و(سلسلة دراسات مركزالإنتاجالإعلامي،١٤٢٧هـ) (اليونسكو ،٢٠١٦) (طويل،٢٠١٣) (إبراهيم ،٢٠١٤)، (الكبيسي، ١٤٣٧).

٣ – تشخيص كل ما يرتبط بموضوع البحث في هذه الكتب.

٤ – تنظيم قوائم بالمفاهيم والاصطلاحات لكل كتاب وتصنيفها هجائيا في إطار التحليل الوصفي.

٥ – تنظيم قوائم لمفاهيم التنمية المستدامة التي يتوقع أن تُضمن في الكتب الدراسية، وعرضها على المحكمين.

٦ – معالجة النتائج إحصائيًا.

ثبات التحليل:

للتاكد من ثبت التحليل اعتمد الباحثان أسلوب إعادة التحليل، فبعد تحليل كتب الاجتماعيات للصف الرابع والخامس والسادس الابتدائي وظهور النتائج الأولية، جاءت نتائج الثبات من تحليل هذه الكتب مرة أخرى بعد مرورمدة أربعة عشر يومًا على الإجراء الأول، وكانت درجة التطابق كبيرة (٩٣٪) بين نتائج تطبيق التحليلين، وهذه النسبة جيدة ويمكن الوثوق بها من حيث قبول النتائج.

الفصل الرابع

نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

نتائج تضمين مفاهيم التنمية المستدامة:

اعتمد الباحثان مصفوفة مفاهيم التنمية المستدامة والمجالات ذات الصلة فيها وبيان النسبة المئوية أو الوزن النسبي لتضمين تلك المفاهيم في كتب الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية (عينة البحث) وفق الأسلوب المعتمد في البحث (تحليل المحتوى)؛ إذ قُسمت إلى مفاهيم جوهرية تعنى بالتنمية المستدامة بشكل مباشروأخرى من واقع الارتباط والعلاقة بالتنمية المستدامة وثالثة تشير إلى معنى التنمية المستدامة مثلما مبين في الجدول (٢)

الجدول (٢)

المفاهيم الواردة في كتب الاجتماعيات (الرابع، الخامس، السادس)

في المرحلة الابتدائية وفق مصفوفات المفاهيم

ت	مصفوفة المفاهيم	الصف الرابع		الصف الخامس		الصف السادس	
		تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪
١	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال الاجتماعية والتنمية المستدامة	١٤	٢,٩	١٧	٦,٢	٦	٢,٢
٢	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال والاقتصادية	٢	٠,٧	٢	٠,٧	١	٠,٤
٣	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال البيئي(الطبيعي)	٤	١,٧	٤	١,٧	٣	١,١
	المجموع	٢٠	٥,٣	٢٣	٨,٦	١٠	٣,٧

يلحظ من الجدول السابق أن مصفوفات المفاهيم اشتملت على مفاهيم التنمية المستدامة المباشرة والمفاهيم المرتبطة بالمجالات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية لها وهو المحور الأساسي للبحث، وقد اتضح أن كتب الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية لم ترد فيها مفاهيم التنمية المستدامة المباشرة نهائيا، على الرغم من أن موضوعات الكتب قد تناولت موضوع البيئة بنوع من التفصيل.

وفي مفاهيم مصفوفات المفاهيم المرتبطة بالمجال الاجتماعي والتنمية المستدامة، أظهرت نتائج التحليل أن كتاب الصف الخامس كان أكثر تضميناً لتلك المفاهيم بنسبة ٢ , ٦٪ من المفاهيم العامة المضمنة بالكتاب، بينما وردت بنسب أقل بكثير في كتابي الصفين الرابع (٩ , ٢٪) والسادس (٢ , ٢٪).

على حين جاءت مصفوفة مفاهيم التنمية المرتبطة بالمجال الاقتصادي بواقع منخفض جدا في هذه الكتب؛ فقد كانت نسبة تضمينها في كتاب الصف الرابع ٧ , ٠٪ وفي كتاب الصف الخامس بالنسبة نفسها (٧ , ٠) وفي كتاب الصف االسادس انخفضت أكثر إذ كانت (٤ , ٠).

وفي المصفوفة الأخيرة ـ مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال البيئي (الطبيعي) ـ التي كان يتوقع أن تكون ذات النسب الأكثر بحكم العلاقة الوثيقة بين التنمية المستدامة وموضوع البيئة التي تناولتها كتب الاجتماعيات في هذه المرحلة، فقد جاءت هي الأخرى بنسب قليلة، فقد كانت في كتابي الصفين الرابع والخامس بنسبة (٧ , ١) على الرغم من تخصيص فصل كامل عن البيئة ومشكلاتها، في حين قل وزنها النسبي في كتاب الصف السادس بنسبة (١ , ١) والرسم البياني الآتي يوضح ذلك.

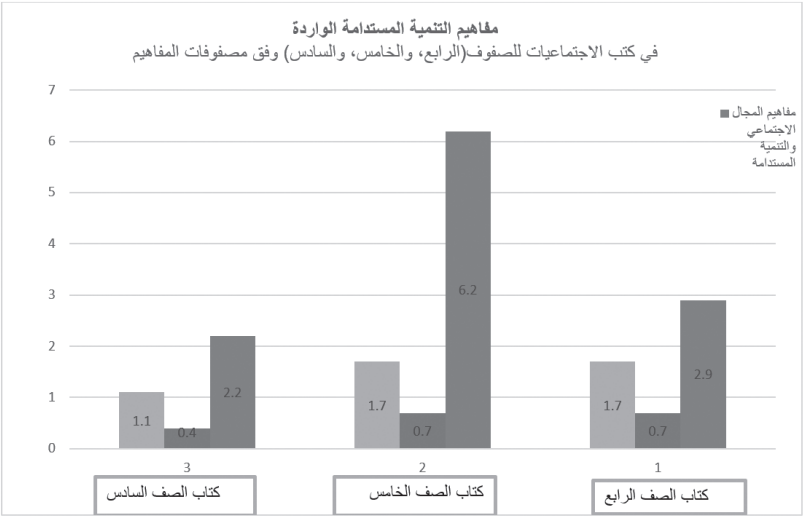

وبلغ عدد مفاهيم التنمية المستدامة وما ارتبط بها من مجالات معرفية أخرى التي ضمنت في الكتب الثلاثة ٥٣ مفهوماً بنسبة تضمين (١٧,٣٪) بالمقارنة مع المحتوى، وكما مبين بالجدول (٣) الذي يبين المجموع الكلي لمصفوفات المفاهيم كما وردت في الكتب الثلاثة الخاصة بالمرحلة الابتدائية في العراق.

الجدول (٣)

المجموع الكلي لمصفوفات المفاهيم كما وردت في الكتب الثلاثة

١	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال الاجتماعي والتنمية المستدامة	٣٧	٣,٨
٢	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال الاقتصادية	٥	٠,٦
٣	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال البيئي(الطبيعي)	١١	٥,١
المجموع		٥٣	٥,٩

٤	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال الاجتماعي والتنمية المستدامة	٣٧	١١,٣
٥	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال الاقتصادية	٥	١,٨
٦	مصفوفة المفاهيم المرتبطة بالمجال البيئي(الطبيعي)	١١	٤,٥
	المجموع	٥٣	١٧,٦

والرسم البياني يبين ذلك:

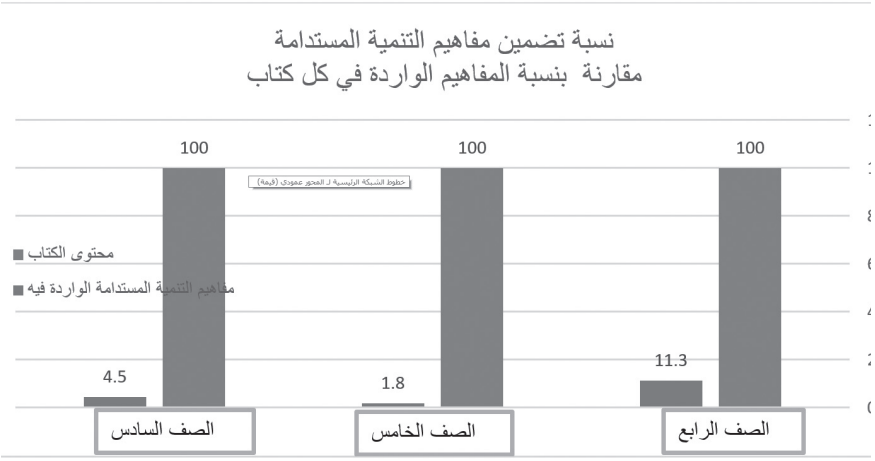

ومن جانب مطابقة المفاهيم التي تم إعدادها وفق حاجة المرحلة (ينظر ص٢٥٧-٢٥٩) لإكسابها متعلمي المرحلة الابتدائية؛ اعتمد الباحثان في تصميمها على ما تضمنه مفهوم التنمية المستدامة من محددات ومعطيات، وعلاقتها بالتربية ولاسيما وثائق المنظمات مثل اليونسكو وبعض الدراسات التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (إبراهيم ،٢٠١٢) ودراسة (طويلة ،٢٠١٣)، وفي هذا الجانب نخرج بالاتي:

١ – لم تفرد هذه الكتب فصلًا خاصًا بالتنمية المستدامة في ضمن فصولها، واقتصرت على بعض العبارات العامة التي وردت على نحو ضمني ولا تمثل إلا نسبة ضئيلة جداً لمجموعة النسب المئوية المتعلقة بالجمل، بل إن مفهوم التنمية المستدامة لم يرد نهائياً في كتابي الصف الرابع والسادس، والجدول (٤) يوضح ما ورد من جمل تحوي مفهوم التنمية في السياق العام لموضوعات كتاب الصف الخامس.

الجدول (٤)

ما ورد من مفهوم التنمية في سياق الجملة

ت	العبارة التي ورد فيها مفهوم التنمية	الصف
	تنمية مهارات المشاركة والعمل الجماعي	الخامس
	تنمية القدرة على التعبير	الخامس
	تنمية مهارات الحوار	الخامس
	تنمية مهارات النقد	الخامس
	تنمية مهارات القدرة على حل المشكلات	الخامس
	تنمية مهارات المشاركة والعمل الجماعي	الخامس
	تنمية الشعور بالانتماء الإنساني	الخامس
	تنمية القدرة على احترام الآخرين	الخامس

٢ – لم يُرصد وجود أي إشارة إحصائية تثبت حساب النسب المئوية للصور أو الأشكال أو الرسوم البيانية التي تعبر عن مفهوم التنمية المستدامة أو ما يرتبط بها من مفاهيم بكتب صفوف الرابع والخامس والسادس.

٣ – بلغت جملة المفاهيم التي تم إعدادها في القائمة الملائمة لمفاهيم التنمية المستدامة التي يتوقع أن تدمج في منهج الاجتماعيات بالمرحلة الابتدائية (١٢٣) مفهوماً، وعند اختبار ما ورد من مفاهيم في الكتاب عينة البحث مع هذه القائمة، أظهرت النتائج الآتية:

أ – كتاب الصف الرابع تضمن حوالي (٢٠) مفهوماً فقط من جملة المفاهيم المثبتة في القائمة ، أي ما يمثل نسبة ٢ ,١٦٪.

ب – كتاب الخامس تضمن (٢٣) مفهوماً بنسبة ٦ ,١٨٪.

ج– كتاب السادس تضمن (١٠) مفاهيم بنسبة ١ ,٨٪.

الإجابة عن أسئلة البحث: من واقع النتائج التي توصل إليها التحليل تمكن الباحثان من الإجابة عن أسئلة البحث على النحو الآتي:

١ – ما المفاهيم والأبعاد الملائمة لمنهج الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية؟

حسب القائمة الملائمة التي أعدها الباحثان التي يتوقع لمنهج الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية تضمينها في كتب الصفوف الثلاثة، بلغت المفاهيم المباشرة للتنمية المستدامة والتي ترتبط بها من خلال مجالات معرفية أخرى هي [مصفوفات مفاهيم قضايا الموارد والتنمية، وقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومفاهيم قضايا التنمية والسكان ومفاهيم قضايا التنمية والبيئة]، ١٢٣ مفهوماً، وتم إعداد هذه القائمة الملائمة وفق المنشورات العالمية من المنظمات الدولية وبعض الدراسات والبحوث.

٢ ـ ما نسبة تضمين هذه المناهج لمفاهيم التنمية المستدامة وأبعادها؟ وما أسباب التفاوت في هذه النسبة إن كان ثمة تفاوت؟

أظهرت نتائج التحليل أن كتاب الصف الرابع تضمن حوالي (٢٠) مفهوماً من جملة المفاهيم الواردة في القائمة، ما يعادل ٢ ,١٦٪من جملة المفاهيم في القائمة الملائمة، على حين جاء كتاب الخامس متضمنا (٢٣) مفهوماً بنسبة ٦ ,١٨٪، أما كتاب السادس فقد تضمن (١٠) مفاهيم بنسبة ١ ,٨٪.

٣ـ ما الطريقة المعتمدة لتضمينها؟ وما هي الطريقة الأمثل؟

لم يستند إعداد المنهج إلى رؤية أو تخطيط واضح يرتبط بالحياة ويستلهم متطلباتها، وتطلعات أبنائها المستقبلية والدليل على ذلك أن ثلاثة كتب لم تشتمل إلا على عنصر فرعي واحد يخص التنمية المستدامة.

التوصيات:

وفي ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، أوصى الباحثان بالآتي:

١-اعتماد مبدأ التنمية المستدامة في إعداد المناهج الدراسية.

٢-مراجعة هذه المناهج دوريًا بما يتفق والتطورات الحاصلة في مبدأ التنمية المستدامة.

٣-اعتماد مبدأ التنمية المستدامة في انتقاء موضوعات محتوى المناهج الدراسية فيُثبّت منها ما يحقق هذا المبدأ، ويُستَبعد منها ما لا يحققه (اختيار ما يمكن توظيفه من الموضوعات فقط).

٤-معالجة أبعاد التنمية المستدامة ضمن المناهج الدراسية على نحو متساوٍ وملائم للفئة العمرية المستهدفة، ومستوفٍ لكل هذه الأبعاد.

٥-إعداد القائمين على تدريس المناهج الدراسية إعدادًا يحقق الأهداف المرجوة.

٦-البحث في التراث الإسلامي ولا سيّما في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة، وروايات أهل البيت (ع)، واستخلاص مواطن الحث على مفاهيم التنمية المستدامة وأبعادِها.

٧-النظر في منهجية القرآن الكريم، واستجلاء الطريقة التي يعرض فيها الأخبار والأحكام والتشريعات وهي طريقة لا تخفى عنايتها بمبدأ التنمية المستدامة.

٨-الإسهام الفاعل في تطوير الفهم العالمي لمبدأ التنمية المستدامة بما ينتج عن البحث في تراثنا الإسلامي الثرّ.

المقترحات:

١-إجراء دراسة مماثلة في المرحلة المتوسطة والإعدادية.

٢- إجراء دراسة مماثلة على محتوى مناهج أخرى.

المراجع:

أولا: المراجع العربية

١. إبراهيم، محمد التوم إبراهيم (٢٠١٤): **تقيم مناهج الجغرافيا من منظور التنمية المستدامة**، مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثالثة، العدد الخامس، يونيو ٢٠١٤م.

٢. التميمي، عواد جاسم محمد(٢٠١٠): طرائق **التدريس العامة « المألوف- والمستحدث»**، دار الحوراء، بغداد.

٣. الجاويش، محمد إسماعيل (٢٠٠٨): **الأساس في النشاط التربوي**، مؤسسة حورس للنشر والتوزيع، الإسكندرية.

دمشق، مؤسسة الفكر العربي. مجلة الأمن والحياة، العدد: ٣٦١، جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ.

٤. دويكات، خالد عبد الجليل(٢٠٠٠): دور الدراسات العليا والبحث العلمي في تحقيق التنمية المستدامة في فلسطين، جامعة القدس المفتوحة.

٥. زيدان، محمد مصطفى(٢٠٠٧): **الكفاية الإنتاجية للمدرس**، ط١، مكتبة الهلال، بيروت.

٦. سماره، نواف احمد والعديلي، عبد السلام موسى(٢٠٠٨): **مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية**، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ن عمان، الأردن.

٧. عبود، سالم محمد(٢٠١٣): التنمية المستدمة والتكاليف البيئية، دار الدكتور للعلوم الإدارية والاقتصادية، بغداد.

٨. فطائي، محمد(٢٠٠٦): التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول، مركز الإنتاج الإعلامي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

٩. طويل، فتحية (٢٠١٣): **التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامة**، رسالة ماجستير (منشوره).

١٠. عبد الله، إبراهيم يوسف (٢٠٠٤): **الإصلاحات التربوية لمواجهة متطلبات العصر وتحديات المستقبل**، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان .

١١. عطية، محسن علي، (٢٠٠٩): **المناهج الحديثة وطرائق التدريس**، دار المناهج، عمان، الأردن.

١٢. فرغلي، أحمد حسن (٢٠٠٧): **البيئة والتنمية المستدامة، الإطار المعرفي والتقييم المحاسبي**، الطبعة الأولى، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث في العلوم الهندسية، جامعة القاهرة.

١٣. الكبيسي (١٤٣٧) عامر خضير وآخرون: **دراسات حول التنمية المستدامة**، مطابع نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

٤١. معلا، وائل (٢٠١٠): **إدماج المفاهيم المعاصرة للتنمية المستدامة في النظم التعليمية الجامعية**، جامعة

١٥. نصر الله، عمر عبد الرحيم (٢٠٠٨):

أساسيات في التربية العملية، دار وائل للنشر، ط٢.

١٦. الهيتي، نوزار عبد الرحمن(٢٠٠٩): التنمية المستدامة الاطار العام والتطبيقات دولة الامارات العربية المتحدة نموذجاً، مركز الامارات للدرسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي.

١٧. اليونسكو (٢٠٠٨): **التعلم ذالك ذلك الكنز المكنون**، تقرير قدمته إلى اليونسكو اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرون، مركز الكتب الأردن.

١٨. اليونسكو (٢٠٠٩): **البيان الختامي لأعمال مؤتمر اليونسكو العالمي للتعليم من اجل التنمية المستدامة**، ألمانيا.

١٩. اليونسكو (٢٠١٦): **التقرير العالمي لرصد التعليم التعليم من أجل الناس والكوكب، بناء مستقبل مستدام للجميع**، منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم http://www.unesco.org/open-access

٢٠. اليونسكو(٢٠١٢): **التربية من أجل التنمية المستدامة في قطاع التربية**، ترجمة الدكتورة حنان عبد الله عنقادي، مستشارة التعليم العالي في المندوبية الدائمة للملكة العربية السعودية.

ثانيا: المراجع الأجنبية

• Bigg، J ، and Collis ، F . K ،Evaluation the Quality of Learning ، New York، Academic Press .1992.

• Kaushik ، Vijaya Kumari (2002) : Teaching of social studies in Elementary schools ، An sari Road ،Daryaganj ، new Delhi.

• Khan ، M.A (2004) : Teaching social studies in secondary schools ، Ansar Road ، Darya Ganj ، New Delhi.

• Khan، M.A(2004) : Teaching of social studies ،first published ، Ansar Road ، Darya Ganj ، New Delhi.

• Nanus,B(1992),Visionary Leadership,San Francisco:Jossey-Bass.

• François (2008) Mancebo DEVELOP-PEMNT DURABLE, ARMAND COLIN, Paris.

• Harris, Alma (2002).School improvement: what is in it for school? London: Routledge, Falmer.